وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار 1830- 1954م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب الباحث:
محمد الأمين شرويك

إشراف: أ.د/ محمد مجاود

المشرف المساعد: أ.د/ محمد مكحلي

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	المؤسسة	الصفة
كريم ولد النبية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس	رئيسا
محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
محمد مكحلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس	مشرفا مساعدا
بن عمر حمادو	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة – وهران 1	مناقشا
محمد دادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة – وهران 1	مناقشا
دحو فغرور	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة – وهران 1	مناقشا

السنة الجامعية 1441–1442هـ/2019–2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه أصحاب الرسالات وآله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم القيامة.

إلى وصية الودود وسبب الوجود من برّهم جلب للسعود بدعائهما تُنال الرغائب والوعود، رضهم عنا يا الله بحق جاه سيدنا المحمود.

والدي الكريمين صاحبي الفضل في التربية والتعليم.

إلى كوكبة العلماء الذين خدموا العلم والمعرفة وأضاءوا لنا طريق الهداية

إلى كل من أعانني على مواصلة مسيرتي العلمية بتأييده المادي والمعنوي

إلى المؤلفين الذين انتفعنا بكتبهم لكتابة هذا البحث ونهلنا منها ما نحسب أنه ينفعنا في ديننا ودنيانا إن شاء الله تعالى.

العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه : محمد الأمين شرويك

كلمة شكر وعرفان

أتوجه بالحمد والشكر إلى الله عز وجل على كرم منه وتسهيله وجميل لطفه وعنايته وتوفيقه سبحانه لإتمام هذا البحث المتواضع.

أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذين الفاضلين المشرفين على هذا العمل الأستاذ الدكتور محمد مجاود والأستاذ الدكتور محمد مكحلي، اللذين لم يدخرا جهدا في توجيهي بملاحظاتهما وتوجيهاتهما المنهجية والعلمية فلهما مني كل التقدير والاحترام.

كما أشكر كل أساتذة قسم التاريخ في كل من جامعة سيدي بلعباس وجامعة تيارت على مساعداتهم المستمرة واللامتناهية في سبيل تشجيع البحث العلمي، ولا يفوتني أن أشكر الدكتورة فاطمة حباش على مساعدتها العلمية والتوجيهية، دون أن أنسى كل أصدقائي وزملائي وإلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

أ/- باللغة العربية:

- **إلخ** : الى آخره
- **ت**: توفي
- **ج**: الجزء
- **د.ت** : دون تاريخ
- **د.ط** : دون دار الطبع
- **د.م** : دون مكان الطبع
- **د.م.ج** : ديوان المطبوعات الجامعية
- **س**: السنة
- **ش.و.ن.ت** : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- **ص**: الصفحة
- **ط**: الطبعة
- **ع** : العدد
- **م** : التاريخ الميلادي
- **م.و.ف.م** : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
- **م.و.ك** : المؤسسة الوطنية للكتاب
- **مج** : مجلد
- **مخ** : مخطوط
- **مط** : مطبعة ، مطبوعات ، مطابع
- **منش** : منشورات
- **هـ** : التاريخ الهجري
- **ع**: العدد
- **الح ع 1**: الحرب العالمية الأولى
- **الح ع 2**: الحرب العالمية الثانية

ب/– باللغة الفرنسية:

– ***A.N.O.M*** *: Archives Nationales d'Outre Mer.*

– ***A.P.O.M*** *: Archives Privés d'Outre Mer.*

– ***ALG****: Algérie.*

– ***B.A*** : *Bureaux Arabes*.

– ***B.O*** : *Bulletin Official*

– ***C****: carton.*

– ***D****: dossier.*

– ***G.G .A*** *: Gouvernement Général de L'Algérie.*

– ***M . P*** *: marge de page.*

– ***P***: *page.*

– ***R.M.M*** *: Revue du Monde Musulman.*

– ***S.D*** *: Sans Date.*

– ***S.G.G****: Secrétaire Général du Gouvernement.*

– ***S.L*** *: Sans Lieu.*

– ***S****: série.*

– ***T****: Tome.*

– ***V****: Volume.*

– ***A.P*** *: affaires politiques*

– ***B.A.S.L*** *: Bureau des affaires de statut local*

– ***B.M.Q.I*** *: Bulletin mensuel des questions islamiques*

– ***B.Q.I*** *: Bulletin des questions islamiques*

– ***C.M*** *: commune mixte*

– ***C.O.M*** *: comite des opérations militaires*

– ***C.R.U.A*** *: comite révolutionnaire pour l unité et l action*

– ***D.A.A.S*** *: direction des affaires administratives et sociales*

– ***D.G.G.A*** *: délégation générale du gouvernement en Algérie*

– ***E.NA.L*** *: Entreprise Nationale du livre*

– ***F.R*** *: France*

– ***P.C*** *: préfecture de Constantine*

– ***R.M*** *: rapport mensuel*

– ***S.A.S*** *: section administrative spécialisée*

– ***S.L.N.A*** *: Service des Liaisons nord africaines*

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

تستمد مواضيع بعض البحوث قيمتها من جمعها بين الأهمية والتجديد، فالأهمية تكون من حيث معالجة تلك المواضيع لقضايا تمس اهتمام العديد من الناس وطرحها لمسائل تشد انتباههم فالباحث في الطرق الصوفية يجد أن لها أهمية بالغة في الإسلام، وذلك بكونها تمثل الجانب العملي من التصوف، وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية، فقد لعبت هذه الطرق دورا بارزا في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي (19م)، وشكلت في نفس الوقت وعاء ثقافيا احتمى به الشعب الجزائري، وتجلى ذلك في عدة جوانب من إسلام وعروبة وترابط اجتماعي، جرّاء الحملة الفرنسية على بلادنا في الخامس من جويلية في السنة الثلاثون بعد الثمانمائة والألف الميلادية، وهنا تكمن قيمة المعالجة العلمية لمثل هذه المواضيع، إذ أنّ أثر التصوف بجانبه الروحي كان واضحا وجليا على مشائخ الطرق والزوايا ومقدميها ومريديها من خلال حمل لواء المقاومة والجهاد ضد العدوان الصليبي على أرض مسلمة.

وقد كان من الطبيعي أن يستجيب الجزائريون لمنادي الجهاد والمقاومة ضد الغزو الفرنسي بدافع التجاوب الوطني وروح المسؤولية الدينية والسياسية بعد استسلام السلطة العثمانية وهزيمة الجيش الرسمي، فقامت الطرق الصوفية تدعوا إلى الجهاد والمقاومة، فكانوا سباقين إلى شحن الهمم لرد الاستعمار الغاشم، فحفظوا بذلك على الشعب الجزائري دينه ولسانه، وفوتوا الفرصة على الفرنسيين الحاقدين من أن يطمسوا معالم الشخصية الجزائرية، وكانوا في الصفوف الأولى في ميدان

الحرب والمعركة، و لم يكن ذلك فحسب بل دافعوا عن الإرث الموروث عن الآباء والأجداد بشقيه المعنوي الروحي والمادي الحسي.

ومن أجل القضاء على هذه المقاومة التي تزعمتها الطرق الصوفية والتحكم في سير المجتمع الجزائري، قام الفرنسيون بمواجهة هذه الطرق والتصدي لها مستعملين في ذلك طرق وأساليب متعددة، لتشتيت صفوفها وتمزيق وحدتها والكشف عن أسرارها، سيما وأن البعض من الذين وهنت منهم العزائم وضعفت نفوسهم أمام ألوان الترهيب والترغيب التي مارسها الاحتلال ضدهم قد سقطوا في شراكه وغدوا من خدامه ومن مبرري أفعاله الشنيعة ضد الأمة وتراثها.

إن هذه الزعامة الدينية للمقاومة لم تكن تعبيرا عن التعصب الديني أو العرقي كما تزعم المصادر الاستعمارية في قراءتها المغرضة للمقاومات الشعبية، وإنما كانت نتيجة تلقائية لانتعاش روح الجهاد في أعماق الجزائريين، وتعبيرا صادقا على إرادة الأمة في رفض كل ما هو غريب عنها ودفاعا مستميتا عن المقومات الحضارية، ومن هنا وقع اختيارنا لهذا الموضوع لدوافع وأسباب نجملها في:

- البحث في موضوع الطرق الصوفية وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يساعدنا على فهم وإدراك دور التصوف الذي كان ولا يزال أسلوباً ومنهجاً يدين به الكثير من الأفراد والجماعات عبر الطرق الصوفية المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين.

- الزوايا والطرقية كانت ولازالت من القضايا المعقدة والشائكة؛ فمنذ ظهورها أصبح لها شأن عظيم في الحياة الاجتماعية والسياسية إلى أن جاء الاستعمار الإسباني ثم الفرنسي إلا وهبّت في وجهه هذه الزوايا لمواجهتة، وقدم المرابطون وأصحاب الزوايا تضحيات ومقاومات عجزت عنها حتى بعض الأنظمة السياسية وجيوشها.

– أن التصوف يمثل الجانب الروحي في حياة المسلمين وتراثهم وتاريخهم، فالدارس لتـــاريخ الجزائر المعاصر سيقف على أحداث بارزة صنعها متصوفة بارزون.

– الرغبة في الإطلاع على اهتمامات المؤرخين والباحثين العسكريين والمستشرقين الفرنســيين الذين اهتموا بدراسة الطرق الصوفية المعاصرة، نظرا لتأثيراتها الاجتماعية والسياسية، إما بغــرض إخماد المقاومات التي تزعمتها الطرق الصوفية، أو من أجل استمالة رجالاتهــا وتثبيــت الوجــود الاستعماري، على عكس بعض الدراسات المحلية العربية والإسلامية التي لم تول اهتماما كافيا بهذا الجانب.

– لقد تجذرت الزوايا والطرق الصوفية في بلدان المغرب العربي خاصة في أعمــاق المجتمــع والدولة بحيث لا يمكن فهم الماضي دون استحضار هذا العنصر الحيوي، الذي ظل بمثابــة نهــر مسترسل يغذي باقي الحقول المعرفية الأخرى عبر روافد حية وقوية، مما يدفعنا إلى بلورة جزء كبير من قضاياه واهتماماته، خاصة في بلادنا التي اعتبرت بمثابة مستنبت لشيوخ الزوايا ورجال التصوف وأهل المقامات والطرق.

– ارتبط ظهور الزوايا في بلدان المغرب العربي، بظروف سياسية وتاريخية واجتماعية خاصــة كالفراغات السياسية التي كانت تنتج عن غياب السلطة المركزية، أو تعرض البلاد إلى كــوارث طبيعية مؤثرة، كموجات القحط والجراد والفيضانات والأوبئة، أو تعرض المجتمع لاختلالات محلية أو تهديدات أوربية كالاحتلال الفرنسي عام 1830م؛ مما جعل أهل الطرق وشــيوخ الزوايــا يستغلون تلك الأوضاع، ويتحركون من أجل تعبئة المجتمع واستنهاضه ضد ما يحــدق بــه مــن أخطار؛ وبذلك اعتبرت مؤسسة الزاوية خاصية من خصائص تاريخ الجزائر، الذي لا يمكن تناول أية فترة منه أو أي حدث من أحداثه، دون أن نأخذ بعين الاعتبار حضور الزاويا والطرق الصوفية في تشكيل جزء كبير منه، وهذا ما جعل الكتابات التاريخية تبقى متفطنة ومدركة ما لهذا المعطــى

من أهمية في تفسير الكثير من الظواهر والقضايا التي يحفل بها تاريخ الجزائر، معتبرة أن الطرقية تبقى منذ قرون الشكل الأكثر عمومية وشعبية وحيوية في الجزائر، منذ أن اختمر الفكر الطرقي في البلاد المغاربية وتجذر في أوساطها الشعبية، بواسطة عدة طرق أبرزها القادرية والشـــاذلية والرحمانيـــة والتيجانية وغيرها، وهذا ما يدفعنا لإماطة اللثام على مثل هذه الحقائق.

– إن انتشار الطرق الصوفية جاء في ظروف محلية ودولية مميزة كتزايد الاضـــطرابات المحليـــة وعدم رضا الشعوب بالسياسات الفرنسية المنتهجة في البلاد، مما مهد لظهور مقاومات وانتفاضات وثورات محلية ضد الاحتلال الفرنسي كمقاومة الأمير عبد القادر وغيرها من المقاومات.

لهذه الأسباب وغيرها كان هذا البحث محاولة منا للكشف على وجه من أوجـــه نشـــاطات الطرق الصوفية والممارسات الاستعمارية ضدها، وهي حقبة هامة من تاريخ الجزائر وجب التنبيه لمسائل لا تزال في حاجة إلى الدراسة والتوضيح.

ومن هنا تأخذ هذه الأسطر المشكلة للرسالة أهميتها من الوقائع والأحداث التاريخية، حيـــث تتعرض هذه الدراسة برصد مواقف الطرق الصوفية بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار الفرنسي في الجزائر 1830- 1954م، وهي كما أشرنا حقبة أساسية من تاريخ الطـــرق الصـــوفية في الجزائر وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي وتأثيراتها على المجتمع الأهلي، بصفتها المـــؤطر الـــديني لـــه بالإضافة إلى مميزات العلاقة بينها وبين الفاعلين الآخرين في النضال الوطني كالتيارات السياسية مثل الأحزاب، والدينية كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أما عن الإطار الزماني والمكاني لهذا البحث فيتضح من العنوان أنه يعالج الحقبة الاســـتعمارية الفرنسية في الجزائر من بداية الاحتلال إلى غاية اندلاع الثورة التحريريـــة (1830- 1954م) وهي محاولة منا لتتبع مميزات العلاقة بين الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في مسح كرنولوجي لأهم الأحداث والوقائع التي عرفتها الجزائر، وكذا الوقوف على متغيرات الحياة السياسية والدينية

للطرق الصوفية والتي بمرور الزمن لم تفقد أهميتها، بل ظلت محل اهتمام الإدارة الاستعمارية تارة بمراقبتها وتضيق الخناق عليها، وتارة أخرى مستعينة بها في تنفيذ أجندتها سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي، إضافة إلى بروز ميدان أخر للصراع شغل الطرق الصوفية في نهاية هذه الحقبة الزمنية من هذا البحث، وهو بروز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الساحة السياسية والدينية للجزائر، إلى غاية 1954م وهو تاريخ اندلاع الثورة التحريرية، أين أخذت الأحزاب السياسية زمام المبادرة العملية على مستوى الجماهير منافسة بذلك الطرق الصوفية وساحبة من تحتها بساط نفوذها على أغلب فئات المجتمع الجزائري.

إن طرح موضوع ثنائية مواقف الطرق الصوفية بين المقاومة والموالاة للاستعمار الفرنسي بشكل مفصل ومعمق، كان من منطلق أن جل الدراسات التاريخية الجزائرية السابقة تناولت هذا الموضوع بشكل عام حسب علمنا، ضمن مواضيع أخرى اختصت بدراسة ظاهرة الاستعمار الفرنسي وحركة المقاومة الجزائرية، والتي تناولت موضوع مقاومة الطرق الصوفية كجزئية مكملة لمواضيع رئيسية، كالتي تتطرق لمواضيع المقاومات الشعبية بزعامة الطرق الصوفية، أو دراسات مونغرافية تضم دراسة شاملة لكل الأوضاع خلال فترة معينة، أو الإشارة إليها في إطار تناول تاريخ الجزائر المعاصر في شكل عام، شاملا كل الفترة الاستعمارية في الجزائر أو التركيز على جانبين، جانب تصدي الطرق الصوفية للاستعمار في إطار المقاومة الوطنية خلال القرن التاسع عشر (19م) أو من جانب الصراع الذي كان بين الطرق الصوفية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد فترة تأسيس هذه الأخيرة سنة 1931م، وكل هذا يجعل من موضوع علاقة الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية في القرن العشرين من المواضيع الثانوية المدرجة حسب ما يخدم المواضيع العامة، وهذا يعني أن الدراسات الأكاديمية العلمية المختصة في هذا الموضوع قليلة أو تفتقد للموضوعية، لكن لم يمنع هذا ثلة من العلماء والمحققين والمؤرخين من تسخير أقلامهم النيّرة لتبيان الحقيقة التاريخية حول هذا الموضوع، ومن بين هؤلاء نذكر دراسات أبو القاسم سعد الله التي

وردت تحت عنوان "تاريخ الجزائر الثقافي" وكتاب " الحركة الوطنية الجزائرية" وكتاب "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" ويحي بوعزيز في مؤلفه "ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين" وغيرها من الدراسات المحلية، لكن في المقابل نجد المدرسة الفرنسية الاستعمارية أنتجت دراسات عدة وعلى فترات مختلفة تناولت مختلف جوانب الطرق الصوفية في الجزائر سنأتي على ذكرها لاحقا في نقد المصادر والمراجع، هذا إضافة إلى دراسات أخرى قيمة تناولت موضوع هذا البحث وتندرج ضمن رسائل وأطروحات نذكر منها دراسة بن يوسف التلمساني، "الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782- 1900م"[1] والتي تناولت بالدراسة والتحليل المواقف المختلفة للطريقة التجانية من الادارة الاستعمارية وعلاقتها بالمقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر وكذلك دراسة مهمة للباحث بشير بلمهدي، والموسومة بـ"الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925- 1956)" [2]، والتي حاول فيها الباحث استقراء الخطاب الديني خاصة منه الخطاب الطرقي وتحول أشكاله مع مطلع القرن العشرين، من خطاب المقاومة إلى خطاب المهادنة، إضافة إلى دراسة إهتمت بموقف الطرق الصوفية من اندلاع الثورة التحريرية موسومة "بموقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962م"

---

(1)- بن يوسف التلمساني، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782- 1900**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر: جامعة الجزائر- معهد التاريخ، 1998/1997.

(2)- بشير بلمهدي، **الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925-1956)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2011/2010 .

لصاحبها رياض بودلاعة[1] والذي تتبع بدوره مواقف هذه الطرق مع الوضع الجديد باندلاع الثورة التحريرية ومدى مساهمة هذه الفئة في تجنيد أتباعها في ميدان المقاومة.

ومن هنا حاولنا من خلال دراستنا هذه إضافة لبنة في هذه الدراسات واستخلاص الحقائق بعيدا عن التوجهات والذاتية.

ولانجاز هذا البحث كان لابد الانطلاق من إشكالية رئيسية تتمحور أساسا حول:

– ما هو موقف الطرق الصوفية في الجزائر من الاحتلال الفرنسي ؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي من 1830 إلى 1954م؟

وبالطبع الإشكالية الرئيسية لموضوع دراستنا تندرج تحتحها مجموعة من التساؤلات الفرعية ندرجها كما يلي:

– إن التمييز بين صنفين من الطرق الصوفية، صنف قاوم الاحتلال بكل بسالة إلى أن استنفذ كل إمكانياته في المقاومة يدفعنا إلى التساؤل عن الدوافع والأسباب التي جعلته يختار هذا النهج؟ وما هي الأساليب والوسائل التي استعملها في المقاومة ؟ وما هي النتائج التي حققها في سبيل ذلك؟

– والصنف الثاني الذي اختار الموالاة نهجا له وارتمى في أحضان المستعمر وتحالف معه، هو الآخر يدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي دفعته لذلك؟ وكيف تميزت علاقته سواء بالاحتلال

---

(1)- رياض بودلاعة، **موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962م** أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسنطينة: جامعة عبد الحميد مهري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018/2017.

الفرنسي أو علاقته بالصنف الأول من الطرق الصوفية المقاومة؟ خاصة إذا علمنا أن هذه العلاقة كانت متناقضة في الأهداف والغايات.

- ما مدى مساهمة الخطاب الصوفي الطرقي في تأجيج المقاومات الشعبية خلال القرن 19م؟

- ما هي الأسس والأساليب التي انتهجتها السياسة الاستعمارية في سبيل تشتيت شمل الطرق الصوفية وتدجينها ثم القضاء عليها؟

- كيف نفسر إستراتجية الطرق الصوفية مع مطلع القرن العشرين من نبذ أسلوب المقاومة وانتهاج أسلوب المهادنة؟

- هل استطاعت فرنسا خلق فئة موالية لها من شيوخ الطرق الصوفية؟ وكيف استغلت نفوذ هذه الطرق في سبيل تحقيق مآربها في الميدان السياسي والاجتماعي والثقافي والديني؟ وما هو موقف الطرق الصوفية من المستجدات التي عرفتها الجزائر في القرن العشرين في مختلف القضايا الوطنية ومنها الثورة التحريرية؟

أما بالنسبة لمعالجة هذا البحث التاريخي فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي من خلال جمع الأحداث ثم عرضها متوخيا في ذلك مقارنتها بمختلف الدراسات التي تناولت الموضوع للوصول إلى مقاربة موضوعية وفق رؤية علمية نزيهة للأحكام الصادرة بشأن الطرق الصوفية وكنا في كل مرة نلجأ إلى اعتماد وسائل إيضاح كلما دعت الضرورة إلى ذلك بهدف تسهيل تتبع سيرورة أحداث الموضوع ورصد صورة واضحة عن محتوى البحث، مع التركيز على النصوص المستقاة من المصادر المتعلقة بالموضوع محاولين استقرائها وتحليلها وتوظيفها آخذين بعين الاعتبار طبيعة الموضوع وواقع وبيئة الفترة المدروسة.

كما تم الاستعانة بالمنهج الإحصائي عند تناولنا لإحصائيات شاملة للطرق الصوفية في مختلف الدراسات التي تناولت ذلك وكذلك عدد أتباعها وزواياها ومواردها المالية..إلخ.

لقد حظي موضوع الطرق الصوفية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية باهتمام كثير من الكتاب المحلين والأجانب، فكتب فيه علماء الاجتماع وعلماء النفس والأديان والضباط العسكريون والمترجمون وغيرهم، لذا تطلب الأمر منا لانجاز هذا البحث استقراء مصادر ومراجع متنوعة جمعت بين الوثائق الأرشيفية والمصادر المكتوبة خلال الفترة المدروسة في البحث، وكذا بعض الدراسات المعاصرة، فمنها ما يمكن اعتبارها مصادر ومراجع أساسية في البحث، ومنها ما كان ثانوي تم العمل عليها في بعض جزئيات هذا العمل، ويمكن تصنيف هذه المادة العلمية إلى مصدرية وأخرى مرجعية نبرز أهميتها وفق مايلي:

أولا: وثائق أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس وخاصة رصيد الحكومة العامة (*G.G.A*) هذه الوثائق مكننا البحث في بعض محتوياتها من الوقوف على مادة جد قيمة سمحت بتغطية بعض الجوانب الأساسية في هذا البحث ومنها السلسلة (*2U*) التي تناولت تقارير عن كل الطرق الصوفية ما عدا القادرية والتجانية، وكذا احتوت على تقارير بخصوص فرض الرقابة على بعض شيوخ الطرق الصوفية التي تنتمي إلى الطريقتين القادرية والرحمانية.

وكذلك السلسلة (*16H*) المتعلقة بشؤون الأهالي والتي كانت تحتوي معلومات متنوعة عن الزعامات المحلية وأهم العائلات ذات النفوذ الديني والعسكري، وأهم أدوارها التاريخية خاصة فيما يتعلق بالحملات العسكرية للجيش الفرنسي وأعوانه، ومنها تلك التي كانت مثلا ضد أولاد سيدي الشيخ والشريف محمد بن عبد الله، كما احتوت على مراسلات إلى المكتب السياسي والحاكم العام عموما، وهي عبارة عن ملخصات لتقارير المكاتب العربية، ويضاف إلى هذا المنشورات

الرسمية للحكومة العامة في الجزائر التي تناولت العرض العام حول الجزائر (*Exposé de la situation générale de l'Algérie*).

ثانيا: الكتابات المصدرية الأجنبية وخاصة الفرنسيين منهم، عسكريين كانوا أو كتابا أو مؤرخين، فقد اهتموا في مذكراتهم وكتبهم بالطرق الصوفية وسجلوا ثوراتها، اعتمادا على وثائق وتقارير رسمية أو على روايات وأخبار غير رسمية؛ فقدموا معلومات هامة عن الطرق وزواياها وشيوخها ومواقفها .

وقد جاء اهتمام الأجانب بالطرق الصوفية عموما، لأنها كانت مصدر قلق بالنسبة لوجودهم بسبب قيادتها للعديد من الثورات الشعبية في الجزائر، محاولين من خلالها التعرف على عقلية المجتمع المحلي وفهم نفسيته، ليسهل عليهم حكمه وإخضاعه، ومن أهم هذه الكتابات نذكر:

- الرائد "لوي رين" (*Louis Rinn*) الذي وضع خارطة إحصائية للزوايا في الجزائر سنة 1884م حلل فيها الطرق الصوفية بالجزائر بعنوان:

-Marabouts et Khouans , Etude sur l'Islam en Algérie , Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger,1884 .

- "ديبون" و"كوبولاني"(*Depont et Coppolani*) اللذان أرخا للطرق الصوفية في الجزائر والمغرب العربي واستفادا من خبرتهما في الشؤون الأهلية، ورعاية الحاكم العام "جول كامبون"وحمل كتابهما عنوان:

-Les Confréries Religieuses Musulmanes, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur , Alger,1897.

- "دو نوفو ادوارد" (*De Neveu Edouard*) الذي ألف كتابه حول الطرق الصوفية عام 1845م واعتبر صاحبه أن الزوايا مراكز للتآمر وإشعال فتيل التمرد وجاء بعنوان:

- *Les khouans Ordres Religieux chez les Musulmans de l 'Algérie.*

ثالثا: يضاف إلى ذلك بعض المقالات المتخصصة المقتبسة من مجلات تاريخية منها "المجلة الإفريقية" نذكر منها على سبيل المثال مقال للعقيد "ترومليي" (*Trumlet*) حول ثورة أولاد سيدي الشيخ والنمط السياسي والاجتماعي للقبائل الصحراوية، ومقال آخر في نفس المجلة "لشارل فيرو" (*Charles Féraud*) حول تاريخ ورقلة ومقاومة الشريف بن عبد الله.

رابعا: إضافة إلى بعض المصادر والمراجع نذكر من أهمها كتاب المرآة لحمدان خوجة الذي يعطي صورة معبرة عن السياسة الفرنسية في الجزائر في الفترة الأولى من الاحتلال، وكتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا لمؤلفه "شارل آجرون"، إضافة إلى سلسلة دراسات وأبحاث الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله التي أفدنا منها أيما إفادة في تكوين جمل هذا البحث، لعل أبرزها كتاب تاريخ الجزائر الثقافي بأجزائه والذي يحتوي على مسح شامل وإحصائي دقيق للطرق الصوفية وكتاب الحركة الوطنية وكتاب آبحاث وآراء، ومؤلفات يحي بوعزيز منها ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، إضافة إلى بعض المقالات التاريخية المنشورة وبعض الدراسات الأكاديمية التي اهتمت بموضوع بحثنا هذا، وليتصف هذا البحث بوصف الأكاديمية ارتأينا أن نضع خطة علمية قسمنا خلالها موضوع هذه الدراسة إلى مقدمة وبابين اثنين احتوى كل منهما على فصلين ثم خاتمة وقد جاءت الخطة كالآتي:

الباب الأول بعنوان "**جزائر المتصوفة**" وتناول في فصليه الآتي:

الفصل الأول: كان بعنوان الطرق الصوفية في الجزائر الظاهرة والجذور، وهو عبارة عن دراسة نظرية تاريخية تناولت تعريف التصوف وتاريخ نشأته ورجاله وكيفية انتقاله لبلدان المغرب العربي وصولا إلى أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر وطبيعة العلاقة بين هذه الطرق والسلطة العثمانية في الجزائر.

الفصل الثاني: جاء بعنوان الواقع الاستعماري والطرق الصوفية، ومن خلاله بينا فيه الانتماء الطرقي ودوره في قيادة المقاومات الشعبية وهو عبارة عن دراسة أنموذجية لأدوار الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار الفرنسي، هذا إضافة إلى تناولنا تأثيرات الخطاب الصوفي الطرقي في هذه المقاومات الشعبية آخذين نموذجين من هذه الخطابات أولهما للطريقة القادرية والثاني للطريقة الشيخية.

الباب الثاني: كان بعنوان "**الطرق الصوفية والصدمة الاستعمارية**"، وجاء في فصلين اثنين:

الفصل الأول: تناول السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصوفية بين المهادنة والاحتواء وأسس هذه السياسة الاستعمارية ووسائلها من الدراسات والإحصائيات وكذا ملامح ومميزات هذه السياسة التي من خلالها أرادت فرنسا تدجين الطرق الصوفية وتقليص نفوذها في المجتمع الجزائري.

إضافة إلى موقف الطرق الصوفية من مختلف الأوضاع السياسية والثقافية والدينية بالجزائر في الفترة الممتدة من 1914 إلى 1945م، كان من أهمها مسألة التجنيد الإجباري وموقفها من الحرب العالمية الأولى، إضافة إلى دراسة مواقفها في مختلف المسائل الدينية والاجتماعية كالتنصير والتجنيس والتعليم، وكذلك الوقوف على أهم جهودها في هذه الميادين.

الفصل الثاني: جاء بعنوان الطرق الصوفية والحركة الوطنية، ودرسنا فيه مظاهر تراجع الدور السياسي للطرق الصوفية وموقفها من الحركة الوطنيـــة وثـــورة أول نـــوفمبر مـــن 1925 إلى 1954م، وركزنا فيه على أهم عاملين أولهما العامل الاقتصادي والقاعدة الشعبية، إضـــافة إلى ازدياد نشاط الحركة الوطنية خلال هذه الفترة بمختلف تياراتها، هذا إضافة إلى وضعية هذه الطرق أثناء فترة الحرب العالمية الثانية، قبل أن نختم هذا الفصل بإبراز مواقف الطرق الصوفية وإسهاماتها في الثورة التحريرية الكبرى عام 1954م.

وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة موجزة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحـــث والذي ألحقناه بمجموعة من الوثائق المختلفة المكملة لموضوع الدراسة.

ورغم ما تم تناوله في هذه الدراسة من المصادر والدراسات التي حاولنا من خلالهـــا تقـــديم إجابات عن الإشكاليات المطروحة سالفا، إلا أننا واجهنا صعوبات اعترضت سبيل البحث، إذ لم نتمكن من الإحاطة بجميع عناصر الموضوع، لصعوبة التعامل مع مادة الفكـــر الصـــوفي، وذلـــك للتداخل الموجود بين المفاهيم العقائدية والمواقف السياسية.

ونظرا لعدم وفرة المادة العلمية التاريخية عن مواقف الطرق الصوفية في جميع أنحاء الـــبلاد إذن فقد كان التركيز على بعض المناطق بشكل بحت، ورغم محاولاتنا في جمع أكبر قدر من المادة مـــن مصادرها، إلا أننا لم نوفق في الوصول إلى بعض الدراسات المتخصصة والتي كانت قليلة جدا كما أن صعوبة الوصول إلى المواد الأرشيفية أصبح عاديا خاصة في الجزائر للأسف الشـــديد في ظـــل العراقيل الإدارية، يضاف إلى ذلك مجهودات البحث عن الوثائق والمصـــادر وترجمـــة النصـــوص وتصنيفها، وكذا صعوبة الانتقاء خاصة فيما يتعلق بالتقارير العسكرية أو المراســـلات والـــتي لا تستجيب عادة إلى الصياغة المناسبة للأحداث التاريخية مما لا يمكننا الترجيح بين الحقيقة وخلافها.

هذا ولا نعتقد أننا قد استوفينا الموضوع حقه من الدراسة والبحث، خاصة وأنه يهتم بالطرق الصوفية التي اضطلعت بالدور الجهادي والديني والتعليمي، ورغم ذلك حاولنا قدر الإمكان تقديم بعض الجوانب المختلفة لهذه الطرق ونشاطاتها، ولنا أمل أن يتواصل البحث والخوض في ميـــدان الطرق الصوفية من جوانب أخرى اعتمادا على وثائق وأبحاث جادة تتصف بالعمق والموضوعية.

وفي الأخير أقدم شكري وتقديري للأستاذين الفاضلين المشرفين على هذا العمـــل الأســـتاذ الدكتور محمد مجاود والأستاذ الدكتور محمد مكحلي، اللذين لم يـــدخرا جهـــدا في تـــوجيهي بملاحظاتهما وتوجيهاتهما المنهجية والعلمية، فلهما مني كل التقدير والاحترام.

الباب الأول

جزائر المتصوفة

الفصل الأول

الفصل الأول: الطرق الصوفية في الجزائر الظاهرة والجذور

أولا: نشأة التصوف الإسلامي وانتقاله إلى بلاد المغرب

1- نشأته وتطوره

2- مميزاته

3- مؤسساته

4- التنظيم الهرمي للطريقة الصوفية في الجزائر

ثانيا: ظاهرة الطرق الصوفية في الجزائر

1- أهمها

2- مواردها

3- خصائصها

ثالثا: الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر

1- التأييد والترحيب

2- الحياد والإنعزال

3- الصدام والصراع

الفصل الأول: الطرق الصوفية في الجزائر الظاهرة والجذور

إن الحديث عن التصوف وعن مؤسساته الدينية-ممثلة في الزوايا- من حيث الأصل والمنشأ سيزيل كثيرا من الغموض الذي يكتنف نظرة الناس إليهما، والذي كان سببه حديث العوام عن أحوال المتصوفة وعن الزوايا وما كان يدور بها، إذ كان منطلق هذا الحديث عدم الفهم والإبصار.

وإن التدرج أيضا في سيرورة الأحداث والتي صنعها أصحاب الأسماء الثقيلة من تقوى وعلم وزهد ومعرفة بالله، والتي أحاطت بظهور التصوف ومؤسساته ما سيميط اللثام عن كثير من الحقائق التي بقيت خافية عن الناس ردحا من الزمان، حيث سيتيح هذا الفصل معرفة اللبنة الأولى التي ارتكز عليها التصوف في بلاد المغرب الإسلامي بظهور الزوايا وهياكلها والطرق الصوفية ومواردها، والتركيز على نشاطها خاصة في العهد العثماني الذي يعتبر المجال الخصب لانتشار هذه الظاهرة، وأهم ما ميز العلاقة بين هؤلاء المتصوفة والسلطة العثمانية وصولا إلى الاحتلال الفرنسي وهو محاولة استقراء منا لطبيعة هذه العلاقة قبل الولوج إلى فصل المقاومة والموالاة.

أولا: نشأة التصوف الإسلامي وانتقاله إلى بلاد المغرب:

لعل من أصعب الأمور على الباحث أيا كان شأنه، أن يسعى إلى اقتحام ميدان غريب عليه ميدان يقتضي أدوات معينة لا تتوفر لديه ولا يستطيع اكتسابها من الآخرين، لأنها لا تكتسب ولا تعار، ولكن ما العمل وقد قذفت بنا الأمواج في بحر المحبين لله تعالى..فتوجب علينا أن نسعى إلى فهمهم والتعامل معهم في هذا الفصل بقدر ما تسمح لنا به طبيعتنا البشرية وبقدر ما وهبنا الله من ملكات للمعرفة والفهم وبقدر ما يمد لنا حبل المعرفة الربانية.

هذا تصوير بسيط لحالنا الآن ونحن نسعى لدراسة التصوف الإسلامي، فالصوفية لهم منطقهم ولنا منطقنا، ومع أننا نختلف معهم في الرأي والاتجاه إلا أننا نقدر ونحترم كل التقدير والاحترام منطقهم الخاص وحياتهم الخاصة، وعلى ذلك ففي دراستنا للتصوف الإسلامي سوف نسعى إلى

تقديم عرض موضوعي للتصوف الإسلامي اعتمادا على كتابات الصوفية أنفسهم وعلى تحديدهم لمعنى التصوف إلى آخر ذلك، وعلينا أن ننبه منذ الآن إلى أن التجربة الصوفية شـــيء والكتابـــات الصوفية شيء آخر كما سنرى، ذلك أن الكتابات لن تستطيع أن تقدم لنا أية تجربـــة حيـــة لأي صوفي مهما كانت فصاحة الكاتب ودقة تعبيره.

1- نشأته وتطوره:

اختلف الباحثون في تحديد المعنى الذي نسب إليه التصوف ولماذا سموا بالصوفية؟ وحتى نقف على هذا الاختلاف سندرج أهم الأقوال الواردة في هذا الموضوع على النحو التالي:

- **مفهوم التصوف:**

أ / **لغة:** لا تعرف كلمة التصوف في لغتنا اشتقاقا واحدا يتفق عليه، إذ قيل أنها مشتقة مـــن صفاء القلوب وهو قول يوافقه صاحب كتاب "اللمع" لأبي سراج الطوس[1]، وقيل أنها مشتقة من "الصفة" وهو مكان في مؤخرة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس إليـــه الزهـــاد والمتعبدون من فقراء المسلمين. [2]

ويرى آخرون في اشتقاقها نسبة إلى أولئك الذين يجلسون في الصف الأول في المسجد أثنـــاء الصلاة [3]، وقيل أنه مشتق من "صوفة" واسمه الغوث بن مر وهو أحد سدلة الكعبة في الجاهلية.[4]

---

(1)- أبو نصر السراج الطوسي،**اللمـــــع**، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر: دار الكتـــب الحديثـــة 1960، ص: 40.

(2)- ساعد خميسي، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، الجزائر: دار هومة، 2002، ص: 22.

(3)- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، الجزائر: المطبعة الفنية، 1990 ص: 12.

(4)- أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، القاهرة: دار الفتوى، (د.ت)، (د.ط)، ص: 179.

ويقول إبن تيمية رحمه الله: « – وهؤلاء الصوفية– نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف قيل في أحدهم – صوفي– وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال..». [1]

ب/ اصطلاحا: نعني بالتصوف عزوف النفس عن الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. [2]

أما سهل التستري البصري فيعرفه بقوله: « الصوفية سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق ». [3]

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد سعى إلى إبراز التصوف كمدرسة تربوية هدفها الأساسي تهذيب النفس وتطهيرها من أخلاقها الذميمة، ولذلك عارض كل انحراف طرأ على التصوف بقوله: «.. والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أجل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه..». [4]

---

(1)- أحمد بن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم، الرباط: مكتبة المعارف، (د.ت)،مج:11 ص: 16.

(2)- عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، القاهرة: دار ابن هيثم، 2005، ط: 01، ص: 391.

(3)- فيلالي المختار الطاهر، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، باتنة-الجزائر: دار الفن للطباعة، 1976، ط: 01، ص: 11.

(4)- صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها**، بيروت: دار البراق، 2002، ص: 36.

ويؤكد أبو القاسم الجنيد الذي أعلن الحرب على الانحراف الخلقي وقاد حملات المتصوفة المجاهدين ضد الفتنة المادية الهوجاء التي طغت على المجتمع الإسلامي يومئذ، فقد عرف التصوف بقوله: « التصوف تجنب كل خلق دني والتحلي بكل خلق سني وأن تعمل لله بغير غاية إلا لرضاه ».[1]

ومن خلال هذه التعاريف السابقة نرى أن التصوف هو أخلاق دينية وطريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، ولذلك تتفق معظم الآراء حول التصوف على أنه نزعة روحية تتأتى بالإنسان عن العالم المادي وترتفع به إلى العالم الخارجي.[2]

وعليه فإن التصوف الإسلامي في جوهره الحقيقي هو إخلاص العبادة لله عزوجل وعدم الانحراف إلى تغليب الجوانب المادية للحياة الإنسانية على الجوانب الروحية، فهو بذلك علم من العلوم الإنسانية وروح الإسلام وجوهره، لأنه تصفية للقلب وطهارته من الرجس والإخلاص لله تعالى ونبذ للحياة الدنيا والخشوع والصمت والتأمل.[3]

- تطوره:

التصوف ظاهرة دينية ومفهوم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي، قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف، وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى تزكوا وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان.[4]

---

(1)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 45.

(2)- إبراهيم مياسي، **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص: 213.

(3)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 09.

(4)- التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية**، منوبة-تونس: منشورات كلية الآداب 1992، ط: 01، ص: 25.

عرفت كلمة التصوف الانتشار في القرن الثاني للهجرة، وأول من أطلقت عليه هو أبو هاشم الكوفي المتوفي سنة (150هـ/767م)، وإذا سألنا أنفسنا لماذا هذا القرن بالذات؟ أجابنا ابن خلدون بقوله: «.. ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.. ».[1]

ولئن ذهب بعض المتصوفة إلى أن كبار الصحابة وحتى التابعين كانوا من أهل التصوف، ليثبتوا أنه ليس دخيلا على الإسلام، فإن الراجح أنه نشأ في مطلع عصر الدولة العباسية، ليس فقط لاتساع الفتوحات وركون المسلمين إلى حياة الترف والبذخ مما ولد نفورا من تلك الحياة المادية والاتجاه نحو الزهد والانقطاع للعبادة[2]، وإنما كذلك لأسباب أخرى أهمها:

- الفتوحات الإسلامية وما جاءت به من اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب والأديان مع ما يحملونه من رواسب حضارية- هندية وفارسية – جعلت الناحية السلوكية وحتى العقائدية غير متطبعة كليا بطابع الإسلام.

- انشغال المسلمين واهتمامهم بالكسب والامتلاك فغفلوا عن أعمال القلوب، وهنا بدأ الانحراف عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته رغم أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال في التمتع بطيبات الحياة الدنيا لكن دون إسراف لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾.[3]

(1)- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 517.

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 25.

(3)- سورة الشورى، الآية 18.

– الاستبداد السياسي وعجز الكثيرين عن التصدي له، دفع البعض إلى مؤاثرة السلامة باللجوء إلى العزلة والانزواء والتفرغ لإصلاح النفس والتركيز على التأمل والملاحظة، حتى ترتقي النفس وتصل إلى درجة الإشراق.

ويتفق القشيري ومن بعده ابن خلدون على أن التصوف ولد في ظروف صعبة تميزت بظهور البدع في المعتقدات المختلفة، غذتها الفرق كالمعتزلة والخوارج وكل كان يدعي الزهد في الدنيا.[1]

وفي خضم هذه التحولات برزت جماعة المتصوفة ساعية إلى الحفاظ على التطابق بين باطن العمل التعبدي وظاهره بالمقابل مع الأغلبية التي تفشي العمل الظاهر واتبعت سبيل الهوى، وفي هذا يقول ابن خلدون: « اختلف الناس وتباينت المراتب وفشا الميل عن الجادة والخروج عن الاستقامة ونسى الناس أعمال القلوب وأغفلوها وأقبل الجمهور الغفير على صلاح الأعمال البدنية والعناية بالمراسيم الدينية من غير إلتفات إلى الباطن ولا اهتمام بصلاحه، وشغل الفقهاء بما تعم به البلوى من أحكام المعاملات والعبادات الظاهرة حسب ما طالبهم بذلك منصب الفتيا وهداية الجمهور فاختص أرباب القلوب باسم الزهاد والعباد وطلاب الآخرة منقطعين إلى الله..فانفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب المقتدون بالسلف الصالح من أعمالهم الباطنة والظاهرة وسموا بالصوفية.. ».[2]

---

(1)- إسماعيل خنفوق، **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844- 1931**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011/2010 ص، ص: 19، 20.

(2)- عبد الرحمن ابن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تح: أبو يعرب المرزوقي، تونس: الدار العربي للكتاب 1991، ط: 01، ص: 152.

ولئن بدأ التصوف في المائة الأولى والثانية للهجرة في شكل زهد وورع تمثل في أفراد معينين فإنه لم يلبث أن صار مذهبا قائما على أركان مدعمة بنصوص مؤولة من القرآن والحديث يسمى علم "الباطن" وقد تجسد في أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم المشهور بذي النون المصري (ت.958هـ)، ورابعة العدوية (ت.801هـ) وغيرهما، وهو منحى لقي مناهضة شديدة أدت إلى اتهام أبي الغيث بن حسين المنصور الحلاج بالزندقة وإلى قتله سنة (922هـ). [1]

إلا أن ذلك لم يمنع التصوف من التطور والانتشار عبر أنحاء العالم الإسلامي، بعد أن استطاع أبو حامد الغزالي (ت.505هـ) إخراجه من هامشه الاجتماعي الضيق ومن قفص الاتهام إلى فضاء أوسع بعد أن نجح في إيراد النظريات التوفيقية بين العقائد الصوفية التي تعتبر زعماء الطرق وسطاء الله عزوجل وبين الفقهاء وعلماء التوحيد الذين يرون أن الدين هو طاعة الله الواحد دون واسطة، فتمكن بذلك من تنقية التصوف من كل الشوائب التي ألصقت به، بل أسقط جدار الاضطهاد الذي عرفه التصوف قبل القرن الخامس الهجري. [2]

ولهذا اشتهر أبو حامد الغزالي بأنه مجدد للدين من خلال كتابه "إحياء علوم الدين" الذي مكن بواسطته التصوف من العودة إلى وعائه، كما حارب الفلسفة المنحرفة عن الدين من خلال كتابه "تهافت الفلاسفة" فكان لهذه الشخصية تأثير كبير على من جاء بعده، ويعد حجة الإسلام الإمام الغزالي أول من أرسى قواعد التصوف. [3]

---

(1)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 28.

(2)- بن يوسف التلمساني، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1792- 1900**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر: جامعة الجزائر- معهد التاريخ، 1998/1997، ص: 25.

(3)- أبو حامد الغزالي، **جواهر القرآن ودوره**، بيروت: منشورات الآفاق الجديدة، 1983، ص: 33.

ورغم ذلك فقد واكب تطور التصوف أن تأخر بعوامل خارجية أدت إلى اصطباغه بـألوان غير منبعه الأول، ومن ثمة نستنتج أن التصوف مر بمراحل عدة أولها أن كان زهدا وعبادة ثم صار حركات وشطحات خالية من الروح والعبادة إلى أن وصل عند البعض إلى درجة المروق.

ويتفق الكثير ممن تناول دراسة موضوع التصوف مع رأي ابن الجوزي حين قال: «.. ولما أظهره (التصوف) أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته برده عن الأخلاق الرذيلة وجعله مع الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والأخلاق والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة .. وعلى هذا كان أوائل القوم، ثم تلبس عليهم إبليس كلما مضى قرن زاد طمعته في القرن التالي فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن..». [1]

2- مميزاته:

يعرف الشيء بما يميزه من خصائص وأسس فريدة خاصة به، وكما قد سبق ذكره فإن التصوف لم يلبث أن أصبح ممثلا في جماعات تربط بينها علاقات وطيدة تنظم الحياة بين مختلف الأطراف المكونة لها، وفق خصائص تميزها عن بقية التجمعات البشرية الأخرى وتتمثل في:

أ/- الاعتقاد في الشيخ:

هذه الشخصية المحورية في بحثنا هذا من خلال الأدوار التي تلعبها، حيث عمل الاستعمار الفرنسي على احتوائه وتوظيفه طبقا لمصالحه، فهو مؤسس الطريقة وأهميته تنبع من خلال المنزلة التي يتبوؤها في الفكر الصوفي، ومن مكانته المرموقة لدى الأتباع فهو يعرف بالكرامات ويستحق الاحترام المطلق، وهو المرشد والموجه إلى سبيل الله تعالى، ويشترط فيه أن يكون جامعا لعلمي

(1)- علي بن محمد الدخيل الله السويلم، **التجانية (دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة)**، الرياض: دار طيبة، 1401هـ، ص: 20.

الظاهر والباطن وأن يكون متحليا بالأخلاق الفاضلة، حتى أن هناك من الصوفية من يعتبرونه نائبا لرسول الله صل الله عليه وسلم. (1)

وبهذه الهالة القدسية التي أضفاها المشايخ على أنفسهم أصبحت لهم سلطة ونفوذ على الناس الذين اعتقدوا فيهم الصلاح، والتميز بخصوصيات روحية ليست موجودة عند غيرهم، غير أن هذا النفوذ لم يكن دائما يستمد من وسائل مشروعة، وإنما يحصلون عليه –أحيانا- بالترهيب وتهديد الناس في صحة أبدانهم وأولادهم وأرزاقهم مما يجبر هؤلاء السذج والبسطاء من الانصياع لهم. (2)

لكن هذا لا يمنع من وجود شيوخ ربانيين لهم من العلم والولاية ما لهم، من الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم للذود عن حرمات الله ورعاية خلقه في الأوقات الحرجة، فكانوا مربين ومرشدين وموجهين للعامة، في وقت غابت فيه السلطة الدنيوية والتجأت إليهم الخليقة تحمل إليهم آلامهم وآمالهم.

إن هذه الوسائل وغيرها مكنت مشايخ الطرق من السيطرة على عامة الناس وحتى في خاصتهم، سيطرة وصلت أحيانا إلى حد الطاعة العمياء والتي تجسدت في علاقة المشايخ بمريديهم. (3)

ب/- إخلاص المريد:

تعتبر علاقة المريد بشيخه وطاعته أهم ركن في الطريق الصوفي، فهي تقوم على إجلال الشيخ وتقديسه والمبالغة في محبته وطاعته المطلقة.

---

(1)- أبو حامد الغزالي، **أيها الولد المحب**، تح: عبد الله أحمد أبو زينة، تونس: مطبعة الشحمي، (د.ت)، ص: 64.

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 31.

(3)- شيخ لعرج، **نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب خلال القرن 18 وبداية القرن 19م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر-مصطفى اسطمبولي: قسم التاريخ، 2009/2008، ص: 26.

هذه العلاقة التي راهنت عليها سلطات الاحتلال في تعاملها مع بعض مشايخ الطرق لاحتوائهم وتوظيفهم، وهو ما سنتطرق إليه في فصول هذه الدراسة.

ومن هنا كانت للشيخ سلطة مطلقة على المريدين تمليها عليهم التعاليم والمبادئ الصوفية وهناك عدة ضوابط تنظم علاقة المريد بشيخه نذكر من أهمها:

- إجلال الشيخ وتقديسه والمبالغة في محبته.
- الصبر على امتحان الشيخ باعتباره أعرف الناس وأعلمهم بسواء السبيل.
- إلتزام الآداب مع الشيخ في مجالس الذكر.
- عدم مفارقة الشيخ والمحافظة على الصلاة في زاويته. [1]

وهكذا نرى أن الصوفية يركزون كثيرا على الآداب مع الشيخ لما له من أهمية في الطريق الصوفي، وبهذه المفاهيم أصبح المريد رهين أوامر الشيخ الذي لا يرفض له قولا ولا يعترض له على أمر، فاستغل المشايخ نفوذهم ذلك في التحكم والتصرف في أتباعهم – كما سنرى في هذا البحث– ليس وفق أهوائهم فحسب بل وفق ما تمليه عليهم السلطات الاستعمارية. [2]

إن تلك التربية الصوفية فضلا عما تسببت فيه من ذوبان شخصية المريد أمام شيخه فقد عمقت في الأتباع التواكل والانصراف الكلي عما يحدث في حياتهم العامة ويمسهم مباشرة، وهو اتجاه يخدم الإدارة الفرنسية التي باركت ذلك التوجه.

---

(1)- بشير جلطي، **العلاقة النفسية التربوية بين المريد وشيخه**، رسالة دكتوراه دولة، جامعة وهران: قسم علم النفس 2007/2006، ص: 238.

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 32.

3- مؤسساته: وتتمثل أساسا في الزاوية:

- الزاوية:

أ/- لغة: مشتقة من الفعل "انزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل "زوى" و "انزوى" بمعنى ابتعد وانعزل كما سميت في كتب اللغة كذلك، لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين، واختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون، اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت. (1)

والزاوية في شمال إفريقيا أكثر شمولا، إذ تطلق على البناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني وهي تشبه الدير أو المدرسة، وحسب محمد نسيب: « أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ومجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا في العصور الوسطى الدير »(2)، والزاوية من فعل "زوي" أي جمع، لأن فيها تجتمع الصفوف ويجتمع الفقراء وطلبة العلم ويجمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها. (3)

ب/- اصطلاحا: تطور مفهوم الزاوية بالمغرب الإسلامي بأن صارت تعني مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها المريدون لذكر الأوراد، إضافة إلى كونها كانت مأوى لطلبة القرآن والعلم وبقية الزوار الذين يقصدونهم كما تقدم، وكثر هذا النوع من الزوايا إبتداءا من القرن (10هـ/16م) بعد تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد بمجيء الأتراك

---

(1)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 301.

(2)- محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، سوريا: دار الفكر، (د.ت)، ص:27.

(3)- محمد باي بلعالم، **أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة**، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار: أيام 1و2و3 ماي 2000، ص:01.

العثمانيين وبسط نفوذهم على البلاد، ثم استمرت الزوايا في آداء دور التربيـــة والتعلـــيم خـــلال الاحتلال الأوربي، وبذلك لعبت دورا هاما في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في القرنين التاســـع عشر والعشرين الميلاديين. (1)

لقد أدى موت المؤسسين إلى انحراف تلك الزوايا عن دورها الأصـــلي، فصـــارت مقصـــدا لالتماس البركة وطلب المنفعة بتقديم العطايا والهدايا، وإقامة الحضرات مع ما يصاحب ذلك مـــن أعمال الشعوذة والخوارق، ففقدت بذلك دورها الاجتماعي خاصة بعد أن صارت –عن طريـــق الوراثة– تحت مسؤولية أفراد لا نصيب لهم من الصلاح إلا اسمه، حولوها إلى مقر للطرق الصوفية يمارسون فيها نشاطاتهم ويتنعمون من مداخيلها. (2)

- **الطريقة:**

أ/- **لغة:** هي الممر والسبيل والصراط إلى غير ذلك من الأسماء، وقد تذكر وتؤنث وهي حسية يمشي عليها الناس ووسائل نقلهم المختلفة. (3)

ب/- اصطلاحا: وتعني المذهب أو الملة الدينية التي يسير عليها المؤمنون وفق منهاج شـــرعي وتكون معنوية، والسير في هذا الطريق المعنوي الديني قد يكون مختلف الشـــاكلة قـــال تعـــالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ الإسراء، الآية: 84.

إذن فالطريقة هي طريق ومنهج ومذهب خاص بنوع من الناس، يتميزون عن غيرهم برؤيـــة معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل محددة، وتجد الطريقة مـــبرر وجودها في الفلسفة الصوفية التي تقسم العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن، أي شريعة وحقيقـــة

(1)- عبد القادر النفاتي، **الأبعاد الدينية والاجتماعية للزوايا والطرق الصوفية**، مجلة الحياة الثقافية، ع:08، ص: 129.

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص:35.

(3)- حسن العكريمي، **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**، الجزائر: دار الهدى، 2008، ص:21.

فالشريعة هي الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار وتعرف الطريقة بأنها منهاج اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات.. أساسه الرياضة والمجاهدة من خلال بلوغ مرتبة من مراتب الصوفية كالقطب والغوث والوتد والبدل. (1)

وانطلاقا من هذا المفهوم كانت كل طريقة صوفية تعتمد للتدليل على صحتها وشرعيتها على سلسلة من الصالحين والأعلام لتتصل دائما بالرسول صل الله عليه وسلم الذي بدوره –حسب الطرق الصوفية– تلقى أورادها وأذكارها وتعاليمها عن جبريل عليه السلام عن ربّ العزة جلّ جلاله، والرسول صل الله عليه وسلم لقنها لعلي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعلي لقنها لعمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.. ومن هنا أصبح جليا أن الطرق الصوفية – وإن اختلفت في ترتيب أفراد سلسلتها– تنتهي كلها إلى الرسول صل الله عليه وسلم باعتباره مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي. (2)

إن هذه الأذكار والأوراد العامة منها والخاصة، بالإضافة إلى ضوابطها تعد في حد ذاتها منهاجا يعتمده المربي في تربية المريدين وتهذيبهم، والغاية من ذلك –كما أشرنا– هو التعمق في علوم الباطن لإدراك الحقيقة أو المعرفة الإلهية التي تقرب المؤمن من ربه عزوجل. (3)

وبهذا يمكن أن نشبه الشريعة التي هي (علم الظاهر) بالدائرة، والحقيقة (علم الباطن) بمركز تلك الدائرة، أما الطريقة فهي المنهاج أو المسلك الموصل من خط الدائرة إلى نقطة المركز. (4)

---

(1)– عبد الرحمن عبد الخالق، **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، الكويت: مطبعة الفيصل، 1986، ص: 350.

(2) –*Louis Rinn, **Marabouts et khouan**, étude sur l'islam en Algérie, Alger : Adolphe Jourdan, 1884, p :350.*

(3)– بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص: 35.

(4)– التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 35.

وعليه فلا عجب أن نجد هناك عدة طرق متعددة ومتباينة في ظاهرها (من حيث الأذكار والأوراد) ما دامت الغاية واحدة وهي بلوغ الحقيقة الأسمى.

ونظرا لتعدد المسالك والطرق كان من البديهي تسميتها بأسماء تميزها عن بعضها البعض وعادة ما تسمى بأسماء مؤسسيها فنقول مثلا:

زاوية سيدي أحمد التجاني أو الطريقة التجانية،.. ورد سيدي عبد القادر الجيلاني أو الطريقة القادرية..

ومما لاينبغي نسيانه أن لكل طريقة صوفية نظام مهيكل من إطارات مختلفة المراتب وهو ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي.

4- التنظيم الهرمي للطريقة الصوفية في الجزائر:

أ/- الشيخ:

يأتي على رأس الهرم وهو أهم إطار فيها، يستمد نفوذه من مكانته الدينية باعتباره العارف بالله والقادر على تربية النفوس، وهو صاحب المكاشفات والكرامات والبركات، يملك المعرفة الحقة بالشريعة، وهو الذي يكشف الداء والدواء الشافي وعنده كل الأسرار التي منحه إياها الله عزوجل[1]، ولا يخضع إلا لسلطة الله ورسوله صل الله عليه وسلم، ويحملون عدة ألقاب مثل: ولي الله، الغوث، القطب..، والشيخ هو الدال على الله بأفعاله وأقواله وأحواله وحركاته وسكناته بكليته، ظاهرا وباطنا وهو في الطريق بمنزلة الدليل.[2]

(1)- عبد القادر بن محمد السهروردي، **عوارف المعارف**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983، ط: 02، ص: 412.

(2)- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، الجزائر: الوليد للنشر، (د.ت)، ص: 83.

وقد أحيط الشيوخ بهالة من التقديس لدى الأتباع والمريدين، فأصبحوا هم مصدر السعادة والخير والنفع والشر والضرر، فكل من مسه الأذى أو الشقاء إلا واعتبره غضبا من الشيخ، فيسرع إلى ضريحه لنيل مرضاته فهو واسطته التي يتوسل بها عند الله تعالى، فيقدم له الهدايا والزيارة ويتعهده بالطاعة والولاء له ولخلفائه، ويداوم على ورده (إن كان ذلك الولي صاحب طريقة). [1]

وكان من غالب الأمر أن تمارس الشعوذة عند ضريح الشيخ وتنسب له أمور وتنسج حوله خرافات – حتى يصبح مصدر ثراء لخلفائه– وهو من ذلك بريئ، فكم من شيخ نسبت له أقوال وأفعال عديدة حتى مؤلفاته حرفت وتحولت الكثير من زواياه عن العبادة والعلم إلى ممارسة طقوس لا تمت للدين بصلة، فاعتقد الناس أنها من الدين وهذا طبعا راجع لانتشار الأمية وقلة الوعي الديني. [2]

كما أن هناك بعض أشباه المشايخ من وجد في ظاهرة انتشار الأمية فرصة لفرض نفسه على العامة، عن طريق الترهيب وتهديد الناس في صحة أبدانهم وثروتهم وعقم نسائهم إن هم عصوه و لم يدفعوا له الزيارة.

إن هذه الأمثلة – فضلا على أنها تُهم لبعض المشايخ– ليس المقصود الاستشهاد بها هو الحط من قيمتهم والانتقاص من قدرهم، وإنما توضيح لخطر وصول بعض الأفراد إلى رتبة المشيخة دون أن يكونوا أهلا لها، وهو أمر عملت الإدارة الفرنسية –كما سنرى في فصول هذا البحث– على الاستفادة منه.

---

(1)– بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص:38.

(2)– نفسه، ص: 38.

ب/- الخليفة:

يأتي في المرتبة الثانية وهو ملازم الشيخ ويعتبر كنائب له وهو الذي يتولى إدارة شؤون المناطق البعيدة التابعة للزاوية، وهو يسهر على تسيير الطريقة والدفاع عن مصالحها فيحافظ على أوراد الطريقة وأذكارها فلا يزيد فيها ولا ينقص ولا يفشي الأسرار الموروثة، ونجد مثال هذا عند التجانيين والقادريين والعيساويين وغيرهم.. ولكن ما يميز التجانيين هو أن الخليفة فيهم يكون الأكبر سنا في العائلة مهما كانت ثقافته[1]، على عكس الطرق الأخرى التي يكون فيها الخليفة في الغالب الأكثر علماً وورعاً وقد يكون الانتخاب.

ج/- المقدم:

ويأتي في المرتبة الثالثة بعد الشيخ والخليفة المطبق المخلص لتعاليم الشيخ وهو ممثل الطريقة في إحدى زواياه والذي يفوض له الشيخ ممارسة مهامه لدى أتباع الطريقة بالزاوية، وهو المروج للطريقة ويسهر على ربط العلاقات بين الأتباع والشيخ[2]، وهو روح الزاوية ومستشارها ويترشح لهذا المنصب كل مريد توفرت فيه مواصفات معينة كالسمعة الجيدة بين المريدين وبين شيوخه وتمنح له إجازة مكتوبة تخول له حق تلقين ورد الطريقة والإشراف على مجموعة من المريدين المقيمين في حدود المنطقة المعينة له، وتتضمن الإجازة عادة التعريف بالمقدم –سلسلة الطريقة وذكرها- أسلوب تلقينه للأتباع وينتهي نص الإجازة بتقديم النصح للأتباع بطاعة المقدم.[3]

---

(1) -*Coppolani Xavier, Depont Octave,* ***Les Confrérie Religieuses Musulmanes****, Alger : Adolphe Jourdan, 1897,p :194.*

(2) - *Louis Rinn, Op,cit, p : 79 .*

(3)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 38.

د/- الإخوان:

يمثلون قاعدة الهرم التنظيمي للطريقة الصوفية أي جمهور التابعين، ويطلق عليهم المغاربة اسم الإخوان بينما المشارقة يطلقون عليهم اسم الدراويش، وتختلف أسمائهم من طريقة إلى أخرى مثلا يطلق على أتباع القادرية الفقراء، وأتباع التجانية يعرفون بالأحباب، والرحمانية بالإخوان والخدام بالنسبة للطرق المحلية كالشيخية والعمارية.. (1)

وأهم شيء يلقن للمريد في بداية عهده هو طاعة الشيخ وأهل الطريقة، وأن يطبق القاعدة الشهيرة "اعتقد ولا تنتقد" ومثل هذه الفلسفة ولّد لدى المريد ما يعرف بالطاعة العمياء والتي قتلت فيه روح التفكير والمبادرة. (2)

وعليه تنبأ الاستعمار الفرنسي لهذه الخصوصية بعد أن اهتموا بدراسة الطرق الصوفية من الداخل، وكذا حذر كتابهم المدنيون والعسكريون أمثال"لوي رين" (*Louis-Rinn*) و"لابي روكيت" (*L'abbé-Rouquette*) من خطورة الطرق الصوفية فقال هذا الأخير: « إنه عندما تحين الساعة وينتفض أبناء شمال إفريقيا ويهبون في ثورة ضد الاستعمار الفرنسي، فإن فرنسا لن تواجه مجرد عصابات غير منظمة بل إنها تجد نفسها أمام مئات الألوف من المجاهدين الأشداء والمستمتين في القتال والذين يستمدون طاقتهم من تعاليم رجال الطرق الصوفية..». (3)

وعليه راهن الاستعمار الفرنسي على استمالة زعماء بعض الطرق الصوفية ذات النفوذ الواسع حتى يكفيهم عداء الآلاف من الأتباع والمريدين.

---

(1) -*Coppolani, Depont, Op,cit, p : 190.*

(2) -*Louis Rinn, Op,cit, p :90.*

(3) -*L'abbé Rouquette,* ***Les sociétés secrètes chez les musulmans****, librairie Delhomme et bruget,1899,p :330.*

ثانيا: ظاهرة الطرق الصوفية في الجزائر:

كما أسلفنا الذكر ظهرت الزوايا في المغرب الإسلامي منذ القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع هجري (13م/07هـ)، حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها على يد المرابطين وفي هذه الرباطات الجهادية تكونت الطرق الصوفية ونمت وانتشرت بكثرة في القرن الخامس عشر ميلادي/ التاسع هجري (15م/09هـ) كرد فعل على الغزو الصليبي لثغور المسلمين في بلاد المغرب والأندلس. (1)

وإذا كانت القادرية أقدم طريقة صوفية في العالم الإسلامي نشأت في المشرق العربي وامتدت إلى المغرب العربي، فإن الطريقة الشاذلية المشيشية المدينية نشأت في المغرب العربي وامتدت نحو المشرق، وفي هذا الصدد يذكر أبو القاسم سعد الله: « .. نكاد نجزم بأن معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن الثامن هجري (14م) تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الطريقة الشاذلية وقد أحصى بعضهم عدد الطرق الصوفية في المغرب العربي أواخر القرن الثالث عشر هجري (19م) فوجد ثلاثة عشر طريقة من مجموع ستة عشر، وكلها شاذلية الأصل..». (2)

إن الطرق الصوفية في الجزائر – في الفترة التي ندرسها- كثيرة، غير أن ما يهمنا منها في هذا البحث تلك التي تعاملت مع الاستعمار الفرنسي سلبا أو إيجابا والتي سنركز الحديث عليها في هذه اللمحة التاريخية مع إشارة موجزة إلى الطرق الأقل أهمية ونشاطا منها.

---

(1)- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2007، ص: 14.

(2)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج:01، ص: 461.

1- أهمها:

أ/ الطريقة القادرية:

تعتبر القادرية أول طريقة صوفية ظهرت في العالم الإسلامي وأقدمها وجودا في الجزائر، تنسب إلى مؤسسها العارف بالله القطب سيدي عبد القادر الجيلاني[1] وهو من أكبر الزهاد والمتصوفة ولا يزال قبره وزاويته ببغداد محجة للكثير من الأتباع[2]، والقادرية من أكثر الطرق انتشارا في العالم الإسلامي، دخلت إلى المغرب العربي عن طريق الحجيج وطلاب العلم، ولعل الأول من نشرها في بلاد المغرب هو سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان والمتوفي سنة (561 هـ/1166م) بعد أن التقى بالشيخ عبد القادر الجيلاني.

وبشأن انتشارها في الجزائر يحدد الضابط "لوي رين" (*Louis Rinn*) طريقتين تسربت منهما القادرية وهما مصر والأندلس[3]، الأولى استقر بها أحد أبناء عبد القادر الجيلاني وهو الشيخ عيسى الذي نشر تعاليمها في مصر ووصلت إلينا عن طريق الحج والرحلات العلمية، والثانية هاجر

---

(1)- عبد القادر الجيلاني، هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحي بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه، ولد سنة (470هـ/1078م) ببلدة جيلان أو كيلان الموجودة حاليا بالأراضي الإيرانية قرب مدينة طبرستان وفيها تلقى مبادئ الشريعة الإسلامية، ثم رحل إلى بغداد ودرس في مجمع العلماء والفلاسفة والفقهاء والشعراء وقضى بها سبعين سنة، عاصر عددا من الخلفاء العباسيين وله العديد من المؤلفات منها: الفتح الرباني والفيض الرحماني، الغنية لطالبي الحق، وسير الأسرار..، توفي سنة (561هـ/1176م)..للإطلاع أكثر على هذه الشخصية يُنظر إلى: **كتاب الغوث الأعظم**، ص:12 ، وكتاب **الغنية لطالبي الحق**، ص: 03، لنفس المؤلف.

(2)- إدوارد دو نوفو، **الإخوان –دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عن مسلمي الجزائر–**، تر: كمال فيلالي الجزائر: دار الهدى، 2003، ص: 29.

(3) -*Louis Rinn, Op,cit, p : 178 .*

إليها أحفاد ابنيه الآخرين إبراهيم وعبد العزيز اللذين روجا لطريقة جدهم، وفي الأندلس ومنها وصلت إلى المغرب الأقصى والجزائر، أي أن تعاليم القادرية قد انتشرت في الجزائر قبل مجيء العثمانيين.

لقيت القادرية كل الدعم والتشجيع خلال العهد العثماني في الجزائر حتى ازدهرت زواياها وعمت معظم التراب الوطني، غير أن أهم زاوية في الجزائر تلك التي أسسها الحاج مصطفى الغريسي وهو جد الأمير عبد القادر والذي بنى أول زاوية بالجزائر سنة (1200هـ/1786م) [1]، وأصبحت تعرف بزاوية القيطنة. [2]

كان الحاج مصطفى الغريسي يتردد على بغداد بعد أداء فريضة الحج إلى أن توفي في حجته الرابعة أثناء عودته في ليبيا، ليعود أمر الزاوية بعده إلى إبنه "محي الدين" الذي ساهم في نشر الطريقة وتلقين أورادها، ثم تولى شؤونها بعد وفاته سنة (1250هـ/1834م) ابنه عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وتنقسم زوايا الطريقة القادرية في القطر الجزائري إلى زوايا القادرية وزوايا العمارية.

ومن أهم زوايا الطريقة القادرية نذكر الزوايا الواقعة في الجنوب الشرقي وأقصى الجنوب والغرب:

- زاوية الرويسات في منطقة ورقلة والتي أسسها "محمد الطيب بن إبراهيم" سنة 1884م الذي كان جنديا قديما في الجيش الفرنسي، وساهم مساهمة فعالة في دخول القوات الفرنسية

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:01، المرجع السابق، ص: 514.

(2)- القيطنة قرية صغيرة تقع على وادي الحمام المعروف بحمام بوحنفية تبعد عن معسكر بحوالي 30كم.

لأقصى الجنوب خصوصا منطقة عين صالح وخاض معركة "تيط" ضد الطوارق في الهقار سنة 1902م ومعارك أخرى إلى أن لقي حتفه في معركة "شاروين" بقورارة. (1)

نقل جثمانه ودفن في الزاوية بالرويسات ليخلفه ابنه "حسين بن إبراهيم" لكونه من أعيان المنطقة ودخل في صراع مع أخيه "الأمين بن إبراهيم" حول من يقود الزاوية مع العلم أن الأول كان مدعما من الإدارة الاستعمارية. (2)

- زاوية المنيعة التي وصل عدد أتباعها المائة حسب إحصائيات سنة 1920م يجتمعون في هذا المكان و لم يتعدى صيتها خارج هذا الإقليم تحت رئاسة المقدم "مبروك بن قويدر بن غنيسة" المولود في سنة 1897م، هذا بالإضافة إلى بعض الزوايا الصغيرة المنتشرة عبر القطر الجزائري في الوادي والأغواط والجلفة والمنيعة وناحية مستغانم وناحية تلمسان بندرومة. (3)

- الزاوية العمارية التي أسسها "عمار بوسنة" المولود بتاريخ 1712م في مقاطعة قسنطينة و لم تنتشر تعاليم هذه الزاوية إلا مع مطلع سنة 1815م على يد أحد الشيوخ المغاربة وهو "الحاج مبارك البخاري" الذي أسس هو الآخر الزاوية الأم في منطقة عين الدفلى بمقاطعة قسنطينة.

إضافة إلى زاويتين للعمارية الأولى زاوية القليعة والتي تشرف على شؤون مريدي مقاطعة وهران وغرب الجزائر العاصمة والمغرب الأقصى، والزاوية الثانية زاوية قالمة التي تشرف على مريدي الطريقة في الشرق الجزائري وتونس، وعاشت بعيدا عن كل الشبهات السياسية. (4)

---

(1)– ***A.N.O.M, 16H35, ALG****, département d'Alger, Surveillance politique des indigènes, Ordres religieux, divers. Notices.*

(2)– *Ibid.*

(3)– *Ibid.*

(4)–*Ibid.*

بلغ عدد زوايا القادرية في الجزائر حسب إحصاء 1882م 29 زاوية و268 مقدما وأتباعها 14574[1]، وفي سنة 1897م ظهرت إحصائيات أخرى في كتاب (الطرق الدينية الإسلامية) "لأوكتاف ديبون"(*Octave Depont*) و"كزافييه كوبولاني" (*Xavier Coppolanie*) تذكر الأعداد التالية: الإخوان 25578، منهم 2695 امرأة و558 مقدما و33 زاوية و521 طالب و04 شيوخ. [2]

ب/ الطريقة الشاذلية:

كان للطريقة الشاذلية إمتداد من المغرب الأقصى وتنسب إلى أبو الحسن علي الشاذلي المولود عام (571هـ/1196م)، والذي نُسبت إليه الطريقة وأصبحت تسمى باسمه، وتذكر المصادر من أنه ولد "بشاذلة" وهي قرية صغيرة بالقطر التونسي واتخذها مقرا لنشر طريقته. [3]

انتشرت هذه الطريقة في الجزائر مع مطلع القرن (13م) في كل من إقليمي الأغواط والجلفة على يد "الحاج موسى بن علي بن الحسين" الذي عرف بـ"بوحمارة" بمنطقة الأغواط التي بنى بها زاوية عندما قدم إليها من مصر[4]، وتنقسم الشاذلية إلى عدة فروع منها (الطيبية، الدرقاوية الشيخية، الزيانية، العلاوية، العيساوية، الحنصالية، اليوسفية، المدنية، الهبرية، الحبيبية..).

---

(1) - *Louis Rinn, Op,cit, p :200*.

(2)- عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، الجزائر: دار الهدى، 2008 ص: 313.

(3) - *Coppolani (x),Dopont (o), Op,cit, p :444*.

(4)– ***A.N.O.M, 16H35, ALG**, Op,cit*.

ج/ الطريقة الطيبية:

تأسست هذه الطريقة على يد شيخها مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف (ت1089هـ/1679م) الذي ولد بقرية بني عروس، وبعد بلوغه سن الرشد قصد مدينة تطوان[1] لتلقي العلم، ثم سافر إلى فاس وتتلمذ على يد العلماء القرويين، وفي عهد ابنه انتشرت الطريقة في الجزائر، ثم في عهد حفيده الشيخ الطيب الذي تولى تسييرها في عام (1127هـ/1715م) حيث عرفت الطريقة انتشارا واسعا شمل كل أنحاء المغرب العربي وأصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بالطريقة الطيبية، رغم أن تأسيسها يعود إلى الشيخ عبد الله الشريف. [2]

تستمد الطريقة الطيبة أصولها من الطريقة الشاذلية، انتشرت في العهد العثماني بالجزائر في مناطق عديدة خاصة في مطلع القرن الثامن عشر في المناطق الشمالية لإقليم توات وأصبحت منطقة قورارة المركز النابض لهذه الطريقة، كما انتسبت إليها أعداد كبيرة من الأفارقة الذين توافدوا على إقليم توات. [3]

بلغ عدد أتباع الطيبية في الجزائر حسب إحصاء (1882م) 15744 مريد و301 مقدما و20 زاوية، وفي إحصاء "كوبولاني" (*Coppolanie*) عام (1896م) بلغ عدد منخرطيها بـ 22142 مريد[4]، وللإشارة فقط نجد أن هذه الطريقة تقربت هي الأخرى من الإدارة الفرنسية.

---

(1)- تقع تطوان في الجهة الشمالية للمغرب الأقصى بمقربة من البحر المتوسط، غير بعيدة عن مضيق جبل طارق.

(2) -*Louis Rinn, Op,cit, p :384* .

(3) –***A.N.O.M,16H08, 09H10****, préparation du travail de MR, depont et coppolani sur les confréries religieuses enquête et rapports.*

(4) - *Louis Rinn, Op,cit, p :384.*

د/ الطريقة الدرقاوية:

نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بأبي درقاوي الشريف الإدريسي[1]، ولد في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش (1150هـ/1737م) اشتهر بالاستقامة والزهد في متاع الحياة الدنيا، وطريقته تستمد أصلها من الطريقة الشاذلية[2]، انتشرت في غرب الجزائر مثل وهران ومستغانم تلمسان وتيارت على يد عبد القادر بن الشريف الدرقاوي.

ومع مطلع القرن 19م أعلنت الدرقاوية الثورة ضد العثمانيين في الجزائر على يد ابن الأحرش في قسنطينة، ثم اندلعت في الغرب الجزائري على يد عبد القادر بن الشريف[3]،كما قاومت الفرنسيين على يد الشيخ الدرقاوي "المدني بوحمارة" في نواحي الأغواط. [4]

عُرف الدرقاوة بزعامتهم وانتمائهم إلى الأصول البربرية في بلاد المغرب الإسلامي ومقاومتهم للأجنبي[5]، ومن أشهر زوايا الدرقاوية في الجزائر زاوية الشيخ "عدة غلام الله" التي تأسست على يد الشيخ "عدة بن محمد الموسوم بن غلام الله"(1747-1866م)[6]، حيث استأذن شيخه

---

(1)- المختار الطاهر فيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، الجزائر: دار الفن للطباعة، 1976، ط: 01، ص: 53.

(2)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 149.

(3)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص: 49.

(4)- نفسه، ص: 49.

(5)- ***A.N.O.M, 9X306,*** *Jaques Carret,* ***le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie****, Mémoires du centre des haute études d'administration musulmane. p :26.*

(6)- ***A.N.O.M, 2U08 a et b,*** *Confrérie derkaouia-chadoulia-ziania, alaouia Affaires diverses (1889-1945) (1887-1952).*

"مولاي العربي بن عطية" في الهجرة بعد استيلاء الفرنسيين على القطر الجزائري إلى "محنون" بولاية تيارت أين أقام زاوية لنشر تعاليم طريقته وبنى بها مسجدا، بالإضافة إلى دور للقـــراءة ومـــأوى لعابري السبيل.

بلغ عدد أتباع الطريقة الدرقاوية في الجزائر حسب إحصـــاء (1897م) حـــوالي 9567 منخرط و10 زوايا[1]، ومن أشهر الطرق الفرعية المنحدرة عن الدرقاوية نذكر الطريقة الهبريـــة للشيخ أحمد بن مصطفى المتوفي بمستغانم سنة 1934م إلى جانب فروعها الأخـــرى المنتشـــرة في المغرب الأقصى.

ومن فروعها أيضا الطريقة الهبرية التي تنسب إلى الحاج "محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري الغزاوي" المولود عام 1823م بالمغرب الأقصى، كما تفرعت عن الهبرية الطريقة "البودالية" على يد الشيخ البودالي بن عبد القادر الجباري المولود عام 1847م الذي بنى زاويته في تخمارت بناحية تيارت. [2]

ومن الطرق الأخرى المتفرعة عن الشاذلية نذكر الطريقة "العلاوية" التي تأسست بالحي القديم بمستغانم بـــ "تجديت" وهذا حوالي سنة 1920م على يد الشيخ "بن عليوة أحمد بن مصـــطفى" الذي كان له توجه حداثي في حياة الخلوة والزهد مع مشاركة المجتمع في حياته اليوميـــة بكـــل تفاصيلها، مما جعل هذه الطريقة وشيخها محل اهتمام ومراقبة السلطات الاستعمارية. [3]

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج:04، ص: 120.

(2)- نفسه، ص: 120.

(3)- ***A.N.O.M, 2U8, a et b**, Op, cit.*

هـ/ الطريقة السنوسية:

تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي، ولد عام (1202هـ/1787م) ببلدة "يلل" قرب مدينة مستغانم في عمالة وهران[1]، وسبب اشتهاره بالسنوسي يعود إلى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المعروفة وعالم تلمسان[2]، حفظ القرآن وتلقى دراسته الأولى في معسكر "مازونة" ثم رحل إلى فاس ثم ارتحل إلى مصر ودرس بالأزهر، ثم انخرط في بعض الطرق الصوفية الأخرى كالشاذلية والناصرية والقادرية، أسس في مكة المكرمة أول زاوية له سنة 1837م وتصدى هناك للفتوى التي قدمها "ليون روش" (*Leon Roches*) التي تطالب العلماء بإيقاف معركة الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين.

عاد إلى الجزائر وعندما وصل إلى "قابس" جنوب تونس علم بمساعي الفرنسيين للقبض عليه فرجع واستقر "ببرقة" بليبيا، وأسس بها زاويته التي عرفت بالزاوية البيضاء توفي في ليبيا عام 1859م في واحة "سيوى"، ولهذه الطريقة السبق في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.[3]

اعتبرها الاستعمار من أخطر الطرق الصوفية التي تهدد وجودهم في الجزائر وليبيا وحتى في إفريقيا الوسطى وفي تشاد، حيث رفعت السيف في وجه الفرنسيين في صحراء الجزائر على يد الثائر محمد بن عبد الله[4]، كما تصدت للاستعمار الايطالي في ليبيا على يد المجاهد عمر المختار.

---

(1)– ***A.N.O.M, 16H35, ALG***, *Ordres religieux, divers. Notices…Op, cit.*

(2)– إسماعيل خنفوق، المرجع السابق، ص: 36.

(3)– *G.P.J ,André,* ***Contribution a l'étude des Confréries religieuses Musulmanes****, Alger : édition, la maison des livres, 1956, p :229.*

(4)– يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنيين 19–20م**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980، ص: 132.

وحسب الإدارة الاستعمارية أن هذه الطريقة يلتقي فكرها مع الفكر الوهابي المعادي للتواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر والإيطالي في ليبيا، كما تمثل هذه الزاوية بداية دخـــول الفكـــر الوهابي لمنطقة الشمال الإفريقي ككل..، كما لا يوجد في الجزائر إلا زاوية واحدة تلك المعروفـــة بالزاوية "التكوكية" والموجودة بأولاد شافع في البلدية المنطقة المختلطة "مينا" بعمالة وهران وعلى رأسها توجد عائلة تكوك وهي إحدى العائلات المنحدرة من الشيخ السنوسي والتي شـــكلت في البداية خطرا على التواجد الفرنسي، لكن سرعان ما زال هذا الخطر لأن غالبية أفرادها تطلعـــت إلى أحداث التراب الليبي وأصبحت لا تشكل خطرا على الاستعمار الفرنسي في الجزائر. [1]

و/ الطريقة الرحمانية:

عرفت بالرحمانية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبـــد الـــرحمن القشـــتولي الجرجـــري الأزهري [2]، ولد في قبيلة آيت إسماعيل، ويرجع تاريخ ميلاده إلى سنة (1132هـــ/1720م) تلقى تعليمه بزاوية الشيخ بن صديق بن أعراب بآيت ايراثن[3]، ثم توجه إلى المشرق العـــربي لأداء فريضة الحج في عام (1152هـــ/1739م) وأثناء رجوعه استقر بمصر حيـــث درس في جـــامع الأزهر وتلقى تعاليم الطريقة الخلوتية على يد الشيخ محمد بن سالم الحفناوي والذي عهد له بنشر الطريقة الخلوتية في أنحاء عدة من العالم الإسلامي كالسودان والهند وتركيا. [4]

---

(1)– ***A.N.O.M, 16H35, ALG**, Ordres religieux, divers. Notices…Op, cit*

(2)– سمي بالجرجري نسبة إلى جبل جرجرة موطن قبيلته، والأزهري لدراسته بالجامع الأزهر.

(3)– عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزائر: د.م.ج، 1994، ط: 07، ج: 04، ص: 47.

(4)– عبد القادر عثماني، **الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري**، مجلة منبر الإمام مالك، ع: 04، الجزائر: دار الهدى 2002، ص: 12.

وفي عام (1177هـ/1763م) عاد إلى الجزائر وأسس زاوية في مسقط رأسه بقرية "آيت إسماعيل" وتفرغ لنشر العلم وتلقين مبادئ التصوف على النهج الخلوتي[1]، فالتف حوله الناس من شتى الجهات خاصة من الوسط والشرق الجزائري وحتى من تونس[2]، رغم المعارضة التي واجهها من خصومه المرابطين بعد النجاح الذي حققه والذي أصبح يهدد نفوذهم.

وبعد وفاته عام (1208هـ/1793م) عرفت طريقته باسم الرحمانية، وقام العثمانيون بنقل جثمانه من قبره في مسقط رأسه إلى الحامة بالعاصمة الجزائر لمراقبة زوار ضريحه، وبنوا عليه مسجدا لذا سمي "ببوقبرين".

وأصبح للطريقة الرحمانية عدة زوايا يتزعمها مقدمين مستقلين عن الزاوية الأم وهذا على مستوى قسنطينة، سوق أهراس، سدراته، عين مليلة، مسكيانة، سيدي الناجي، خنشلة، باتنة بسكرة، طولقة، فج مزالة، بريكة، ميلة وأعالي الأوراس[3]، بالإضافة إلى بعض الفروع لها في نقاط عديدة من القطر الجزائري فكانت الأكثر تأثيرا من الطرق الصوفية الأخرى في الحياة السياسية والاجتماعية إضافة إلى عدد مريديها الكبير.

إذن تعد الطريقة الرحمانية أول طريقة من حيث عدد الأتباع حسب إحصاء عام 1896م إذ بلغ عددهم 156214 منخرط و177 زاوية و873 مقدم[4]، وتفرعت إلى عدة فروع منها

---

(1)- أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن 19م**، القاهرة: (د.ت)، 1967، ص: 246.

(2)- ماجدة القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها – دراسة تحليلية نقدية–**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص: 39.

(3) –*Ali Merad, **Le Réformisme Musulman en Algérie de 1925 a 1940**, Essai d'histoire religieuse et sociale, Alger : des éditions el-hikma, 2éme édition, 1999, p :55.*

(4) –*Coppolani (x), Depont (o), Op,cit, P : 215.*

زاوية طولقة، وزاوية بن عزوز..إلخ، كما تُعد الرحمانية من أهم الطرق الصوفية التي واجهت الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

ز/ الطريقة التجانية:

تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد التجاني ولد بعين ماضي سنة (1150هـ/1737م)، لقب بالتجاني نسبة إلى قبيلة "بنو توجين" التي استقرت قديما بعين ماضي قرب الأغواط[1]، بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن وتلقى العلوم العربية والفقه المالكي، سافر إلى مدينة فاس ودرس علم التصوف، ثم تتلمذ على يد عبد الرحمن الأزهري[2]، ثم اتجه إلى تونس ثم مصر ثم البقاع المقدسة، والتقى بمجموعة من العلماء مثل محمد الكردي في مصر والشيخ السمان في مكة، واستطاع من خلال رحلاته جمع آراء وأفكار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وشكل من ذلك كله مذهب صوفي خاص به، واستطاع أن يجمع عدد كبير من الأتباع والمريدين الذين يؤمنون بجملة من الأفكار والمعتقدات التي تقوم على الجانب السلوكي من خلال الالتزام بالواجبات الدينية كالأوراد وقراءتها في أوقات محددة ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صل الله عليه وسلم.[3]

---

(1)- محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع: محمود حقي، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964، ط: 02، ص: 125.

(2)- محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس**، طبعة حجرية المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 95، ج: 01 ، ص: 182.

(3)- محمد بغداد، **تماسين جوهرة الصحراء**، الجزائر: دار الحكمة، (د.ت)، ص: 98.

وقد أعلن أمام جمهور مريديه في "بوسمغون" عام (1196هـ/1781م) أنه وقع له الفتح الأكبر، وأنه رأى الرسول صل الله عليه وسلم يقظة لا مناماً وعين له وردا جديدا على حد قول أحمد التجاني نفسه. [1]

وأمام نشاطه المتزايد وجولاته المتعددة عبر الصحراء الجزائرية وحتى خارج الجزائر كالسودان وتونس، والتفاف الناس حوله وإنشائه لعدد كبير من الزوايا آثار قلق الأتراك مما جعل باي وهران يستولي على مدينة عين ماضي مقر الطريقة التجانية سنة 1784م وفرض عليها إتاوة، فقرر الشيخ أحمد التجاني الهجرة مع أهله وأتباعه إلى فاس التي استقر بها[2]، ومنحه السلطان المغربي مولاي سليمان قصرا بحوش "المرايا" وخص له راتبا مما جعله يتفرغ لنشر طريقته وبث تعاليمه. [3]

وقد قام ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير بثورة ضد الأتراك (1826-1827م) كرد فعل على استفزازهم وظلمهم، لكنهما فشلا وقتل محمد الكبير سنة (1827م). [4]

ومن بعهده سار عدد من الشيوخ على نهجه وطريقته أبرزهم الحاج علي بن الحاج عيسى الرجل الثاني في الطريقة وهو مقدم وشيخ زاوية "تماسين"، بالإضافة إلى "الصغير" المدعو محمد

---

(1)- علي حرازم برادة الفاسي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أحمد التجاني**، بيروت: دار الكتب العلمية 1997، ط: 01، ص: 40.

(2)- عمار هلال **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1988، ص، ص: 119، 120.

(3)- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص: 177.

(4)- المختار الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص: 49.

الحبيب (1801-1853م) إبن الشيخ المؤسس للطريقة الذي دخل في صراع مع الأمير عبد القادر والذي سنأتي على ذكره لاحقا. [1]

هذا إضافة إلى محمد العيد ابن الرجل الثاني في الطريقة و"أحمد عمار" (1850-1897م) ابن الشيخ الثالث للزاوية الذي دخل في نزاع مع بعض المسؤولين الإداريين الفرنسيين أين تم نفيه إلى فرنسا ليتزوج بالفرنسية "أوريلي بيكار".

تحت ولاية هذا الأخير شهدت الزواية تطورا ماديا وروحيا ثم خلفه أخوه "البشير" (1852-1911م) ثم "علي" (1864-1920م) ابن أحمد ثم محمد الكبير (1864-1931م)، ابن البشير الذي أصبح على رأس الزاوية التجانية مدة 11 سنة، من (1920-1931م)، أما عن توجهات الزاوية فإنها لم تخرج عن النظام بل كانت مقربة من السلطات الفرنسية. [2]

وقد انتشرت الطريقة التجانية في المغرب الأقصى وإفريقيا السوداء وحتى في تركيا[3]، وفي السنغال ونيجيريا والسودان والغابون والكونغو ومصر وبلاد الغرب وبعض أجزاء من قارة آسيا.

---

(1)– ***A.N.O.M, 16H35, ALG****, département d'Alger, Surveillance politique des indigènes, Ordres religieux, divers. Notices...Op,cit*

(2)– ***A.N.O.M,16H35,ALG****, ,Ordres religieux, divers. Notices.*

(3) –*Gouvernement Générale de l'Algérie,* ***service de l'action administrative et économique,*** *bulletin de liaison et de documentation –février- mars, 1956, p :17.*

بلغ عدد زوايا الطريقة التجانية حسب إحصاء (1882م) 17 زاوية، و100 مقدم و11082 مريد[1]، ومن أهم زواياها زاوية عين ماضي والتي بها 15000 مريد، وزاوية تماسين التي بها 40000 مريد[2]، دون أن ننسى زاوية "قمار" بوادي سوف وزاوية ورقلة.

ح/ الطريقة الشيخية:

هي فرع من فروع الشاذلية ونسبت لمؤسسها الشيخ "عبد القادر بن محمد" المدعو "سيد الشيخ" المتوفي سنة (1615م) ببلدة الأبيض سيدي الشيخ، أخذ عن شيخه محمد بن عبد الرحمن السهلي تلميذ الشيخ أحمد بن يوسف المليانى الراشدي، وللشيخ قصيدة معروفة "بالياقوتة". [3]

تنحدر أسرة أولاد سيد الشيخ من الخليفة الثاني للمسلمين "أبي بكر الصديق" رضي الله تعالى عنه، ومقر هذه الزاوية متواجد "بالبيوض" سيد الشيخ (ملحقة البيض)، ويذهب أحد الكتاب الفرنسيين (هنري دوفرييه) على أنهم من الأشراف من نسل فاطمة وعلي رضي الله تعالى عنهما[4]، ونظرا لهذه المجد الديني اكتسبت هذه الأسرة مكانة مرموقة بين الناس وزادها وضعها الجغرافي المفتوح على الطرق الصحراوية جنوبا والتلية شمالا أهمية خاصة، فاستغنت بالدين والتصوف وتحكمت بالسياسية والجاه ولذلك اختلط أمرها على الدارسين كما أشار لذلك الباحث أبو القاسم سعد الله. [5]

---

(1) -*Louis Rinn, Op,cit, p :451.*

(2) -*Gouvernement Générale de l'Algérie , Op,cit, p :17.*

(3)- عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية**، وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع، 2006، ص:13.

(4)– *Henri Duveyrier, **Exploitation du Sahara, les touareg du nord**, paris : challamel aine libraire-éditeur, 1864, p : 315.*

(5)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854**...المرجع السابق، ج:04، ص، ص: 104، 105.

يقول "لوي رين" من أن الطريقة الشيخة ليست جماعة دينية ولا طريقة صـــوفية ولا جمعيـــة خيرية بالمعنى الحقيقي للكلمة، إنها خليط من تأثيرات مرابطية في أيدي أناس كثيرا مـــا يكونـــون منقسمين لكن لهم أصل واحد ويضعون سلطتهم الدينية في شكل مزدوج ولا شك أن ذلك كان عندما سلك الفرنسيون معهم سياسة فرق تسد. (1)

وازدادت هذه الطريقة انتشارا منذ 1892م، ويساهم مريدوا الزاوية بربع مداخيلهم السنوية لفائدة الزاوية الأم، كما يوجد لها أتباع في المغرب الأقصى، ويعد هؤلاء الأتباع من كبار تجـــار الصحراء خصوصا في مقايضة (القمح بالتمور). (2)

أما عن عدد الأتباع فهو بالنسبة للطرق الأخرى كثير، لأن أتباع الشيخية ليســـوا دينـــيين فحسب ولكن رعايا سياسين أيضا، حيث يذكر إحصاء سنة 1882م أن الأتباع الدينيون لهـــذه الطريقة يبلغ 2.780 من الأتباع و39 مقدما وخمس زوايا، بينما ذكر لهم إحصـــاء 1897م عددا أكثر من الأتباع وعددا أقل من الزوايا، فالأتباع بلغ عددهم 10.216 إخوانيا ولهم أربع زوايا و45 مقدما، وقد أكد إحصاء 1906م هذا الإحصاء الأخير. (3)

2- مواردها:

كنا قد أسلفنا الذكر حول اهتمام الإدارة الاستعمارية بدراسة الطـــرق الصـــوفية وإجـــراء إحصائيات لها ولممتلكاتها وعدد مريديها وعدد زواياها المنتشرة، حيث تناول ضباطها العسكريون أمثال "لوي رين" (*Louis Rinn*) و "كبولاني" (*Coppolani*) خلال دراستهم لهذه الطـــرق

---

(1) - *Louis Rinn, Op,cit, p :349 .*

(2)– ***A.N.O.M,16H35,ALG**, département d'Alger, Surveillance politique des indigènes Ordres religieux, divers. Notices…Op,cit*

(3)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ..المرجع السابق، ج:04، ص، ص: 110، 111.

الجانب الاقتصادي وذلك بالاهتمام بمواردها ومداخيلها، وهو ما سنراه من خلال هـذا العنصـر حيث تتمتع كل طريقة بموارد تزيد أو تنقص بحسب مكانة الطريقة في حد ذاتها، وبحسب عـدد مريديها وأتباعها ونوعية الشرائح المنتمية إليها، وعموما تتغذى الطرق الصوفية مـن مصـدرين أساسيين هما:

أ/- الممتلكات القارة:

عبارة عن حبوس وأوقاف خاصة وعامة يوقفها أصحابها خدمة للزاوية (الطريقة)، حيـث لا يوجد هناك قبر" وليّ "أو" مرابط"، أو زاوية مسيّرة من طرف أحفاده غـير محاطـة بـبعض الهكتارات من الأراضي الخصبة التي يعود حق استغلالها لصالح المؤسسات الدينيـة كالبسـاتين والأشجار المثمرة والأراضي الزراعية والمباني العقارية والمدارس..إلخ[1]، إلا أن الإدارة الاستعمارية صادرت الكثير من الحبوس بمقتضى قرار 1830/12/07 وقرار 1848/10/13م القاضـي بإلحاق الحبوس إلى أملاك الدولة. [2]

ب/- الممتلكات المنقولة:

ونعني بها الصدقة والزيارة والهدايا والزكاة والعشور، أما الزيارة فتقدم نقدا أو عينا في شـكل حبوب، تمور، زيوت، مواشي..إلخ[3]، وتقدم كل نهاية فصل الربيع والخريف والزيارة لا يسـتثنى منها أحد، وعليه إذا افترضنا أن كل منخرط يقدم ما قيمته 05 فرنكات (01 دورو) عند كـل زيارة، يعني أن زيارة كل منخرط تصل إلى 10 فرنكات في السنة، ويعني ذلك أيضا أن مجمـوع

(1) -*Coppolani, Depont, Op,cit, p :227*.

(2) - *Ibid, p :252*.

(3) - *Louis Rinn, Op,cit p :516, Aussi :Coppolani, Op,cit, p :240*.

المنخرطين في الطرق الصوفية وعددهم (295189) شخص حسب إحصـــاء ســـنة 1882م يدفعون للزوايا ما قيمته 03 ملايين فرنك. [1]

ويعود التفاوت في الثروة بين مختلف الطرق الصوفية إلى عوامل عدة منها تنوع الموارد، التوزيع الجغرافي، نوعية الموارد، عدد الأتباع وتوزيعهم الجغرافي ووضعيتهم الاجتماعية والموقـــع كـــذلك يفسر من الناحية الاقتصادية، فوقوع الزوايا التجانية مثلا على مشارف الطرق الرابطة بين المغرب وتونس وحتى المشرق، وتحكمها في طرق القوافل العابرة للصحراء والقادمة من السودان جعل من زواياها محطات تجارية آمنة، هذا الموقع مكن الطريقة التجانية من الحصول على أربـــاح كـــثيرة إضافة إلى امتلاكها العديد من أشجار النخيل في الجزائر والجنوب التونسي. [2]

إضافة إلى عدد الأتباع وتوزيعهم الجغرافي ووضعيتهم الاجتماعية، إلا أن هذه الأمور كلـــها تحدد المردود السنوي العائد من الزيارت التي تعد موردا هاما بالنسبة للطرق، أما بالنسبة للفترة التي ندرسها فإن السياسة الاستعمارية التي تقوم على تطويق الطرق المناهضة لها وفسح المجـــال أمـــام الموالية لها قد ساعدت إلى حدّ ما بعض الطرق على توسيع قاعدتها.

لقد تنبهت الإدارة الاستعمارية إلى البنية الاقتصادية للطرق الصوفية ورأت في ذلك خطرا على وجودها، بل اعتبرت هذه الطرق بمثابة دويلات داخل دولة فراحت تضعف الكثير منها عن طريق مصادرة الحبوس ومنع الزيارات بحجة أنها تثقل كاهل الناس وأنهم أصبحوا عاجزين علـــى دفـــع الضرائب للسلطات الاستعمارية، إلى جانب ذلك تم التضييق على شيوخ الطرق الصوفية قصـــد تركيعهم واحتوائهم وتوظيفهم حسبما تقتضيه مصلحة الإدارة الاستعمارية. [3]

---

(1) - *Coppolani (x),Dopont (o), Op,cit, p :254.*

(2)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص: 45.

(3) - *Louis Rinn, Op,cit, p :450 .*

3- خصائصها:

رغم تباين الطرق الصوفية من حيث تعاليمها ومفاهيم الممارسة الصوفية عند مشايخها والاختلاف الظاهر نسبيا في كيفية أداء الأوراد والأذكار وأوقاتها، إلا أننا نجدها تشترك في جملة من الخصائص والأهداف النبيلة التي تكسبها مكانة دينية واجتماعية وأخلاقية مرموقة في أوساط المجتمع الجزائري، إضافة إلى التنظيم الصوفي المحكم الذي تميزت به عبر مختلف مراحل انتشارها.[1]

وسعيا منها لتربية أتباعها وتهذيبهم روحيا بتزكية أنفسهم والسمو نحو المُثل العليا وضعت الطرق الصوفية أورادا وأذكارا وأدعية رتبتها حسب أوقات معينة، وهذا ما يمكننا من تحديد أهداف الطرق الصوفية في النقاط الآتية:

- تعتبر الطرق الصوفية بتعدد تشكيلاتها إحدى الحركات الإصلاحية ذات الطابع الديني وهي بمبادئها وتعاليمها الشرعية صالحة لكل زمان ومكان.

- ساهمت هذه الطرق في جذب العديد من المريدين إليها واستقطبت مختلف فئات المجتمع عبر مراحل تاريخها الطويل وإلهامها الروحي وتأثيرها الديني النابع من نصوص القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية الشريفة، وبذلك استطاعت أن تحافظ على وجودها واستمرارها في بعض الأقاليم مثل إقليم توات بالجنوب الجزائري.

---

(1)- أحمد دركوش، **مواقف الطرق الصوفية من الإستعمار في الجزائر وتونس(1830-1914م) -القادرية والتجانية أنموذجا-** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011/2010، ص: 23.

– بساطة تعاليمها ومناهجها الفكرية منح لها التجاوب مع أفكار الناس في كل زمان ومكان واستقطابهم كأتباع لها، وفي هذا يرجع السبق إلى بعض شيوخ تلك الطرق الذين جمعوا بين العلم والفقه والتصوف. (1)

– عرفت الطرق الصوفية نقلة نوعية بسبب الاصطدام الحضاري بين الشرق والغرب أثناء الحروب الصليبية وفي فترة الحركة الاستعمارية الأوربية، حيث امتزج نشاطها الديني القائم على نشر الإسلام والتعريف به عند الشعوب الوثنية بالجهاد ضد حركات التبشير والتنصير. (2)

من خلال هذا تتضح خصائص الطرق الصوفية وأهدافها الواضحة الجلية وذلك في ترسيخ الحياة الروحية من عبادة وذكر في نفوس الأتباع وتكوين شخصية فرد مسلم بمبادئ دينية رشيدة اعتمادا على العقل المدرك والفؤاد المدبر والفطرة السليمة التي تزكيها تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية والتحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة وترسيخ عقيدة المعية الإلهية.

إن هذه الأعمال –فضلا على أنها تصعب على الإنسان العادي– قد ساهمت في فقدان الأتباع لوعيهم والشعور بواقعهم وعدم المشاركة فيما يحيط بهم، وهي ممارسات شجعها الاستعمار الفرنسي لصرف اهتمامات المريدين عنه، وتوجيهها إلى مجالات أخرى حتى يتفرغ هو لتنفيذ مخططاته دون أن يجد من يقف في سبيله، الأمر الذي يكشف لنا عن الدور السلبي الذي لعبته بعض الطرق الصوفية تجاه أتباعها وتجاه ما يتطلبه واقع البلاد آنذاك. (3)

---

(1)– أحمد دركوش، المرجع السابق، ص: 23.

(2)– عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص: 32.

(3)– التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 57.

ثالثا- الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر:

تميزت علاقة العثمانيين برجال التصوف والمرابطين في البداية بالتقارب، لأن المتصوفة رأوا في العثمانيين مسلمين مجاهدين ضد الإسبان الغزاة، ومنذ البداية كان العثمانيون يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم، خاصة بعدما وجدوا أن ثلثي البلد تحت سيطرتهم وأدركوا دورهم أكثر عند رد الهجمات الأوربية[1] وتعبئتهم للناس فرأوا أن نفوذ المتصوفة من شأنه أن يسهل عليهم الأمر أكثر من عدد كبير من الجيوش[2]، لهذا اعتمدوا على المرابطين كثيرا خاصة من أتباع الطريقة القادرية والشاذلية[3]، وقد وضعوا لهذا سياسة ارتكزت على أسس تحول دون أي نشاط عدائي ضدها من طرف الطرق الصوفية، ومن بين هذه الأسس:

- الإبقاء على التواصل مع زعماء الطرق الصوفية وتقديم ضمانات لهم وامتيازات، إضافة إلى إظهار الاحترام وتجنب أي ضرر قد يلحق بالأضرحة والزوايا باعتبارها ملاذا للفارين.[4]

- مراقبة شيوخ الزوايا ومقدمي الطرق بحذر وبهدف تجنب عدائهم خاصة في المناطق الغير مراقبة أو البعيدة عن أعين المحلة.[5]

- إضافة إلى إقناع شيوخ ومقدمي الطرق بمدينة الجزائر بالعدول عن إثارة القبائل المعادية.

---

(1) - *Henri Garrot,* ***histoire général de l'Algérie****, Alger :Imp, cresienzo ,o.p.u, 1970, p, p : 638,639.* ***et Aussi*** *: Louis Rinn, Op,cit, p :456,*

(2) - *Nacib youcef,* ***Signalisation d'une bidagogie confrérique dans la poésie orale kabyle,*** *in ana, afrn, n° 33, 1994, p :34.*

(3) - *Pierre Boyer,* ***Contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger 16 ème siècle****, in : R.O.M.M, N :01, 1966 , p,p : 13,14.*

(4)- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982 ص، ص: 110،111.

(5) - *Nacer-eddine Saidouni,* ***l'Algérois Rural a la fin de l'époque ottomane (1791-1830)****, Beyrouth : der-elmgherb-el-islami, 2001, p : 396.*

إذن من خلال هذا يمكن أن نميز بين ثلاثة مواقف واضحة لدى رجال الطـــرق الصـــوفية في تعاملهم مع الإدارة العثمانية:

1- التأييد والترحيب:

هذا الصنف بارك الوجود العثماني وخدمه منذ أول عهده بالجزائر ورحب بالعثمانيين فشـــعر هؤلاء بأن أقرب الناس إليهم رجال الدين والتصوف، وحاولوا توظيف فكرة التضامن الإســـلامي لترسيخ نفوذهم لدى مختلف الأوساط الشعبية بالتقرب إلى المرابطين وشيوخ الزوايا[1] بإعفـــائهم من الضرائب والغرامات والتسامح بينهم في إقامة الولائم والحضرات وجلب الأتباع مـــن أجـــل وقوفهم مع السلطة أثناء مواجهتها للصعوبات[2]، فشاع في الجزائر التحـــالف بـــين العثمـــانيين والمرابطين حتى عرف الناس أن هناك سياسة عامة متبعة، فكثرت الأضرحة والقبـــاب ودخلـــت الطرق الصوفية من المشرق والمغرب. [3]

إن هذه المنزلة التي أنزل الحكام العثمانيين فيها الطرق الصوفية والمرابطين شجعت الكثير مـــن الدجالين على ابتداع أمور تتنافى مع الشرع ولا يقبلها العقل السليم، حتى ينســـبوا إلى الطـــرق الصوفية وينالوا بذلك التقرب والتقدير الذي تحضي به السلطة الحاكمة فئة المتصوفة، الشيء الذي جعل بعض العلماء ينتقدون سلوكاتهم ويفضحون تصرفاتهم المنحرفة والمتناقضـــة مـــع حقيقـــة

(1)- أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص: 121.

(2)- غالي الغربي، **ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م**، مجلة الدراسات التاريخيـــة، ع: 10 1997، ص: 54.

(3)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...،ج:01، المرجع السابق، ص: 466.

التصوف الحق، ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد الكريم الفكون الذي انتقدهم من خـــلال مؤلفـــه (منشور الهداية). [1]

ويوضح المؤرخ أبو القاسم سعد الله تلك العلاقة فيقول في هذا الصدد: «..لقد كان العلمـــاء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني، فهم على الرغم من ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس..وكان الناس يثقون في رجال الدين أكثر مما يثقون في رجال السياسة والحرب، ولهذه المكانة كان العثمانيون يقدروهم ويخشوهم في ذات الوقت، ويتقربون منهم ويطروهم ويمنحوهم الهدايا وكانوا أحيانا يلجأون إليهم في موقف تأييد لهم أو غير ذلك ».[2]

وخلال هذه الفترة أي فترة التحالف قدم المرابطون مساعداتهم للأتراك مقابل تدعيم القاعدة المادية لهم من طرف الأتراك الذين قدموا أموالا هامة وهديا مختلفة للمرابطين وبالخصوص مرابطي المنطقة الجبلية[3] خاصة البارزين والخطرين منهم[4]، لهذا نجد السلطة المركزية سعت بكل ما تملك لاستمالتهم لصالحها والتحالف معهم رغم أن هذا التحالف لم يعرف نفس القوة في كافة المناطق.

2- الحياد والإنعزال:

أما الصنف الثاني فهم أصحاب الموقف الوسط الذين لم يؤيدوا العثمانيين كـــل التأييـــد و لم ينقموا منهم كل النقمة[5]، فكان دوما يبذل لهم النصح والتوجيه للسلطة العثمانية مـــن دون أن

---

(1)- عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تق وتح وتـــع: أو القاســـم ســـعد الله بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987، ط: 01، ص، ص: 137، 138.

(2)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..،ج:01، المرجع السابق، ص: 409.

(3) -*Féraud Charles,* ***Histoire des villes de la province de Constantine, Gigli****, L'Arnault, 1870, p : 173.*

(4) - *Mercier Ernest,* ***Histoire de Constantine****, Alger : S.N.E.D,1903, 217.*

(5)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..،ج:01، المرجع السابق، ص، ص: 468، 469.

يصل إلى التصادم معها، ومن أمثلة ذلك نذكر "الشيخ العبدلي" في إقليم تلمسان[1] والذي كان يعظ الحكام العثمانيين عندما يرى منهم ما لا يليق، فقد كان يذهب إلى القائد العثماني "محمد بن سوري" في مقره ويعظه ويطلب منه مطالب في صالح البلاد والعباد. [2]

ونفس الاتجاه سلكه المرابط الشيخ "الشليحي" مع باي قسنطينة "حسين بوحنك"[3] والذي تجاوب مع العثمانيين وأعطى له الباي قصرا في المكان المعروف باسم "الأربعين شريف" ثم أصبح يعرف بدار "الشليحي"، كما أنشأ زاوية في أولاد "عبد النور" وقام بإعفائه من الضرائب. [4]

وقد عُرف العثمانيون بتقربهم من المرابطين بشتى الوسائل وشاركوا مشاركة فعلية في بناء القبب والأضرحة والمزارات وأنفقوا في سبيل ذلك أموالا سخية ورتبوا لبعضها أوقافا خاصة وأعفوا المقربين منهم من الضرائب ومنحوهم حرمة وحصانة، فالمستنجد بحماهم لا يلحقه أذى ما دام في حمى الشيخ ولو كان المستجير مجرما. [5]

---

(1)- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص: 130.

(2)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..،ج:01، المرجع السابق، ص: 468.

(3)- حسين باي المدعو بوحنك، عين بايا سنة 1736م حافظ على السلم سنوات طويلة، أسس مسجد سيدي لخضر بقسنطينة وانتهى من بنائه في نهاية عام (1156هـ/1743م)، قام بإبرام المعاهدة دفاع وهجوم مع علي باشا التونسي وفي عهده ثار "أولاد ساولة" فعاقبهم، توفي سنة (1167هـ/1754م) بعد أن حكم 17 عاما ودفن في مسجد سيدي لخضر..للإطلاع أكثر على هذه الشخصية يرجع إلى: محمد بن صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو –تاريخ قسنطينة–**، مر، وتق، وتع: يحي بوعزيز، الجزائر: د.م.ج، ص: 57.

(4)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..،ج:01، المرجع السابق، ص: 468.

(5)- مختار حبّار، **الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني**، مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق: ع: 57- السنة:15- تشرين الأول أكتوبر 1415/1994هـ، ص: 07.

ومن أمثلة هذا التقرب كذلك ما قام به الباي "محمد الكبير" عندما قام ببناء مشهد "سيدي أحمد بن يوسف"[1] دفين مليانة، ومشهد سيدي "أمحمد بن عودة"[2] وحاول "صالح باي" اكتساب تأييد رجال الدين بمنحهم العطايا وإسقاط مطالب الخزينة عنهم وإعطائهم الإقطاعيات الواسعة. [3]

ويضيف أبو القاسم سعد الله أن كلا من زاوية عبد الرحمن الأخضري وزاوية بني سمغون وبني مقران في الشرق الجزائري كانت معفاة من دفع الضرائب. [4]

---

(1)- سيدي أحمد بن يوسف، عالم وفقيه وولي صالح ورجل سياسة شهير، هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد وسمي بابن يوسف لأن جده كان يدعى يوسف، ولد سنة 1436م بمدينة القلعة، أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ أحمد زروق البرنوسي، ومن أتباعه ظهرت فرقة منحرفة عرفت باسم اليوسفية، للإطلاع أكثر يُنظر إلى محمد مفلاح، **أعلام من منطقة غليزان تراجم من القديم إلى غاية القرن 19م**، الجزائر: دار هومه، 2006، ص، ص: 28، 29.

(2)- هو عالم صوفي وولي صالح تعدت شهرته حدود منطقة غليزان، ولد في نهاية القرن (10هـ/972م) ويرجع نسبه إلى الولي الصالح "سيدي علي بن صالح" اشتهر باسم "عواد" و"عدة"، درس بمعهد مجاجة وكان من المرابطين المدافعين عن ثغور الوطن ضد الاسبان، توفي سنة 1034هـ، ضريحه يبعد عن غليزان بحوالي 17 كم، للإطلاع أكثر ينظر محمد مفلاح المرجع السابق، ص- ص: 37- 39.

(3)- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني-** بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ط: 01، ص: 300.

(4)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..،ج:01، المرجع السابق، ص: 470.

كما تضخمت أوقاف الأولياء والمرابطين حيث أصبحت مدينة الجزائر وحدها تضم أملاكا موقوفة على تسعة عشر وليا، وهذا ناتج عن تشجيع الحكام ورعايتهم بدافع الورع والتقوى أو سعيا للحصول على تأييد "الباي حسن"[1] الذي قام ببناء قبة على ضريح "سيدي بلوفة" سنة (1243هـ/1828م).[2]

كما كان الحكام العثمانيون يتفائلون بأقوال العلماء والمرابطين ويستبشرون بها خيرا، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ذكره "الآغا بن عودة المزاري" من استشارة "الباي محمد بن عثمان" الملقب بـ "المقّلش" للعالم محمد بن الجيلاني الخروبي[3] في شأن ظهور الدرقاوي مرة أخرى بالرغم من تحقيق هذا الباي لانتصارات مهمة عليه، حيث يقول: «.. ونادى لنديمه الأديب ورفيقه الحبيب ومؤنسه وصاحب سرّه المطلع في جميع الأحوال على سعده ونحسه وخيره وشره، شبيه

(1)- الباي حسن، كان طباخا للجنود الأتراك، لقب بالباهي وتولى منصب قائد فليتة كما تولى منصب الباي بعد مقتل "الباي قارة" سنة 1817م، سلك في بداية الأمر سياسة اللين والرفق وقرب إليه العلماء ثم غير سلوكه وأصبح لا يبحث إلا عن الثراء والجاه واعتمد على الكثير من العلماء..يُنظر: يحي بوعزيز، **ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية**، مجلة الثقافة ع: 52، 1975م، ص، ص: 135، 136.

(2)- ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي الجزائري في الفترة العثمانية (1800-1830م)**، الجزائر: ش.و.ن.ت 1979 ص، ص: 142، 143.

(3)- محمد بن الجيلالي الخروبي من أسرة علمية بقلعة بني راشد توارثت خطة القضاء للعثمانيين وللأمير عبد القادر، حيث تولى السيد محمد بن الجيلاني الخروبي القضاء والكتابة بوهران وكان مقرب من بعض بايات وهران ومن جلساء الباي عثمان بن محمد بن عثمان...للإطلاع أكثر يُنظر: محمد بوركبة، **جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع: 01، جوان 2003، ص: 115. وأيضا: الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1990، ص، ص: 273، 274.

الحكيم اليوناني اللبيب الخروبي القلعي السيد محمد بن الجيلاني »، فأشار عليه الشيخ محمد بن الجيلاني الخروبي بجمع أعيان مخزنه ليستشيرهم ففعل. [1]

لقد كان المتصوفة الجزائريون يرون في دعمهم للحكام العثمانيين حماية للدين الإسلامي وصونا لأعراض المسلمين من الغزاة المسيحيين، وارتباطا وثيقا بباقي البلاد العربية الإسلامية التي تعيش في كنف الخلافة العثمانية، لذا كان لزاما ومن واجبهم تذليل العقبات والصعاب أمام الحكام بالوقوف إلى جانبهم وبذل النصيحة لهم.

وفي هذا الصدد نسوق ما جاء على لسان "ابن العنابي" وهو واحد من المثقفين الجزائريين الذين نوهوا بالدور الكبير الذي قام به العثمانيين في الحفاظ على الدين الإسلامي وحماية مبادئه حيث يقول: «..ولولا ظهور الدولة العثمانية أعلى الله مقامها ورفع بالتأييد والنصر أعلامها فجدد القائمون بأعبائها معالم الدين وأحيوا ما ندرس من شريعة سيد المرسلين..» [2]، كما يحذرهم في نفس الوقت بأسلوب فيه من اللين والتصويب من أنهم إذا ما انحرفوا وظلموا فإن مصيرهم الهلاك وزوال الملك، فيقول: «..إن قسوة القلب على الضعفاء والجور في الأحكام الشرعية ومنع الحقوق من مستحقيها والإيثار بها لمن لا يستحق من أسباب خراب الملك وزوال الدولة.. ».[3]

---

(1)- قدور بوجلال، **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة البدايات (1671-1830م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ والأثار، 2017/2016، ص: 188.

(2)- أبو القاسم سعد الله، **ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775-1850م)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1976 ص:75.

(3)- نفسه، ص:74.

إن قيام العلماء والمتصوفة عموما ببذل النصح للقائمين على السلطة في الجزائر كان محل استحسان كثير من المؤلفين، لأنهم كانوا يرون فيها خدمة للمصلحة العامة وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب "أقوم المسالك" حيث قال: « ..إن مخالطة العلماء لرجال السياسة بقصد التعاضد.. من أهم الواجبات شرعا لعموم المصلحة.. فالعالم إذا اختار العزلة والبعد عن أرباب السياسة فقد سدّ عن نفسه أبواب معرفة الأحوال.. وفتح أبواب الجور للولاة لأنهم إذا استعانوا به فامتنع صاروا يتصرفون بلا قيد..». (1)

3- الصدام والصراع :

هذا الصنف الثالث فقد كان ضد سياسة بعض الحكام والبايات العثمانيين لا سيما في أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م وهي الفترة التي اتسمت فيها السياسة العثمانية بمجاهرة العداء لرجال الطرق الصوفية للحد من سلطتهم ونفوذهم الذي أخذ ينموا بشكل جعل سلطتها (الرسمية) شكلية في بعض المناطق. (2)

ومن أمثلة ذلك ما قام به المرابط "أحمد الزواوي" ضد "صالح باي" الذي تغيرت سياسته تجاه الناس، فقد كان يفرض عليهم الضرائب المرهقة ولا يراعي أوضاعهم، حيث ثار ضده هذا المرابط بعد ما كان من أنصاره ومؤيديه حيث لم يتفق معه في أمور تتعلق بالرعية(3)، كما ثار على هذا الباي المرابط "محمد الغراب" الذي حكم عليه هذا الباي بالإعدام ونفذه فيه رغم نصيحة العلماء له بعدم تنفيذه. (4)

---

(1)- خير الدين التونسي، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، الجزائر: م.و.ك، ط: 02، 1986، ص:152.

(2)- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ – العهد العثماني–**، الجزائر: م.و.ك، 1984، ص: 38.

(3)- عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة في التاريخ – معالم وحضارة –** الجزائر: دار الهدى، 2007، ص: 172.

(4)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..، ج:01..المرجع السابق، ص:220.

لقد لجأ الحكام العثمانيين إلى تغيير سياستهم بالجزائر بعدما أصبحوا في حاجة إلى الأموال بعدما شحت الغنائم البحرية نتيجة تغير الظروف الدولية وانقلاب ميزان القوى في البحر المتوسط حيث لم يعد نشاط البحرية يُدّر أرباحا ولا مداخيل قارة للخزينة. (1)

وأما هذه التقلبات لم يجد الحكام بّدا من تحويل أنظارهم نحو الداخل بفرض ضرائب جديدة على الرعية وإخضاع المناطق التي لم تنلها يدهم من قبل، فأصبحت عملية جباية الضرائب تتم تحت الضغط والتهديد بواسطة الحملات العسكرية المتتالية. (2)

وفي أيام تولي " حسين باشا " الحكم سنة 1818م ثار سكان بلاد القبائل الذين كانوا يتعاملون مع السلطة بحسب قوتها وضعفها(3)، حيث يذكر القنصل الأمريكي "وليم شالر" في مذكراته هذه الاضطرابات التي وقعت سنة 1823م دون ذكر أسبابها(4)، بالإضافة إلى ثورة أخرى ذكرها لنا أبو القاسم سعد الله رحمه الله خلال القرن (12هـ) في نفس المنطقة كان سببها السياسة الضريبية العثمانية حيث تمكن الثوار من قتل قائد الحامية العثمانية. (5)

وفي هذا السياق وصف أحد المؤرخين المعاصرين للفترة هذا النوع من السياسة التي انتهجها العثمانيون قائلا: «..كان الخلفاء يأتون في آخر الربيع (يقصد نواب البايات) فيخرجون معهم الحمال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار، وهكذا وضع الأوائل الجباية على النهج الشرعي

---

(1)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص:122.

(2)- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص:36.

(3)- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص:128.

(4)- وليم شالر، **مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)**، تع وتق: إسماعيل الغريب، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982، ط: 01 ، ص: 194.

(5)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**..، ج:01..المرجع السابق، ص، ص:213، 214.

والأواخر يخرجون الحملات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين، وما وقع هـذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين..». [1]

وبسبب هذه السياسة تقلصت مداخيل البحر وظهرت ثورات شعبية ضد السلطة العثمانية ثم إن الإيالة كانت تمر بفترات عصيبة من عدم الاستقرار في الحكومة المركزية، إلى توتر العلاقة بين الجزائر وتونس، بالإضافة إلى تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي، إذ ازداد الطلب على الضرائب وكثيرا ما كانت تشن حملات عسكرية من أجل جمعها، وهذا بسبب تقلص مداخيل البحرية وسنوات القحط والمجاعة في تلك الفترة، وأمام هذه الأوضاع لم تستطع السلطة الحاكمة المحافظة على وتيرة تعاملها المعهود مع رجال الطرق الصوفية، فازداد التباعد يوما بعد يوم مما دفع بزعماء هذه الطرق الصوفية إلى الوقوف بجانب السكان المتذمرين من سياسة الأتراك بل وقادوهم إلى ثورات وتمردات ضد هذا النظام. [2]

وهكذا بسبب انتهاج هذه السياسة الرعناء كان حال الكثير من الحملات التي عاثت في الكثير من المناطق الفساد ونشرت الفقر والرعب وخربت الزرع، فنما الحقد والبغضاء بين السلطة والرعية واصطدمت كما أسلفنا الذكر السلطة برجال الزوايا والطرق الصوفية الذين أصبحوا يتكلمون باسم الرعية ويدافعون عن مصالحهم، لا سيما في الأرياف مما أدى إلى وقوع الصراع بين

---

(1)- أحمد توفيق المدني، **عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م)**، الجزائر: م.و.ك، 1986، ط: 02، ص:111.

(2)- محمد شاطو، **السلطة العثمانية بالجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية (1792-1830م)**، مجلة المواقف، ع: 03 2008، ص: 165.

السلطة بعض الطرق الصوفية[1] تجسد ذلك في ثورة الطريقة الدرقاوية التي ظهرت في شرق الإيالة بقيادة "ابن الأحرش".[2]

وفي الغرب بقيادة "عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي"[3]، وثورة الطريقة التجانية في الغـــرب والجنوب الغربي بزعامة الشيخ أحمد التجاني وأبنائه، ثم إن هذه الثورات تسببت في إرهاق وضعف السلطة المركزية وهذا ربما ما جعلها ضعيفة ولا تبدي أي مقاومة أمام الغزو الفرنسي للبلاد ســـنة 1830م.

---

(1)- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص:39.

(2)- ابن الأحرش فتى مغربي الأصل مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب، اسمه الحقيقي محمد بن عبد الله الشريف شارك على رأس جموع المغاربة بجانب المصريين في مقاومة الجيش الفرنسي أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة 1898م وبعد عودته من الحج بدأ يخطط لدفع القبائل الجبلية بالشرق الجزائري إلى العصيان ضد بايات قسنطينة، وبعد فشل ثورته في الشرق الجزائري إلتحق بقوات ابن الشريف الدرقاوي في الغرب وخاض معه عدة معارك قبل أن يختفي بانتهاء الثورة وقيل أن ابن الشريف الدرقاوي قتله بعد أن رأى فيه منافسا خطيرا له..للإطلاع أكثر يُرجع إلى أحمد بن مبـــارك بـــن العطار، **تاريخ قسنطينة**، تح: رابح بونار، الجزائر: (د.ت)، (د.ط)، ص،ص: 46، 47.

(3)- ابن الشريف الدرقاوي، هو محمد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي، يعود أصله إلى قبيلة بربرية وهي كسانة في ضواحي سهل غريس بالقرب من معسكر، إلتحق بزاوية القيطنة التابعة للطريقة القادرية حيث لبث فيها مدة من الزمن ثم سافر إلى بوبريج بالمغرب الأقصى وهناك اتصل بمولاي عبد الله محمد الدرقاوي الذي لقنه مبادئ الطريقـــة الدرقاويـــة وأجازه فيها، ثم عاد إلى قريته وفيها أسس زاويته لتلقين أوراد الطريقة، ويظهر من خلال هذا أن هذه المهمة أسندت إليه من طرف شيخه الذي عينه مقدما للطريقة في الناحية الغربية..ينظر: غالي الغربي، المرجع السابق، ص، ص: 59، 60.

وكخلاصة لما تقدم من خلال عرض مختصر للمواقف المختلفة لرجال الطرق الصوفية وعلاقتهم بفئة الحكام والتي تميزت بالتباين والاختلاف فإن لهؤلاء المتصوفة سلطة سياسية ونفوذ كبير على المجتمع الجزائري، الأمر الذي جعل حكومة الأتراك تبدي مخاوفها من السلطة الصوفية المتنامية وتحسب لها ألف حساب.

ومع هذا فإن العلاقة في كثير من الأحيان كانت طبيعية بين العثمانيين والطرق الصوفية وهذا راجع لاستفادة كل طرف من الآخر، فالمرابطون استطاعوا المحافظة على امتيازاتهم المادية ومكانتهم المعنوية في المجتمع وعمقوا فكرهم الروحاني وكثر مريدوهم، أما الطرف الآخر فكانت استفادته أكثر فقد وظف رجال الدين والمرابطين لخدمة استقراره في السلطة.

وهكذا اتسمت سياسة الأتراك العثمانيين في الفترة الأخيرة من حكمهم بالجزائر بمعاداة شيوخ الطرق الصوفية، ومحاولة إخضاعهم لنفوذهم مما أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الطرفين وهذا راجع لسياسة الحكام الداخلية، بالإضافة إلى زوال الخطر الخارجي بعد تحرير وهران من الاسبان، وهكذا فقد العثمانيون حلفاء كان لهم وزن كبير ودور هام في أوساط السكان، فأصبح السكان يؤمنون بشيوخ الطرق والمرابطين أكثر مما يؤمنون بالحكام نظرا لنفوذهم الروحي وصلتهم الوطيدة بالأوساط الشعبية.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الواقع الاستعماري والطرق الصوفية

أولا: الانتماء الطرقي ودوره في قيادة المقاومات الشعبية

أ/- الأمير عبد القادر (القادرية)

ب/- الشريف محمد بن عبد الله المعروف "ببومعزة" (الطيبية)

ج/- لالة فاطمة نسومر" (الرحمانية)

ح/- المقراني (الرحمانية)

د/- بوعمامة (الشيخية)

ثانيا: تأثيرات الخطاب الصوفي الطرقي في المقاومات الشعبية خلال القرن 19م

1- مفهوم الخطاب

2- مكانة الخطاب الجهادي الطرقي في الأوساط الشعبية

3- خطاب الطريقة القادرية

4- خطاب الطريقة الشيخية

ثالثا: الطرق الصوفية والأنتروبولوجيا الاستعمارية

1- دراسة للضابط "دونوفو

2-دراسة للضابط "لوي رين"

3-دراسة "أوكتاف ديبون" و "وكزافييه كبولاني"

الفصل الثاني: الواقع الاستعماري والطرق الصوفية

إن تاريخ المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي لم يحظ لحد الآن بما يستحقه من التسجيل والدراسة الجادة، فلا تزال معرفتنا عنها تتسم بالنقص الشديد إذ لا تعدوا كونها معرفة شريطية لسلسلة من الأحداث والوقائع بدون تحليل وفحص وتدقيق، ولا يعود ذلك حسب علمنا إلى نقص في المادة الوثائقية فهي متوفرة على الأقل من الجانب المادي، وإنما السبب ضخامة المهمة التي تتعدى إمكانية فرد أو مجموعة من الأفراد والتي تحتاج إلى جهد وطني معبأ لإنجاز هذه المهمة.

أولا- الانتماء الطرقي ودوره في قيادة المقاومات الشعبية

لعبت الطرق الصوفية في الجزائر دورا حاسما وهاما في نشأة وتبلور المقاومة الشعبية العفوية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، وفي الوقت ذاته أثرت بعض الطرق الصوفية الأخرى سلبا على المجتمع الجزائري، ذلك أنها اتخذت موقفا مسالما وأحيانا متعاونا مع الاستعمار الفرنسي، وقد حاول الكتاب الفرنسيون الذين أولوا الظاهرة أهمية بالغة في تعميم هذا الموقف السلبي على الطرق الصوفية جميعها، في حين يتجلى للباحث العكس من أن هذه الطرق الصوفية والزوايا قد حملت لواء الجهاد ونهضت بالكثير من الأعباء الاجتماعية، ومن هنا سنحاول الوقوف على أبعاد هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة، ونتعرف على حقيقة الدور السياسي والاجتماعي الذي لعبته الطرق الصوفية في الجزائر وذلك على ضوء دراسة موقفها من الاستعمار الفرنسي.

إذن من خلال هذا المبحث سنحاول إبراز إسهامات وأدوار شيوخ الطرق الصوفية في المقاومات الشعبية سواء بالدعاية لها أو الانخراط فيها، وهي محاولة منا للذود عن التصوف وأهله وإزالة الشبهات التي أنكرت هذا الدور ونعتت أهله بالخيانة والعمالة للاستعمار الفرنسي، وسنتتبع نماذج بارزة في هذه الثورات والانتفاضات الشعبية التي تلت مقاومة الأمير عبد القادر، والتي برزت الطرق الصوفية في قيادتها، وسنتناولها مختصرة وموجزة نظرا لكثرة أحداثها وتفرع مناطقها وكذلك اختلاف أسبابها ونتائجها.

أ/- **الأمير عبد القادر (القادرية):**

كانت الطرق الصوفية هي المؤسسة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسسة الرسمية وفشل السلطة العثمانية الذريع في إنقاذ البلاد، مما جعل الأهالي يشعرون بالضعف ولا يعتمدون على السلطة الرسمية للدفاع عنهم، حيث اضمحلت هذه السلطة في مختلف أنحاء الجزائر وزالت معالمها، ودخلت البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب لم يشهد لها مثيل قبلا [1]، وقد صور لنا هذا الوضع ما جاء به محمد بن عبد القادر الجزائري في مؤلفه "تحفة الزائر" قائلا: «.. ولما اشتد الأمر وكثر القتل وعظم الكرب تداعى أهل العقد والحل من الأشراف والعلماء والأعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الإمارة ليبايعوه ويجمع كلمتهم ويقوم بشؤونهم.. ».[2]

فكانت بذلك بداية المقاومات في مرحلتها الأولى ما بين 1830 و 1848م والتي تولاها زعماء معروفون ورجال ثوار من أمثال: ابن زعمون بمتيجة[3]، والأغا محي الدين بن مبارك القلعي والحاج السعدي في العاصمة وغيرهم..، لتخرج المقاومة الشعبية الرافضة للاحتلال في إرادة جماعية تلقائية لم تكن في حاجة إلى زعامة ما دام الشعور الوطني متأججا يزكيه في ذلك الدين الذي يدعوا إلى الجهاد دفاعا عن الإسلام والوطن، حيث قام شيوخ الطرق الصوفية ورجال الدين بدور

---

(1)- مولاي بلحميسي، **جانب من جوانب الصراع الجزائري الأوربي- الجوسسة الغربية في الجزائر العثمانية-**، مجلة الباحث، ع: 03، الجزائر: 1985، ص: 18.

(2)- محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر**..المصدر السابق، ص: 146.

(3)- ابن زعمون شيخ قبيلة فليسة من أهم قبائل منطقة متيجة، عرف برفضه للمد الفرنسي نحو متيجة ومدنها وعلى رأسها البليدة، أعلن المقاومة وبدأ في حشد القبائل منذ 1830م وشاركه النضال المرابط الحاج السعدي الذي ينتمي إلى أسرة دينية من مدينة الجزائر، وهذا الأخير عرف بورعه وتدينه فساهم بذلك في إثارة الناس ضد الاستعمار ودعى إلى الجهاد المقدس وحمل السلاح، ودامت ومقاومتهما من 1830 إلى 1834م وتقاسما الزعامة الشعبية للسعدي والروحية لابن زعمون..أنظر: أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"**..المرجع السابق، ص، ص: 19، 20.

كبير في الكفاح ضد الاستعمار ومقاومة حملات الغزو فقد قاد هؤلاء الشيوخ ومقدمي الطـــرق الصوفية كالقادرية والرحمانية والسنوسية والدرقاوية والشيخية والطيبية جلّ المقاومات التي ثـــارت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

بعدما تمكن الغزاة من بسط نفوذهم على مدينة الجزائر أصبحوا يفكرون في التوســـع علـــى حساب المناطق المحاذية للبلاد والتي أعتقد سكانها من أن القوات الفرنسية جاءت لتأديب الـــداي نظرا لنقص وعيهم السياسي والشعور بدافع الدفاع عن الوطن، فلم يهاجم سكان هذه المنـــاطق قوات الحملة الفرنسية؛ لكن بمجرد توغلهم في احتلال المناطق المحاذية لمدينة الجزائر حتى أحســـت تلك القبائل بخطورة الوضع وأدركت خلالها المشروع الفرنسي الذي كانت أهدافـــه اســـتعمارية توسعية، فقامت هذه القبائل في 23 جويلية 1830م باجتماع تحت زعامة المرابط "ابن زعمون" قائد "فليسة" لإعلان الجهاد ومقاومة الاحتلال الفرنسي والحد مـــن توســـعاته بعـــدما أعلـــن "دي بورمون" احتلال مدينة البليدة. [1]

(1)– *Camille Rousset, **La conquête d'Alger**, paris : e.plon et cie, imprimeurs-éditeurs,1879,p :141.*

هذا وقد برهنت هذه الطرق الصوفية على فعاليتها ومساهمتها في تدعيم وقيادة الانتفاضات الشعبية وهو ما أكدته لاحقا التقارير والدراسات الفرنسية حول خطورة هذه التنظيمات حيث يشير أحد الضباط الفرنسيين وهو النقيب "دونوفو" (*Deneveu*) [1] قائلا: «..إن الزوايا هي مراكز للتآمر وإشعال فتيل التمرد وهي معادية للوجود الفرنسي وتحظى بكثير من الاحترام بين الأهالي.. »، ويضيف قائلا: «..إن تجمعات الإخوان هي هيئات يكون أعضائها هيكلا مترابطا تم تشكيله من قبل، تسكنه طاقة هائلة وتدفعه إدارة واحدة تجعله يتحرك بطريقة جماعية..»[2]، لكن هل يمكننا اعتبار أن كل الطرق الصوفية كانت على موقف واحد من الاحتلال الفرنسي؟

إن هذا ما لا يمكننا القول به لانعدام الأدلة -في حدود ما اطلعنا عليه- إلا أنه يمكن اعتبار تلك المواقف من الأهمية بمكان تبعا للدور الذي اضطلعت به الطريقة التجانية والتي كانت صادرة من بعض مشائخها، خاصة إذا أخذنا بالاعتبار تلك الاتصالات المكثفة برموز الاحتلال الفرنسي والتنسيق معهم، وإبداء الاستعداد بكل ما من شأنه أن يسهل عليهم عمليات الغزو لباقي مناطق الجزائر.

---

(1) – إدوارد دونوفو(*Edouard-de-Neveu*) من مواليد عام 1809م بمدينة "صفاقي سور هاي" (*Savigny sur hany*) دخل المدرسة العسكرية بسان سير عام 1829م، ثم انتقل إلى مدرسة قيادة الأركان واشتغل في مصلحة الطبوغرافية العسكرية في الجزائر عام 1843م لوضع خريطة الحدود الجزائرية التونسية، ثم تم تعينه رئيسا للمكتب العربي بباتنة عام 1845م والذي تعلم فيه اللغة العربية، وفي 01 مارس 1845م رقي إلى رئيس جهوي لعمالة قسنطينة ومنها تدرج في مناصب عسكرية ومدنية..أنظر:

-*Peyronnet. (R),* ***Livre d'or des officiers affaires indigènes 1830-1930****, Alger : Imp. Algérienne, 1930, T : 02, p : 65.*

(2) – محمد ولد خليفة، **مؤسسة الزاوية خزان المقاومة وحصن العقيدة والتراث**، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: وزارة المجاهدين، 2007، ص: 60.

1- الأمير عبد القادر يقود الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي (وقائعه التاريخية المشهورة):

لقد بحثت الجماهير الشعبية عن قوى تقودها لمواجهة العدو الفرنسي المتفوق عسكريا فلم تجد سوى زعماء الطرق الصوفية الذين كان الشعب يعتبرهم رجال دين أتقياء ورعين همهم الوحيد خدمة الإسلام حيث نهضت قيادة المرابطين والطرق الصوفية بدور ريادي في مواجهة الاحتلال الفرنسي بعدما تخاذلت السلطة الزمنية آنذاك ممثلة في القيادة العثمانية وحلفائها، وقد كان الواجب الديني يحث على رفع راية الجهاد ضد الغزاة، وهو المبدأ الذي أنهض الشيخ محي الدين[1] وابنه الأمير عبد القادر[2]، والذي يستند إلى الدفاع عن دار الإسلام ومجاهدة الكفار.[3]

---

(1) – محي الدين بن مصطفى الحسني، ولد بوادي الحمام عام 1777م درس على يد أبيه وورث عنه مشيخة الزاوية القادرية في "القيطنة" التي كان يقصدها العلماء والصلحاء، اشتهر بالعلم والصلاح وسداد الرأي والسمعة الطيبة بين الناس، قاد حركة الجهاد ضد الغزو الفرنسي في الناحية الغربية بين 1831و 1832م، حضر مبايعة ابنه عبد القادر في سهل غريس توفي سنة 1833م، أنظر كتاب: سعيد بورنان، **رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص: 53.

(2) – هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى ولد في 23 رجب 1222هـ/1808م بقرية القيطنة بمعسكر، حفظ القرآن الكريم وتعلم علوم اللغة وتفوق في الفروسية، سافر مع والده إلى الحج وعرج بتونس ومصر ثم بلاد الشام والعراق وفي رحلته هذه التي دامت سنتين أتاحت للأمير الإطلاع على أنظمة الحكم في الأقطار المشرقية وأوضاعها في مختلف الميادين، كما زادته هذه الرحلة شغفا بالعلم فاعتزل لتحصيله فقرأ تلك المدة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث والفلسفة والفلك والجغرافيا والتاريخ والرياضيات والطب...وأثناء تلك الفترة جمع عبد القادر مكتبة تعد من أغنى المكتبات في تلك الأيام..ينظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص:56.

(3) – يرى الباحث أبو القاسم سعد الله أنه من الخطأ الجسيم أن تنسب مقاومة الأمير إلى الطريقة القادرية، صحيح أن والده كان زعيما روحيا وهذا ما مكنه من تجميع المقاومة حول شخصه، ولكن مبايعة ابنه عبد القادر على المقاومة والتفاف الناس من حوله مهما كانت عقيدتهم الصوفية، جعل القضية تخرج من نطاق الطريقة إلى النطاق الوطني..أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**...المرجع السابق، ج: 04، ص: 44.

ولأنه وابنه مرابطين وأحد الزعماء الدينين ومقدم للطريقة القادرية[1] ورجل أدب وحق وإيمان، ومؤسس للمدرسة القرآنية التي وفرت للأمير ولأقرانه من أطفال الناحية حفظ القرآن الكريم والفقه ومختلف المعارف، يضاف إلى ذلك أنّ الشيخ محي الدين كان يعطف على المساكين ويخفف عنهم ببذل المال في سبيل ذلك، وكانت مكانته معتبرة في كل الغرب الجزائري[2]، ومن الشخصيات التي برزت للجهاد في منطقة معسكر، فقد كان يتمتع بثقة وتأييد أتباعه الذين تصدوا معه لمقاومة الحملات العسكرية الفرنسية على الناحية الغربية والتي أحرز فيها الجزائريون بقيادته انتصارات معتبرة خاصة في معركتي (خنق النطاح الأولى وخنق النطاح الثانية) خلال شهر ماي 1832م وكذا معركة (برج رأس العيون) بوهران، حيث قطعوا خطوط المواصلات على الجنرال "بوييه" (*Boyer*) الذي كان يحاول التوسع في احتلال هذه المنطقة.[3]

بعد هذه الأحداث اجتمع أهل الحل والعقد لاختيار من يصلح للإمارة ويكون بمقدوره تحقيق الأمن والاستقرار ومواجهة المحتل الفرنسي، فوقع الاختيار على محي الدين والد الأمير عبد القادر الذي رفض واعتذر لكبر سنه، وبعد إلحاح من أفراد قبيلته اقترح عليهم ابنه عبد القادر لكي يكون أميرا عليهم، فحظي اقتراحه بالرضى من طرف الحاضرين،[4] ويذكر لنا صاحب التحفة المرضية أنهم ألزموه أن يقبل الإمارة لنفسه أو لولده عبد القادر، أي أن الاقتراح كان صادرا منهم وهذا ما يفسره رضاهم به وبيعتهم له فيما بعد.

---

(1)– *Marcel Emerit,* ***Un problème de distance morale la résistance algérienne a l'époque d'Abdelkader****, in : revue d'information historique, N : 127, juillet-octobre, 1953, p : 129.*

(2)–*Boualem Bessaih,* ***L'Emir Abdelkader de Louis Philippe à Napoleon III****, Algerie, A.N.E.P, p: 07.*

(3) – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 36.

(4) – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص، ص: 42، 43.

كما نجد مصدرا آخر يؤكد ويثني على صفات الأمير وهو "ابن عودة المزاري" الذي يذكر لنا أن والد الأمير عبد القادر أشار بالإمارة لولده لكونه: «..ذّا حزم وشجاعة ورأي وتدبير وطاعة فأذعنوا له وأنفذوا أمره وأتموا غرضه وأكملوا فخره.. ».[1]

إذن اتفق أهل الحل والعقد على تعيين عبد القادر أميرا عليهم، فأول من بايعه والده على السمع والطاعة، ودعا له ولقبه بناصر الدين وكذا بقية أسرته، ثم الأشراف والعلماء والأعيان والرؤساء حسب مراتبهم وطبقاتهم، وتمت البيعة له قرب معسكر بوادي فريحة في سهل غريس تحت شجرة الدردارة التي كانوا يجتمعون إليها للشورى بتاريخ 27 نوفمبر 1832م[2]، ثم تلتها البيعة العامة في مسجد سيدي حسن بمدينة معسكر يوم 04 فيفري 1833م حيث بايعوه على ما بايعه عليه والده.[3]

وقد وصف هذه البيعة محمود بن حوّا المجاهري قائلا: « ..ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط استولى العدو على مدينة الجزائر ومدينة وهران..وطمحت نفسه العاتية إلى الاستيلاء على السهول والجبال والفدافد والتلال وصار الناس في هرج ومرج وحيص وبيص..قام من وفقهم الله الهداية من رؤساء القبائل وكبرائها وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على الكتاب والسنة فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر ابن مولانا السيد محي الدين فبايعوه على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم..».[4]

---

(1) – الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر**... المصدر السابق، ج: 02، ص: 104.

(2) – محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر**..المصدر السابق، ص: 97.

(3) – نفسه، ص: 103.

(4) – نفسه، ص، ص: 101، 102.

ولما تمت البيعة العامة بدأ الأمير عبد القادر في تكوين جبهة قوية متحدة أمام العدو، وبعث بذلك في نفوس الجزائريين شعورا بروح الوطنية، وانطلق نحو بناء المؤسسات الجهادية سياسيا وحربيا، اجتماعيا واقتصاديا لمواجهة التحديات الكبيرة التي كانت أمامه، وباعتبار أن البيعة كانت شاملة وصادرة عن إرادة الشعب وتأييده شكل ذلك بالنسبة للجزائر عامة لحظة نوعية حيث أصبح الجزائريون محكومين من قبل رجل منهم يعرفونه ويعرفهم.[1]

لقد برز نشاط الطريقة القادرية إلى جانب المقاومة الشعبية بالتفاف إخوان الطريقة القادرية من حول الأمير عبد القادر الذي بدأ حركة جهاده ببسط نفوذه على مختلف القبائل وإخضاعها له حتى يواجه الغزاة الفرنسيين بجبهة قوية، حيث كان يطمح إلى بناء دولة حديثة قائمة على مؤسسات شرعية تنصهر فيها جميع الوحدات القبلية والدينية، على غرار ما هي عليه الدول الحديثة وكلفه ذلك جهود كبيرة لأن أكثر القبائل كانت متعودة على حياة الاستقلال والنفور من الخضوع لسلطة مركزية، وحتى يكون في موقف قوي فإن الأمير عبد القادر قد اعتمد في مجابهة الفرنسيين على الوازع الديني والرضا بزعامة سلطان مراكش حتى يستميله إليه ويكسب تأييده في كفاحه وجهاده، واتخذ من مدينة معسكر عاصمة له ثم راح يبذل المحاولات ليقطع على الفرنسيين خطوط التموين إلى مراكزهم بوهران، وانتزع منهم كثيرا من القبائل التي كانت قد تحالفت معهم وخضعت لسلطتهم، كما استولى على ميناء أرزيو الساحلي ليتمكن عن طريقه من الاتصال بالعالم الخارجي للحصول على تأييده وللحصول أيضا على الأسلحة اللازمة والمؤن الضرورية، غير أن العسكريين الفرنسيين تفطنوا إلى خطة الأمير وعمدوا إلى استعادة مدينة أرزيو منه، في حين تمكن

(1) – حرشوش كريمة، **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832-1847م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2010/2009م، ص: 40.

هو من إفتكاك مدينة تلمسان منهم وشدد الحصار على مدينة مستغانم، وبذلك لم يتمكن الجنرال "دي مشال"(*Des michels*)[1] حاكم وهران من التصدي لمقاومة الأمير عبد القادر. [2]

2- معاهدة "ديمشال" (*Des michels*) 1834م:

إذن هذه الانتصارات المتوالية اضطرت الجنرال"ديمشال حاكم وهران أن يعقد مع الأمير هدنة في (17شوال 1249هـ/28 فيفري 1834م) عرفت بمعاهدة "دي مشال" حيث اعترفت فرنسا بموجبها للأمير بما تحت يده من مقاطعات، وهي تمثل تقريبا إقليمي الغرب والوسط القديمين (وهران والتيطري) ما عدا بعض المدن الساحلية التي احتلها الفرنسيون مثل مدينة الجزائر ووهران ومستغانم[3]، أما شرشال وتنس وأرشقون وكلها ساحلية فقد دخلت في حوزة الأمير، كما تنص هذه المعاهدة على تبادل الأسرى المحاربين وعلى تبادل القناصل وحرية التجارة وأمن الطرق وحق الأمير في شراء السلاح من المدن الفرنسية. [4]

اعتبرت المعاهدة انتصارا للأمير وازداد نفوذه مما جعل العسكريين الفرنسيين يشعرون بالخوف من اتساع نفوذه وتجنيد كل الناس ضد قوات الاحتلال، ولهذا قررت فرنسا في جانفي 1835م

---

(1) – دي مشال (*Desmichels*)، هو لويس أكسيس البارون دي ميشيل ولد "بديني" بفرنسا في 15 مـــارس 1779م إلتحق بالجيش الفرنسي وبلغ رتبة جنرال لما عين قائدا على وهران (1832-1835م)، توفي بـــاريس في 08 جـــوان 1845م.

(2) – يحي بوعزيز، **ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين**، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص:37.

(3) – نزار أباظة، **الأمير عبد القادر العالم المجاهد**، دمشق: دار الفكر، 1994، ط:01، ص: 11.

(4) – شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائـــر: ش،و،ن،ت، 1982، ص، ص: 78، 79.

من أن تنقل "دي مشال" إلى باريس وتعين الجنرال "تريزل" (*Trézel*)[1] مكانه، وكان هذا الأخير يرى أن فرنسا تضيع وقتا حين تترك الفرصة للأمير ليشتد سلطانه ويقوى نفوذه، وعليه فلا بد من محاربة الأمير والقضاء على قواته[2]، فشرع في إفساد المعاهدة بتوقيع (اتفاق الكرمة) مع بعض القبائل التي ترغب في الدخول في حماية الفرنسيين لضمان تجارتها بينما هي داخلة في حماية الأمير حسب المعاهدة، وبسرعة فائقة أظهرت فرنسا تعاونها التام مع القبيلتين الموواليتين لها (الدواير والزمالة)،[3] وتطوعت لحمايتها من أي هجوم عليها، وكان هذا سببا كافيا لاستئناف الحرب.

وحدثت مواجهة بين الأمير وتريزل في غابة "مولاي إسماعيل" قرب مدينة سيق في جوان 1835م تكبد فيها الجيش الفرنسي خسارة عدد كبير من القتلى والجرحى، و لم يهضم الجنرال

---

(1)-*Trézel* (*Camille–Alphonse*)، اللواء ، الوزير السابق، من مواليد 5 يناير 1780م، شارك في الخدمة عام 1801، وفي 1803م حصل على رتبة ملازم ثاني في هيئة المهندسين الجغرافيين حل محل *Desmichels* كحاكم عام على مقاطعة وهران ، أظهر الكثير من الحيوية وخاض عدة معارك ضد الأمير عبد القادر، توفي الجنرال تريزيل في باريس في 11 أبريل 1860،..أنظر:

– *Narcisse Faucon, **Livre D'or de L'Algérie**, histoire politique, militaire, administrative événements et faits principaux biographie des hommes ayant marqué dans l'ARMÉE les sciences, les lettres, etc. de 1830 a 1889, paris :challamel et Cie éditeurs librairie algérienne et coloniale 5, rue Jacob, et rue Fürstenberg, 2,1889,pp :600 ,601.*

(2) – عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997، ط: 01، ص: 112.

(3) – الدواير والزمالة، هم خليط من العرب والبربر وترجع تسميتهم بهذا الاسم أنهم كانوا يلوذون بالباي محمد حاكم معسكر وفاتح وهران ولما حدث الطاعون في المغرب الأوسط أوائل القرن (13هـ) خيم هذا الباي في ظاهر البلد وخرج الناس بخروجه فعين منهم الخدم لنزولهم في دائرة خيامه فسموا دوائر وعين آخرين منهم لحمل أثقاله وأثقال عسكره فسموا بالزمالة..أنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر**..،المصدر السابق، ص: 217.

تريزل هذه الهزيمة فهاجم في اليوم الموالي قوات الأمير في "نهر المقطع"[1] حيث حصلت بين الطرفين معركة رهيبة لم ينج من الهلاك فيها حتى الجنرال تريزل نفسه وبعض مرافقيه إلا بصعوبة كبيرة بعد أن فروا إلى وهران وغرق من غرق من جنود الاحتلال حيث كانت خسارتهم تقدر بحوالي 4000 قتيل وقيل حوالي 3000 قتيل.[2]

وما إن علمت الحكومة الفرنسية بهذه الهزيمة التي لحقت بجيشها أمام قوات الأمير عمدت إلى عزل تريزل حاكم وهران وكذا "ديرلون" (*Dirlon*) الحاكم العام بالجزائر، وعينت الجنرال "كلوزيل" (*Clauzel*) حاكما عاما على الجزائر في جويلية 1935م، وقد كان معروفا بدعوته لسياسة الاحتلال الشامل للجزائر، ولذلك صمم منذ البداية على تطبيق فكرته وسياسته موجها بذلك كل جهوده لإضعاف قوات الأمير عبد القادر، فسار بنفسه على رأس جيش جرار لا يقل عن 11000 مقاتل إلى معسكر التي وصلها يوم 1835/12/06م بغرض تحطيم قوات الأمير هناك، لكن سياسته المبنية على احتلال المدن ثم إخلائها استغلها الأمير وقام بفرض حصار شديد على مدينة تلمسان، وأعاد إخضاع القبائل الجنوبية التي كانت خرجت على طاعته وألحق بالفرنسيين هزيمة شديدة عند مصب "نهر التافنة"، وقطع بذلك المواصلات البرية بين وهران والمركز العسكري الذي أقامه الفرنسيون في "مرسى رشقون"، وهكذا أصبح موقف العسكريين الفرنسيين ضعيفا فبعثوا إلى حكومتهم يطلبون النجدات السريعة، فأرسلت إليهم بنجدات كبيرة

(1) – عن معركة المقطع أنظر: إسماعيل العربي، **المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982 ط: 02، ص: 87 وما يليها.

(2) – عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر: شركة دار الأمة، 2013، ص: 500.

بقيادة الجنرال "بيجو" (*Bugeaud*) [1] في ماي 1836م الذي سارع إلى مدينة تلمسان ليفك الحصار عن الحامية الفرنسية الموجودة بها، واستحدث طوابير عسكرية خفيفة وسريعة لملاحقة الأمير وقواته[2]، واكتفى الأمير بالانسحاب أمام الفرنسيين ثم العودة إلى مهاجمتهم عندما ينسحبون كما يرجع إلى المدن التي انجلى عنها الفرنسيون، وأثناء ذلك وقعت معارك حامية بين الطرفين كمعركة "الزقاق" الشهيرة في جويلية 1836م. [3]

3- معاهدة التافنة 1837م:

وإزاء هذا التقدم العظيم الذي حصل عليه الأمير في الميدان العسكري أضاف إلى انتصاراته العسكرية انتصارا سياسيا تمثل في معاهدة الصلح التي عقدها مع الفرنسيين، والمعروفة بـ "معاهدة التافنة"[4]، والتي اعترفت فيها فرنسا بسيادة الأمير على مقاطعتي وهران وأرزيو ومستغانم في الغرب أي حوالي ثلاثة أرباع الجزائر.[5]

---

(1) – المارشال "بيجو" (*Bugeaud*)، هو توماس بيجو من نبلاء بيكوردي (فرنسا) ولد في عام 1784م انخرط في الجيش سنة 1804م، وشارك في حروب نابليون عين قائدا على منطقة وهران سنة 1836م وخاض عدة معارك ضد الأمير انتهت بتوقيع معاهدة "التافنة" 1837م، ثم عين حاكما عاما على الجزائر خلال فترة (1840-1847م)، شهدت فترة حكمه حرب إبادة واعتماد سياسة الأرض المحروقة..نظم شؤون الاستعمار في الجزائر، توفي عام 1849م..أنظر:

– *Narcisse Faucon , Op.cit, p :128*

(2) – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 42.

(3) – سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص: 31.

(4) – نسبة إلى "وادي تافنة" وهو نهر كبير ينحدر من جبال تلمسان ويصب في البحر المتوسط على شواطئ بني صاف.

(5) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 58.

وعمل الأمير على مد نفوذه نحو المناطق الداخلية ووضع هياكل إدارية للمناطق التابعة له وأنشأ جيشا نظاميا ومصانع للأسلحة والذخائر وصك العملة، كما اعتنى بالزراعة والتجارة وأقام المستشفيات وحرص على تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية. [1]

أمام هذه السلطة المتعاظمة للأمير والتي كانت مصدر تخوف لدى الفرنسيين كتب أحدهم وهو المارشال "فالييه" (*Valée*)[2] قائلا: « .. إن الأمير يحاول أن يُكون من الجزائريين أمة عربية متحدة بالوطنية والجهاد، وإنه إذا تركته فرنسا فسوف يخرجها لا محالة من الجزائر..».[3]

وهكذا لم يمهل الفرنسيون الأمير كثيرا ونقضوا الصلح وتجددت الحرب بين الفريقين وتعقب الفرنسيون الأمير واستعادوا سيطرتهم على بعض المناطق بعد ارتكاب مجازر فظيعة على يد الجنرال "بيجو" (*Bugeaud*) تحت غطاء ما سمي بـ (الأرض المحروقة) للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر.

---

(1) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 59.

(2) – "فالييه" شارل سليفان، ولد عام 1773م بفرنسا شارك في غزوات نابليون بونابارت، عمل مفتشا عاما للمدفعية أرسل إلى الجزائر عام 1837م، بعد مقتل دامريمون تولى حصار قسنطينة التي احتلها في 1837/10/13م، عين حاكما عاما على الجزائر من 1837-1840م، تسبب في نقض معاهدة التافنة، عين مارشالا في سنة 1846م..للمزيد أنظر:

-*Michel Mourre,* ***Dictionnaire Encyclopédique D'histoire****, Bordes nouvelle édition, (Tome .T.z), p : 4811.*

(3) – سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص: 31.

هذه الفلسفة جعلت الجنرال "بيجو" يصرح بقوله: « ..الحرب مستمرة ومنـــذ قـــدومي إلى الجزائر لم أحظ بانتصار واحد على الأمير عبد القادر، هل تعلمون أين تكمن قوته..إنها في إيمانـــه بأنه صاحب حق..». [1]

وبهذه الأساليب القاسية استعمل كل طرف ما عنده من سلاح للقضاء على الآخر، حيـــث أجبرت جيوش الاحتلال الأمير على الانسحاب إلى الجنوب بعاصمته المتنقلة "الزمالـــة"[2]، الـــتي انقض عليها الفرنسيون في معركة "عين طاقين" يوم 1843/05/16م، فاضطر الأمير إلى اللجوء مع من بقي معه من أنصاره إلى المغرب الأقصى غير أنه سرعان ما عاد إلى الجزائـــر [3]، ورغـــم مضايقة الفرنسيين له إلا أنهم عجزوا على أن يقبضوا عليه، حتى قال أحد ضباطهم عنه: « ..إنـــه عدوا لا تقع عليه عيوننا أبدا ولكنه مع ذلك فهو موجود في كل مكان.. ».[4]

وهكذا وأمام مطاردة العدو له واستشهاد أشهر قادته وانفضت من حوله العديد من القبائـــل وحملت ضده السلاح، وانتهى أخيرا محاربا من طرف سلطان المغرب، فأصبح الأمير في وضـــع لا يحسد عليه، و لم يعد بمقدوره مواصلة الحرب فجمع مساعديه واستشارهم بشأن وقف القتال الذي

---

(1) – بديعة الحسني، وما بدلوا تبديلا، **تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير ودولته**، دمشـــق: دار الفكـــر، 2002، ط: 01 ص: 161.

(2) – الزمالة، هي عاصمة متنقلة أنشأها الأمير بعد سقوط معظم مدنه وجعلها متنقلة حسب ما تقتضيه ظـــروف الحـــرب وذلك لتفادي وقوعها في قبضة العدو، وهي عبارة عن خيام منسقة ومرتبة تحتوي على مختلف المرافق العامة مثل المخـــزن والمحكمة والمستشفى والمسجد والمدرسة..إلخ، أنظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص،ص: 60، 61.

(3) –*Jean Ganiage, **Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 a nos jours**, paris : édition fayard, 1994, p : 127.*

(4) – مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، الجزائر: م.و.ك، 1983، ص، ص: 119، 120.

لم يعد متكافئا وعليه اتصل الأمير بحاكم وهران "لامورسيير" (*Lamoricière*) [1]واتفق معه على شروط لوقف الحرب والتي منها السماح له ولأهله بالهجرة إلى المشرق.[2]

ومما يذكر في هذا الصدد أن "لامورسيير" عندما جاءه هذا الخبر اهتز سرورا لذلك وبادر ببعث سيفه إلى الأمير مع ورقة ختمها بختمه وعلى بياض ليشترط الأمير ما آراد، [3] إلا أ ن فرنسا وكعادتها لم تفِ بما تعهدت به إذ عانى الأمير من سجون فرنسا مدة خمس سنوات إلى غاية 1852م، حيث أطلق سراحه الإمبراطور "نابليون الثالث"[4] ليتجه إلى تركيا ومنها إلى دمشق حيث استقر به المقام بها، فاشتغل بالتدريس والكتابة وقام بزيارة عدة بلدان إسلامية ومنها الحجاز وفلسطين، كما زار عددا من دول أوربا وشارك في حفل تدشين قناة السويس في مصر سنة 1869م. [5]

(1) – ولد (*Léon Lamoricière*) سنة 1806م بمدينة "نانت" (*Nantes*) إلتحق سنة 1924م بالمدرسة متعددة التقنيات وتخرج منها بالمرتبة الأولى ضمن دفعته من المدرسة التطبيقية "لمتز" (*Metz*) المعروفة آنذاك بمدرسة الحرب وخلال الحملة الفرنسية كان "لامورسيير" ضابطا في الجيش برتبة نقيب ليصبح عقيدا سنة 1835م، ثم برتبة جنرال سنة 1840م فهو بذلك أصغر جنرال في الجيش لا يتعدى عمره 34 سنة، وهو من استحدث فرق زواوة، ويجيد اللغة العربية كثيرا..أنظر:
-*Peyronnet.(R), Op.cit, pp :26,27.*

(2) – يتصور الكثير من أن الأمير عبد القادر قد استسلم لكن على العكس من ذلك فقد دعته الأحداث سالفة الذكر إلى وقف القتال وهو ما يؤكده الخطاب الذي ألقاه على مجلس الشورى الخاص به. أنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري المصدر السابق: ص، ص: 498، 499.

(3) – محمد بن الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص: 499.

(4) – هو ابن شقيق نابليون بونابارت رئيس الجمهورية الفرنسية الثانية (1848-1852م) ثم إمبراطور فرنسا ما بين (1852-1870م)، انهار حكمه اثر هزيمته أمام الألمان في حرب 1870م، أنظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 67.

(5) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 68.

وفي 1883م توفي الأمير عبد القادر بدمشق بعد حياة حافلة بالانجازات والمواقف العظـــام ودفن إلى جوار الصوفي الكبير "محي الدين بن عربي"، وفي الخامس من جويلية عام 1966م نقلت رفاته وأعيدت إلى بلاده ليكون رمزا من رموز الدولة الجزائرية.

لقد مثلت مقاومة الأمير عبد القادر نموذجا استثنائيا فيما يتعلق بظـــاهرة الثنائيـــة الروحيـــة والزمنية في قيادة المقاومة، لأنه نجح في الجمع بين الزعامتين عندما تلقب بأمير المؤمنين[1]، وأصبح بذلك القائد الروحي والسياسي والعسكري للمقاومة[2]، وقد كان توقف مقاومة الأمير ســـببا في إشعال فتيل العديد من الثورات عبر مختلف مناطق الوطن، وكانت كلها كما أشرنا من تحضـــير وقيادة الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا ومريديهم.

إذن هذه لمحة موجزة عن بعض المعارك والمعاهدات التي جرت بين جـــيش الأمـــير والعـــدو الفرنسي، فكان الأمير محاربا قاسيا أمام كل من حمل السلاح ضده، ونستطيع تسمية هذه المرحلة النضالية والجهادية بمرحلة الفتوة والمرابطة في التصوف الإسلامي، وهو ما يراه الباحث فؤاد صالح السيد حيث يقول: «.. كانت حروب الأمير عبد القادر ومرابطته في الثغور ضد الفرنســـيين في هذه المرحلة..عندما اعتدوا على بلاده فهو لم يحارب فرنسا ولا حارب الفرنسيين بل حارب من حمل السلاح منهم فقط، وجاء إلى الجزائر مقاتلا مستعمرا..روح الفتوة والمرابطـــة في مقاومـــة العدوان ودفع الاضطهاد لتحرير البلاد.. كما كان يسموا بتدينـــه الصـــحيح إلى ذروة الفتـــوة والمرابطة بمعناها الإنساني النبيل.. ».[3]

(1) – جمال قنان، المرجع السابق، ص: 105.

(2) – أحمد دركوش، المرجع السابق، ص: 77.

(3) – فؤاد صالح السيد، **عبد القادر متصوفا وشاعرا**، الجزائر: م.و.ك، 1985، ص، ص: 130، 132.

لقد كان الأمير أكثر من قائد سياسي ورجل دين وهذا ما جعل "جاك بيرك" يقـــول عنـــه: «..إنه يحرك مبدأ الوطنيات الرومنطيكي ويجمع في شخصيته الفروسية البدوية وإلهام الإسلام ودنيا ملكية القرن 19م.. » [1]، كما استعان بالعقلية الدينية السائدة آنذاك لمواجهة الفرنسيين الـــذين كانوا يراهنون على فشل العرب في تنظيم أنفسهم في جبهة واحدة لمقاومتها. [2]

كما حاول الأمير تجسيد روح المقاومة من خلال إبراز قوة عقائدها وثوابتـــها الـــتي تصـــنع قناعاتها الإيديولوجية الإسلامية الذي حفظته الزوايا وتعهده شيوخها، مما ساهم في ميلاد اليقظـــة السياسية وبتدين المقاومة وإضفاء طابع القداسة على حركات المقاومات الشعبية ضد الفرنســـيين الغزاة. [3]

إذن فإنّ مفهوم الجهاد هنا هو الدعوة التي أطلقها قائد الأمة الجزائرية مخاطبًا المشاعر الدينيـــة من أجل الدفاع عن القيم و الأرض.

إنّ الغرب يصوّر الإسلام على أنّه دين حرب ويعطي للجهاد معنى العدائية، لكن العداء كان دائمًا ملتصق بالجهة الغربية، وأنّ من محاسن الإسلام احترام آراء الآخرين[4]، ومن هنـــا كانـــت القادرية بمواقفها خلال هذه الفترة من القرن التاسع عشر أنموذجا للطرق الصوفية المقاومة والرافضة للاحتلال الفرنسي في الجزائر.

---

(1) – عمار عمورة، **الموجز في تاريخ الجزائر**، الجزائر: دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002، ص: 140.

(2) – براني كلثوم، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر وإشكالية السلطة بين الديني والسياسي –قراءة سوسيولوجية–**، مجلـــة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع: 11، ديسمبر 2016، ص: 330.

(3) – نفسه، ص: 331.

(4) –*Abdelkader boutaleb, **l'emir Abdelkader et la formation de la nation algérienne**, Algérie : édition, dahleb, 2009, p,p : 66,67.*

ب/- الشريف محمد بن عبد الله المعروف "ببومعزة" (الطيبية)

ومن المرابطين المنتسبين إلى الطريقة الطيبية الشيخ الشريف محمد بن عبد الله المعروف "ببومعزة"[1] والذي عرف عنه الزهد والورع وذيع صيته في كل نواحي جبال الظهرة وحوض الشلف وجبال الونشريس، وهذا ما حفزه على إظهار ما كان يخفيه ضد الفرنسيين، حيث أخذ يعمل على إثارة الناس وتحفيزهم على الجهاد وبدأ يجوب القبائل، ويقال أنه كان يدعوا الناس على أساس أنه "المهدي المنتظر" أو "مول الساعة" الذي أرسله الله لتخليص البلاد من الأعداء الفرنسيين. [2]

ويمكن القول أن "بومعزة" كان بمثابة الفرصة لتجديد مقاومة الأمير عبد القادر أين حقق إنتصارا قويا في معركة "سيدي إبراهيم" في سبتمبر 1845م[3]، وهذا ما شجع القبائل والعشائر للانضمام إلى مقاومته.

ومنذ شهر يناير من عام 1845م شهدت منطقة "الظهرة" معركة تاريخية أطلق عليها الفرنسيون "انتفاضة الطرق الصوفية" وذلك لمشاركة العديد من الطرق الصوفية فيها كالقادرية والرحمانية والطيبية وغيرها..وقد قمعت فرنسا هذه الانتفاضة بوحشية قلما حدثت في التاريخ من عرش "أولاد رياح" جنوب تنس على إثر مشاركته في هذه الانتفاضة.

---

(1) – هو الشريف محمد بن عبد الله بن وداح بن عبد الله، ينتسب إلى أولاد خويدم في حوض الشلف وأصل عائلته من "تارودانت" بجنوب المغرب الأقصى، استقر أجداده منذ وقت مبكر في منطقة أولاد يونس بجبال الونشريس، وهو ينتمي إلى الطريقة الطيبية الدرقاوية نسبة إلى مولاي الطيب بالمغرب الأقصى..أنظر:

- *Henri Garrot, **Histoire générale de l'Algérie**, Alger : 1910,p-p :864-866.*

(2) – يحي بوعزيز، **ثورات القرنين 19و20**..المرجع السابق، ص:82.

(3) – شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 353.

وهكذا اتسعت ثورة بومعزة لتشمل التيطري وجبال ديرة وسور الغزلان، ثم امتدت لتشـــمل نواحي "أولاد خلال" قرب قبة سيدي عيسى بن داود على حدود منطقة الأصنام، حيث وجد من الزاوية المختارية وشيخها بن عبد الرحمن مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساندة، واستمرت معارك هذا الثائر خلال الفترة الممتدة من 1844 إلى 1847م، إلى أن عجز عن مواجهة العدو الذي تفوق عليه في العدة والعدد ليتم اعتقاله بعد معركة "ثنية الحد" من طرف الضابط الفرنســي "سانت آرنو".[1]

هذه المقاومات الشعبية كما أسلفنا الذكر سابقا كانت في معظمها تحت لواء رجال الزوايــا والطرق الصوفية الذين برهنوا على مساهمتهم الكبيرة والفعالة في تــدعيم ومســاندة ومــؤازرة المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر طيلة القرن 19م، وفي هذ الصــدد يؤكــد لنــا الضــابط "نوليت" (*Colonel Noillat*) " أن الزعماء الدينين هم من يدفعون الشعب إلى الثورة لأنهــم دائما ناقمون على الاستعمار الفرنسي"[2]، بينما يعتبر "سباتيه" (*Sabatier*) "أن تأثير الأئمــة والمشايخ وزعماء الطرق الصوفية سبب رئيس في المقاومات والثورات الشعبية"[3]، فقد تعاونــت معظم الطرق الصوفية من قادرية ورحمانية ودرقاوية وسنوسية على صد المستعمر وطرده، ورمــى زعماؤها عمامة التصوف ولبسوا خوذة الحرب.[4]

---

(1) – يحي بوعزير، **ثورات القرنين 19و20**...المرجع السابق، ص: 86.

(2) – *Colonel Noillat, **l'Algérie en 1882**, paris : librairie militaire de j.dumain, 1882,p :105.*

(3) – *Sabatier Camille, **La questions de la sécurité**, insurrection et criminalité : les difficulté algériens, Alger : Adolph Jourdan librairie édition, 1882, pp :30,31.*

(4) – محمد بن معمر وآخرون، **دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية خلال القرن 19**، الجزائــر: المركــز الــوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، (د.ت)، ص: 11.

وبهذا الصدد أيضا يقول الضابط "فريش" (*Frisch*): « أن العربي المسلم مستعد للتضحية من أجل الشيخ الذي أعلن الثورة والذي يسمونه أحيانا "المهدي" والذي إن انهزم يقولون أن ذلك مقدرا له، وأن الخلاص من الكافر مقدر ألا يكون على يده بل على يد آخر ولهذا يتواصل القتال وتتواصل الثورات الشعبية..». (1)

وقد شكلت الزوايا في الجزائر شبكة من المراكز والأتباع بسبب انتشارها في كل مكان من الجزائر وأغلبها في الأرياف، ينتسب أغلبها إلى الطريقة القادرية والدرقاوية والرحمانية.. بشكل خاص، هذه الأخيرة تعتبر أقوى الطرق الصوفية في الجزائر وأكثرها مساهمة في قيادة الانتفاضات الشعبية ضد الاحتلال، حيث عملت منذ تأسيسها على تقديس الجهاد وربطه بالواجب الشرعي. (2)

(1) – *R.J.Frisch,* ***Considération sur la défense de l'Algérie la Tunisie et l'armée d'Afrique****, paris :imp, librairie militaire,(s.d), p :161.*

(2) – شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر-باتنة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2009/2008، ص: 17.

ج/- لالة فاطمة نسومر" (الرحمانية):

ولئن انتهت مقاومة البطلين الأمير عبد القادر وأحمد باي[1] فإن شعلة الروح الوطنية بقيت محافظة على وهجها ملتهبة في النفوس، ذلك أن الشعب الجزائري لم يتقبل الواقع المفروض عليه من لدن الاحتلال الفرنسي، هذا الرفض عبرت عنه الانتفاضات المتواصلة التي عمت كل مناطق الجزائر وغطت كل المراحل الزمنية منذ عام 1848م حتى عام 1916م (خلال الح ع 1) وليست الانتفاضات في جوهرها ومراميها سوى نوع من المقاومة، وهي ذاتها تعبير صادق عن إرادة الأمة في رفض ما هو غريب عنها دفاعا عن مقوماتها الحضارية [2]

كانت هذه الثورات ذات طابع إقليمي جهوي وبزعامة شخصيات دينية في أغلبها، وهذا ما جعل القضاء عليها سهلا ميسورا، خاصة وأنها لم تظهر في وقت واحد، بل متفرقة تبعا للظروف والعوامل التي حركتها، وقد تركزت هذه الثورات في بلاد القبائل وجبال الأوراس والواحات الصحراوية، وواجهتها الجمهورية الثانية والإمبراطورية الثانية الفرنسيتان بالعنف والشدة تماشيا مع

---

(1) – الحاج أحمد باي حفيد الباي أحمد القلي وابن الشريف محمد من أصل كرغلي، ولد سنة 1784م شغل منصب الخليفة في الفترة العثمانية، برز كرجل لامع وكفء سنة 1809م عندما وصل إلى رتبة قائد العواسي، ثم تم تعيينه عام 1818م خليفة للباي فأثبت جدارة وكفاءة، الأمر الذي دفع الداي حسين إلى توليته بايا على قسنطينة سنة 1826م، مع الإنزال الفرنسي كان من الأوائل الذين تصدوا له بمدينة الجزائر ثم قسنطينة عندما أعلن مقاومة الفرنسيين بعد سقوط العاصمة لتمتد مقاومته من 1830 إلى غاية 1848م بدعم من الدولة العثمانية، توفي سنة 1850م..أنظر: صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826–1850**، الجزائر: د.م.ج، 2007، ص، ص: 19، 20.

(2) – محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 1992 ط: 02، ص: 17.

سياسة فرنسا الرامية إلى تركيز الاحتلال والتوسع..خاصة بعد عن أعلنت فرنسا عام 1848م أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي. [1]

لقد شهدت منطقة زواوة الواقعة بالوسط الشمالي تحركا جديدا في الفترة الممتدة ما بين (1850-1857م) وهي انتفاضة تحمل اسم مرابطين بارزين هما الشريف بوبغلة[2] ولالة فاطمة نسومر[3]، وقد كان هدف بوبغلة من إعلان الجهاد هو طرد المستعمر الفرنسي والحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية، لهذا لم يبدأ دعوته للثورة إلاَّ في عام 1851م، وهذا يعني أنه انتظر مدة سنتين كاملتين قام خلالها بدراسة المنطقة من جميع النّواحي فتعرف أولا على موقف السّكان من فرنسا، ومدى استعدادهم لتقديم المساعدة له إذا ما دعاهم إلى الثورة[4]، لذا فقد لقي مساندة كبيرة من طرف سكان المنطقة وقاد عدة معارك ضد الاحتلال الفرنسي، ففي سنة 1851م وقعت معركة كبيرة بينه وبين قوات الاحتلال في جبال جرجرة قرب الزاوية الرحمانية

(1) – يحي بوعزيز، **ثورات القرنين 19و20**..المرجع السابق، ص:88.

(2) – اسمه الحقيقي محمد الأمجد بن عبد المالك، أشتهر باسم بوبغلة لاتخاذه بغلة يركبها أثناء تنقلاته، وخلال عام 1849م حل بدائرة سور الغزلان كرجل غريب عن المنطقة قادما إليها من النواحي الغربية وحتى الآن لا يعرف المؤرخون بالضبط أصله ولا أصل عائلته، تلقى تعليما قرآنيا وتكوينا عسكريا خلال جهاده في صفوف الأمير عبد القادر..أنظر: سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 113.

(3) – ولدت لالة فاطمة نسومر بقرية "ورجة" سنة 1830م، تربت تربية دينية في أسرة تنتمي إلى الطريقة الرحمانية إذ كان والدها الشيخ محمد بن عيسى مقدما على زاوية سيدي أحمد أمزيان شيخ الطريقة الرحمانية، وأمها لالة خديجة التي تسمى عليها قمة جبل جرجرة، وبعد وفاة والدها غادرت أسرتها إلى قرية "سومر" ومن تلك الفترة أصبحت تعرف باسم لالا فاطمة نسومر وذلك احتراما لنسبها الشريف...أنظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار**، الجزائر: دار الخليل للنشر والتوزيع، 2013، ص: 805.

(4) – محمد سي يوسف، **ثورة الشريف بوبغلة 1850–1854م**، مجلة الباحث، مصلحة التاريخ، الجزائر: ع:04 1986، ص: 40.

التي شارك العديد من شيوخها إلى جانبه، وقد حقق بوبغلة انتصارا كبيرا على قوات العدو مما دفع بهذه الأخيرة إلى تجهيز جيش كبير جندت له عشرات الآلاف من الجنود وكلفوا الجنرال "راندون" (*Randon*) باقتحام المنطقة في ربيع وصيف 1854م ليسقط الشريف بوبغلة شهيدا في ساحة المعركة يوم 26 ديسمبر 1854م. [1]

ولم تنتهي انتفاضة منطقة زواوة باستشهاد بوبغلة فلقد تلقتها أيادي أخرى حول "الحاج عمر"[2] ولالة "فاطمة نسومر"، إذ قاد الحاج عمر عدة اشتباكات ومعارك ضد قوات الجيش الفرنسي وأعوانه، كما وثق في الوقت نفسه صلاته مع رموز المقاومة في بلاد القبائل ونسق معهم ضد العدو، من أمثال الشيخ أعراب في بني راثن والسيدة فاطمة نسومر وزعيم بني منصور سي محمد بن عبد الرحمن، وكانت أشهر معاركه معركة (يشريض) المشهورة في يوم 24 جوان 1857م قرب قرية "نايت ايراثن" بمنطقة القبائل لقنت العدو درسا قاسيا وكلفته أكثر من ستين قتيلا وأكثر من أربعمائة جريح[3]، وإلى هذا التاريخ فإن الحاج عمر كان يقود حركة الجهاد بصفته رجل دين وشيخا للطريقة الرحمانية[4]، وظل في نضاله ضد الفرنسيين وقد استعمل "راندون" كل الوسائل القمعية المعروفة من حرق وحشد وقتل جماعي، فلم يستطع الحاج عمر

---

(1) – العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م**، الجزائر: دار المعرفة، 2006، ص: 206.

(2) – يذكر "جوزيف روبان" (*Joseph Robin*) أن الحاج عمر من مواليد مدينة فاس أو بالقرب منها وأثناء عودته من الحج برا توقف في زاوية محمد بن عبد الرحمن الأزهري الملقب "ببوقرين" في آيت اسماعيل حيث استقبله وكيل الزاوية علي بن عيسى المغربي الذي كان يدير شؤونها منذ سنة 1794م تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الرحمن المذكور وأقنعه بالطريقة الرحمانية فصار من أتباعها النشطين، ليتولى فيما بعد رئاسة الزاوية ويتزوج من ابنة علي بن عيسى..أنظر:

- *Joseph Robin,* ***Notes et documents concernant l'insurrection de 1856-1857 de la grande kabylie*** *, in :R.A.N°43, année :1899, p :226*

(3) – *Joseph Robin, Op, cit, pp : 151-161.*

(4) – *Ibid, pp : 322-337.*

المقاومة إلى أن وقع أسيرا يوم 08 جويلية 1857م بيد الفرنسيين، ليتم نفيه وعائلته إلى تونس ليستقر هناك مدة في الزاوية الرحمانية ثم التحق منها إلى مكة المكرمة رفقة زوجته وابن الشريف بوبغلة. [1]

أما فيما يخص المجاهدة لالة فاطمة نسومر ما إن إندلعت ثورة بوبغلة سنة 1850م حتى سارعت لالة فاطمة إلى مساندتها، [2] فقد وقفت هي الأخرى في وجه الاحتلال الفرنسي وواصلت الكفاح بعد استشهاد بوبغلة وقادت عدة معارك ضد العدو، ووقفت كالحاجز أمام طموحات الجنرال "راندون" الذي آراد السيطرة على منطقة القبائل ليواصل عملياته التوسعية إلى المناطق الجنوبية.

وبعد معركة (أشريض) التي شاركت فيها لالة فاطمة واصلت بعدها مع أتباعها إلى مناطق أخرى بغية تحصينها قبل وصول العدو إليها، الذي اصطدم مرة أخرى بجيش لالة فاطمة نسومر في معركة (تاشكريت) التي دامت يومين كاملين 18و19 جويلية 1954م، كان الانتصار فيها حليف لالة فاطمة وأخيها سي محند الطيب مما جعل العدو ينسحب تاركا وراءه أكثر من 800 قتيل وما يفوق 371 جريح. [3]

هذه الهزيمة دفعت بالحاكم العام "راندون" للخروج بنفسه للإشراف على هذه الحملة سنة 1857م وزحف بجيشه على منطقة "الأربعاء ناث اراثن" وارتكب جرائم وحشية [4]، ولم يتوقف عند هذا الحد بل حاول السيطرة على قرية نسومر وما جاورها، ولم يتمكن "راندون" من

---

(1) – محمد بن معمر وآخرون، المرجع السابق، ص: 103.

(2) – يحي بوعزيز، **ثورات القرنين 19و20**.. المرجع السابق، ص: 133.

(3) – العربي منور، المرجع السابق، ص: 208.

(4) – سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر**.. المرجع السابق، ص: 52.

القضاء على مقاومة لالة فاطمة إلا بعد استخدام الحيلة عارضا عليها التفاوض والهدنة لترسل وفدا برآسة أخيها سي محند، ليرسل "راندون" بدوره فرقة من جيشه إلى مكان إقامتها ليتم القبض عليها رفقة الوفد المفاوض في نفس السنة أي 1957م. (1)

وهكذا واصلت لالة فاطمة نسومر مقاومتها للفرنسين بكل قوة إلى غاية 11 جويلية 1857م حيث ألقي القبض عليها من طرف "الجنرال يوسف" قائد الحملة في المنطقة والذي نقلها إلى معسكر المارشال "راندون"، ثم نقلت مرة ثانية إلى زاوية الطاهر بن محي الدين ببني سليمان (قرب تابلاط) وبقيت هناك رهن الاعتقال إلى غاية وفاتها عام 1863م عن عمر يناهز 33 سنة.(2)

ح/- المقراني (الرحمانية):

تعتبر ثورة الشيخ ابن الحداد(3) من أهم ثورات القرن 19م، وحظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين والمؤرخين دراسة وتحليلا، وهذا يرجع على الأرجح إلى نطاق انتشارها وعدد أتباعها ونتائجها وبتميز السياسة الاستعمارية التي تعاملت بها مع هاته المقاومة.

---

(1) – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 808.

(2) – حسن حموتن، **لالا فاطمة نسومر 1830–1863**، الأصالة، ع:16، (سبتمبر-أكتوبر)،1973، ص- ص:161-165.

(3) – هو محمد أمزيان بن علي الحداد أصله من بني منصور، انتقلت أسرته إلى "ايفيل ايمونة" ومنها إلى بلدة "صدوق" وفيها امتهن حرفة الحدادة لذلك أطلقت تسمية الحداد على الأسرة، أسس والده زاوية صدوق أين تعلم الشيخ الحداد قواعد اللغة العربية وحفظ القران الكريم، ثم استكمل تعليمه في زاوية أعراب في جبال جرجرة وعند عودته إلى بلدة صدوقة تولى مشيخة زاوية أبيه ليصبح مقدما لها فيما بعد..أنظر: بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989**، الجزائر: دار المعرفة، 2006، ج: 01، ص: 202.

ففي عام 1871م ظهرت ثورة الباشاغا المقراني[1] والشيخ الحداد والتي تعد من أهم الثورات التي قامت ضد الاحتلال الفرنسي وشملت معظم أرجاء الوطن، ويمكن اعتبارها ثورة الشعب الجزائري بأسره ضد الظلم والاضطهاد، كما يمكن اعتبارها ثورة للطريقة الرحمانية، باعتبار أن زعيمها الروحي الشيخ "محمد بن أمزيان الحداد الذي دعى إلى الثورة وجند في ظرف وجيز أكثر من 120 ألف مقاتل. [2]

أما عن أسباب هذه الثورة فهو يرجع إلى الوضع العام السيئ الذي كانت تعيشه الجزائر[3] من جراء الاحتلال الفرنسي والثورات التي كانت قائمة مثل ثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الجزائري سنة 1864م وثورات أخرى، وتعرض منطقة القبائل الكبرى والصغرى لمجازر التقتيل والتنكيل والمصادرة على يد حملة "راندون" على المنطقة كما كنا قد أشرنا لذلك سابقا، ناهيك

(1) – هو محمد أحمد المقراني، ولد حوالي 1815م بناحية مجانة بولاية برج بوعريريج في أسرة كبيرة ذات نفوذ سياسي كبير فقد شاركت إلى جانب أحمد باي في معركة "اسطاوالي" قبل أن تتمكن الإدارة الاستعمارية من استمالة زعيم الأسرة أحمد المقراني والد محمد المقراني وتعينه في منصب خليفة سنة 1833م، وهي سياسة انتهجتها فرنسا لاستمالة الأسر الجزائرية الكبيرة كوسيلة لفرض سيطرتها على المجتمع، فكانت تمنح رؤساء هذه الأسر ألقابا مثل الخليفة، الباشاغا، قايد، وشيخ العرب..أنظر: بطاش علي، **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل الشيخ الحداد وثورة 1871**، الجزائر: دار الأمل للنشر والتوزيع 2007، ط: 02، ص: 84.

(2) – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**..المرجع السابق، ص: 258.

(3) – لقد كانت الجزائر في أواخر الستينات (1866-1870م) تعيش أوضاعا ومشاكل معقدة، فقد كانت عرضة للقحط والجفاف وهجمات الجراد وانتشار الأوبئة والأمراض التي أودت بحياة عشرات الآلاف من الجزائريين، وانعكست سلبا على شتى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكانت سنة 1869م ذروة هذه الأزمة وهي التي مهدت في النهاية لثورة 1871م..للإطلاع أكثر حول هذا الموضوع يرجع إلى:

-*Z'abbé burzet,* ***Histoire des désastres de l'Algérie 1866-1867-1868****, Alger : imprimerie centrale algérienne, 1869, p :53.*

عن ما كان يحدث في فرنسا نفسها بعد انهزامها في حربها ضد ألمانيا، والانقلاب الذي حدث من تغير للنظام الملكي إلى الجمهوري وما صاحبه من قيام عدة ثورات وتمردات. [1]

وحسب عبد الرحمان الجيلالي يمكن حصر أسباب ثورته في انهزام فرنسا في حربها ضد ألمانيا وتغير نظام الحكم فيها من الملكية إلى الجمهورية، إضافة إلى تفاقم الضرائب التي أدت إلى تفقير السكان، إضافة إلى قرار كريميو والذي منح الجنسية لليهود سنة 1870م[2] مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية. [3]

أما يحي بوعزيز فنلمس في كتاباته عن أسباب وظروف هذه الثورة تركيزه على دور الباشاغا المقراني والانعكاسات السلبية التي تجرعها بسبب تقربه الكبير من الإدارة الفرنسية من جهة واستفادته من قروض بنك الجزائر والتي عجز عن ردها من جهة أخرى، الأمر الذي دفعه إلى الثورة ضد تنامي شوكة اليهود المدعمين من كريميو وزير العدل حافظ الأختام، والذي أبدى المقراني سخطه منهم بقوله: " ..إني مستعد أن أضع رقبتي تحت السيف ليقطع رأسي، ولكن لا أطيع أبدا أحدا من غير الجنود ولا أقبل أن أخضع لحكومة التجار اليهود "، وقرر أن يخوض غمار الثورة. [4]

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، الجزائر: عالم المعرفة ، 2015، ج: 02، ص، ص: 53، 54.

(2) – عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ص، ص: 305، 306.

(3) – تشير بعض الدراسات الفرنسية مثل دراسة الاخوان لـ "لوي رين"، أن الضرائب أثرت على أصحاب النفوذ، أمثال الباشاغا المقراني، الذي استطاع تأليب أتباعه ضد فرنسا، وإقناع الشيخ الحداد للانضمام لثورته، هذه الملاحظة أوردها يحي بوعزيز في دراسته لثورة المقراني والحداد في كتابه، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**..المرجع السابق ص، ص: 234، 235.

(4) – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**..المرجع السابق، ص، ص: 244، 245.

إذن نتج عن تغير نظام الحكم في فرنسا إلى تغير نظام الحكم في الجزائر أيضا من حكم عسكري إلى حكم مدني، ونتج عن هذا النظام إلغاء نظام المكاتب العربية، والتخلي عن الزعامات المحلية ومحاولة إذابتها ضمن المجتمع، هذه الأخيرة التي كان الباشا أغا المقراني يشكل فيها أهم الزعامات، خاصة في منطقة مجانة وأخذت الإدارة الاستعمارية تضعف من شأنه ومن نفوذه وقوته [1]، وقد أوضح "لوي رين" هذه الفكرة وأكدها بقوله: «.. أن رؤساء هذه الأسر لم يريدوا أن يفهموا بأنهم أوتي بهم من أجل خدمة السلطات الفرنسية فقط وتنفيذ أوامرها..». [2]

ومنذ مطلع جانفي 1871م قام المقراني بزيارة إبن علي الشريف باشاغا أقبو وشيخ زاوية شلاطة، ثم زار أيضا زعيم الطريقة الرحمانية في صدوق[3] الشيخ محمد أمزيان (الحداد)، والذي بدوره أجرى اتصالات عديدة بين رجال الزوايا، وشهدت زاوية صدوق إقبال الناس عليها في هذه الفترة بشكل لافت، فقد جاء في تقرير للضابط "لوي رين" (*L.Rinn*) قائلا: «..الحج إلى صدوق تكاثر وأن التعصب الديني الذي كان حميا كما رأينا تعزز بشكل مخيف.. إن جماعات الحجاج الذين كانوا يتوجهون إلى الشيخ الحداد يقودهم المقدمون كانوا يسلكون الطريق وأقدامهم عارية وهو يرتلون الذكر..وكانت النساء يقمن بزيارة الشيخ وهن لسن أقل حماسا من الرجال..كان هناك شيئ يُعد في الخفاء..». [4]

---

(1) – مزيان وشن، **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ثلاثة قرون من النضال السياسي والجهاد العسكري القرن 16 و19م**، (د.ب): دار الكتاب العربي، 2007، ص: 133.

(2)– *Louis Rinn, **Histoire l'insurrection de 1871 en Algérie**, Alger : librairie Adolphe Jourdan,1891, p-p :20-22.*

(3) – صدوق قرية تقع بالقبائل الصغرى على الضفة الشرقية لوادي الصومام بين آقبو وبجاية.

(4) – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 818.

وبدأت أحداث ثورة 1871م بتجمع قوات الحاج محمد المقراني في مجانة يوم 15 مارس سنة 1871م من كل صوب للمشاركة في تلك الثورة، فبلغ عدد المقاتلين ستة آلاف مجاهد، وسار المقراني إلى برج بوعريريج فانضم إليه الجزائريون العاملون ضمن قوات الحرس الفرنسي[1] وشهدت الثورة إمتدادا جغرافيا كبيرا خاصة في الشمال الشرقي للبلاد، حيث امتدت عبر كل من حجوط وشرشال وملیانة غربا إلى جيجل والقل شرقا، وباتنة وبوسعادة وسور الغزلان جنوبا وكذلك جبال جرجرة والبيبان والبابور وحوض الصومام والحضنة، ووصلت إلى متيجة وبجاية ودلس وتيزي وزو وبرج منايل وذراع الميزان وبني هني.. [2]

وبالرغم من معارضة الشيخ محمد أمزيان الحداد ولأنه كان طاعنا في السن ولا يميل إلى الحروب التي كان يرى فيها تخريبا لزاويته، إلا أن ولده سي عزيز أقنعه بإعلان الجهاد في 08 أفريل 1871م ببلدة صدوق، واستجاب لنداء الجهاد من أتباع الطريقة الرحمانية أكثر من مائة وخمسة وعشرين (125) ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة، وقاد الجهاد بنفسه ووصل إلى جبال البابور بالشمال القسنطيني حيث أتباع الطريقة الرحمانية، ومن أبرزهم شيخ زاوية فرجيوة والمقدم الحسين بن أحمد الشريف المدعو " مولاي الشقفة " شيخ زاوية مولاي الشقفة بالبابور، إلا أنهم واجهوا صعوبات بمقاومة بعض العائلات الموالية لفرنسا مثل؛ أولاد ثابت و عائلة بن حبيلس وأولاد داودي بن كسكاس، وامتدت الثورة إلى ذراع الميزان حيث زاوية أمحمد بن عبد الرحمن "بوقبرين" وإلى دلس حيث الحاج عمر بن محي الدين ممثل الرحمانيين، ووصلت حتى الجزائر

(1) – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 819.

(2) – يحي بوعزيز، **ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد عام 1871**، الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009 ص: 204.

العاصمة ومتيجة[1]، وبلغ عدد المعارك التي خاضوها 350 معركة[2]، وعدد الثوار وصل إلى 200 ألف مجاهد، وفي مقابل هذا أرسلت باريس جيشا ضخما مكون من أسطول كبير تحت قيادة الأميرال "جيدون" (*Gueydon*) المعروف بقسوته وغطرسته، وتعاونت القوات البرية والبحرية في رد الهجومات وقذفت البوارج الحربية مراكز الثوار[3]، وقد لعبت المساجد والزوايا خلال هذه الانتفاضة دورا هاما فقد كانت قلاعا للثورة وقواعد للصمود، وأبلى الرحمانيون بلاءا حسنا في وادي الصومام وجبل طاقات بالبابور، والودية وعين عبيسة وغيرها[4]، إلى غاية استشهاد المقراني بسفلات بسور الغزلان في 06 ماي 1871م وتولى بعده أخوه الشيخ بومزراق والذي كان عمره 35 سنة آنذاك. [5]

وبعده استسلم الشيخ عزيز ابن الشيخ الحداد، ولحقه أخوه الشيخ محمد والشيخ الحداد نفسه في 13 جويلية من نفس السنة في منطقة تيزي لكحل في وادي الساحل، وصدر حكم في حقه في 19 أفريل 1873م بالسجن 05 سنوات، إلا أنه توفي بعد 05 أيام عن عمر ناهز 83 سنة ودفن بقسنطينة[6] ، أما ولديه فقد نفيا إلى كاليدونيا الجديدة، وبالرغم من اندلاع ثورة الشيخ بن جار الله في 30 ماي 1879م، إلا أنها لم تأخذ صدى ثورة الحداد وقمعت بسرعة.

---

(1) – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص: 311.

(2) – محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص: 204.

(3) – عثمان سعدي ، المرجع السابق، ص: 591.

(4) – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص: 821.

(5) – عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص: 312.

(6) – نفسه، ص: 315.

إذن عمل الفرنسيون بعد أن أعادوا الاستقرار لبلادهم أن كرسوا جهودهم لقمع الثـــورة في الجزائر ووضع حد لها، إضافة إلى موت المقراني أثر على المعنويات وأضعف الثورة، ليخلفه أخـــوه بومزراق وسي عزيز ابن الشيخ الحداد، هذه القيادة الجديدة ارتكبت حسب البـــاحثين خطـــأين استراتجيين، الأول كان مد الثورة إلى الصحراء حيث النقص في السكان والعتاد والماء، والثاني كان استعمال طريقة الهجوم المباشر ضد الفرنسيين، هذين الخطئين رجحا الكفة لصالح الفرنسيين الذين استطاعوا أن يأسروا بومزراق وسي عزيز في جانفي 1872م. [1]

لقد كان للانتفاضات والثورات الشعبية التي قامت بها الطريقة الرحمانية خلال القـــرن 19م أسس دينية وهو الجهاد ضد الاحتلال، وقد استطاعت أن تشغل حيزا جغرافيا وزمنيا واسعا، وأن تجند له جل فئات المجتمع من أشراف وأعيان وحتى عامة الأتباع بل وحتى النساء، وبناء على ذلك أدت الزوايا الرحمانية دورا كبيرا في معظم تلك الانتفاضات، وأثرت بشكل جلي على مســـارها واستمراريتها في مقاومة التوسع الفرنسي في البلاد.

كما لا ننسى ونحن بصدد تناول مقاومات شيوخ الطرق الصوفية الإشارة إلى ثـــورة واحـــة العامري من عرش البوازيد والتي أعلنها وقادها الشيخ "ابن عياش"[2]وأمحمـــد يحـــي في مـــارس 1876م بالقرب من طولقة ببسكرة وانضم إليه مجاهدوا الأوراس وأولاد زيان والصحاري وهم من شيوخ ومقدمي الطريقة الرحمانية.

---

(1) – سعد الله، **تاريخ الحركة الوطنية**...ج: 02، المرجع السابق، ص: 54.

(2) – ابن عياش مرابط من عرش البوازيد وهو داعية الشيخ يحي أمحمد، دأبت الإدارة الاستعمارية على نعته بالدرويش وهي صفة اعتاد المستعمر على إطلاقها على المقاومين، بل كان يصفهم على أنهم عديموا الفهم وادعت على أنه كانـــت تأتيـــه لحظات للهلوسة..أنظر:

-*Hubert Cataldo,* ***Biskra et les Ziban****, France : collection français d'Afrique, 1988, p :42.*

وفي يوم 11 أفريل 1876م نشبت معركة طاحنة بين البوازيد والقوات الفرنسية أستشـــهد خلالها القائد أمحمد يحي و50 آخرون من المجاهدين وجرح الداعية ابن عياش، وفـــرض علـــيهم العدو حصارا بعد اعتصام البوازيد داخل الواحة رافضين الاستسلام، وبعد حصـــار دام حـــوالي الشهر ووصول التعزيزات الفرنسية إلى المنطقة ليتم قصف الواحة مدة ثلاثة أيام، أجـــبر خلالهـــا المقاومون على الاستسلام وأصبح مطلبهم الوحيد هو النجاة بأرواحهم[1]، وبعد انتهاء المعركـــة سلطت فرنسا أبشع وأقسى العقوبات على الواحة وسكانها وقاموا بتخريبها بشكل كامل علـــى غرار ما فعله "هيربيون" بواحة الزعاطشة.

(1) – شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص: 579.

د/- بوعمامة (الشيخية):

وكنموذج آخر في دراستنا لثورات الطرق الصوفية الشعبية الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في القرن 19م ثورة أولاد سيدي الشيخ فرع الغرابة في جنوب الجزائر من عـــام 1881م[1]،إذ لم تكد تمر عشر سنوات على ثورة المقراني حتى اندلعت ثورة بوعمامة. [2]

كانت معركة ديسمبر 1879م آخر معركة خاضها أولاد سيدي الشيخ الفرع الشرقي ضد الفرنسيين، الذين حققوا انتصارات كبيرة الأمر الذي دفع بأولاد سيدي الشيخ الفرع الشرقي إلى الهروب نحو الجنوب (توات)؛ و لم تشكل هذه الهجرة فراغا سياسيا بالمنطقة إذ سرعان ما ظهـــر علـــى مســـرح الأحـــداث فـــرع أولاد ســـيدي الشـــيخ الغرابـــة بزعامـــة المجاهـــد والمتصوف الشيخ بوعمامة. [3]

---

(1) – بمقتضى معاهدة "لالا مغنية" التي أبرمتها سلطات الاحتلال الفرنسي مع سلطان المغرب سنة 1845م انقسمت أسرة أولاد سيدي الشيخ إلى قسمين أولاد سيدي الشيخ الشراقة مقرها بالأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري، وقسم أولاد سيدي الشيخ الغرابة مقرها بالمغرب الأقصى، ومن هنا ظهر فرع الشراقة والغرابة من هذه العائلة..أنظـــر: ســـعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 173.

(2) – ينحدر الشيخ محمد بن العربي المدعو بوعمامة من أولاد سيدي التاج وينتمي هذا الأخير إلى عائلة أولاد سيدي الشيخ ولد بقصر الحمام الفوقاني بمدينة فقيق حوالي سنة 1838م، وحفظ القران الكريم و لم يتمكن من إتمامه وبعض الأحاديث النبوية الشريفة والشعائر الدينية الأساسية والأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة الشيخية، ثم المبادئ العامة للتصوف والزهد في الحياة مما أهله لتولي منصب مقدم، واستقر بمغرار التحتاني سنة 1875م وأنشأ زاوية هناك وراح يجمع الناس حولـــه كزعيم روحي مرابط وارثا بركة أجداده الصالحين، يصفه بعض الكتاب بـــ "عبد القادر الثاني" ورغم أن بعضهم الآخر لا يعطونه كل هذه القيمة إلا إنهم يعترفون بأن بوعمامة قد تمتع بسمعة عظيمة بين الجزائريين..أنظر: محمد السناوي، **أضواء على ثورة بوعمامة 1881**، مجلة التاريخ، ع:10، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1981، ص: 07.

(3) – رشيد بكاي، المرجع السابق، ص: 246.

إذن تعتبر هذه الثورة أطول ثورة في تاريخ مقاومات الاحتلال الفرنسي فقد دامت أكثر من 22 سنة على فترات متقطعة، ذلك أنها تعتبر إمتدادا لثورة أولاد سيدي الشيخ التي بدأت سنة 1864م واستمرت متقطعة تلتهب وتخبو، وخلال مطلع عام 1881م قام الشيخ بوعمامة بدعاية واسعة وزيارات متعددة لعدد من المناطق والقبائل الصحراوية للدعوة بما يعتزم القيام به وإقناع الناس بإتباعه وتأييده، والتفت حول زاوية "مغرار التحتاني" الشيخية بين عين الصفراء وبورزق قبائل الصحراء[1] مثل قبائل (رزينة، وحمياني، وترافي، بني جيل وأولاد جرير..). [2]

وصلت تقارير للمخابرات الفرنسية مفادها أن بوعمامة كان يقول للقبائل: «..ما تدفعونه للزاوية من هدايا الزيارة سيستعمل لتحرير الجزائر من الفرنسيين..»، وصف هذا التقرير بأنه خطر على الفرنسيين[3]، ويذكر أحد الضباط الفرنسيين أنه منذ سنة 1878م قام مقدموا بوعمامة بأعمال مشتبه فيها لدى القبائل البدوية جنوبي إقليم وهران يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة. [4]

---

(1) –*Henry Duveyrier,* ***La confrérie musulmane de Sîdi-Mohammed ben 'Alî Es-Senoussi, et son domaine géographique en l'anné 1300 de l'hégrie-1883 in de notre ére****, paris : bulletin de la société de géographique de paris, 1884, p :184.*

(2) –*L.Rinn,* ***nos frontière saharienne****, in R.A.N° :30, année 1886, Alger : o.p.u, 1985, p :179.*

(3) – عثمان سعدي ، المرجع السابق ، ص: 603.

(4) –*Empéranger,* ***étude sur les causes les effets et les conséquences de l'insurrection de 1881, cerche de tiaret , le 1er janvier 1883****, archives de la wilaya d'Oran, N° :4465.*

كان بوعمامة قد قرر إعلان الجهاد ضد القوات الفرنسية في صيف ذلك العام بعد أن تُجنى الغلال وتجمع المحاصيل، لكن يبدوا أن أحداثا شهدها مطلع العام نفسه أي 1881م قد أجبرت الشيخ بوعمامة على إشعال فتيل الثورة قبل الموعد المحدد لها[1]، ففي منتصف شهر فيفري 1891م قضى مجاهدوا التوارق على بعثة الضابط "فلاترز" (*Flatters*) الاستكشافية ببير الغرمة[2]، وكذلك في 22 أفريل 1881م قتل ضابط فرنسي برتبة ملازم وهو "وانبرونر" (*Weinbrenner*) نائب المكتب العربي لمدينة البيض مع أربعة من حراسه وذلك عندما حاولوا إيقاف نشاط بوعمامة واعتقال مبعوثه لدى بعض القبائل. [3]

وبعد الحادث أرغم بوعمامة على إشعال نار الثورة حيث تم أول لقاء بين الثوار وقوات الاحتلال الفرنسي يوم 27 أفريل 1881م في معركة "سفيسفة" جنوب غرب عين الصفراء[4] أما عن هذه المعركة الطاحنة التي كانت يوم 27 أفريل 1881م في موقعة "المويلك" (*El-Moullek*) والتي جرت في ميدان فسيح قرب قصر الشلالة بجبال القصور دامت أكثر من أسبوع تصدى خلالها المجاهدون للقوات الفرنسية بقيادة العقيد "إنوسنتي" (*Innocenti*) واستماتوا استماتة بطولية وكبدوا العدوا خسائر بشرية ومادية فادحة تم على إثرها عزل العقيد سالف الذكر واستبداله بالجنرال "ديتري" (*Détrie*). [5]

---

(1) – بوعلام بسايح، **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830–1954**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 2010، ص: 145.

(2) – كانت هذه البعثة تعمل في الصحراء لمسح المنطقة من أجل مد السكة الحديدية نحو صحراء أواسط إفريقيا، لكن إلى جانب هذا العمل كانت تتجسس على سكان المنطقة باسم البحث.

(3) – سعيد بورنان ، المرجع السابق، ص: 175.

(4) – *Sari Djilali, **l'insurrection de 1881-1882**, Alger :SNED,1981,p-p :97-101.*

(5) – عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة (جانبها العسكري:1881–1883)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981، ص: 12.

لقد قامت السلطات الفرنسية بإضعاف صدى هذا الانتصار لرفع معنويات الجنود الفرنسيين لا بل عملت على تحويل الهزيمة إلى انتصار بفعل التضليل وتغطية الحقيقة بواسطة الصحف والجرائد وكلفت قاضي البيض بإصدار فتوى تعتبر الثوار مجرد خارجين عن القانون. (1)

ثم تحدى الشيخ بوعمامة الجيش الفرنسي بمسيرته الطويلة التي استغرقت 23 يوم (من 30 ماي إلى 21 جوان)، هذه المسيرة كانت نحو الشمال مرورا بالبيض وفرندة وصولا إلى منطقة سعيدة ليعود ثانية إلى الجنوب الغربي أي ما يقارب 730 كم وقام الثوار خلالها بمهاجمة مراكز الشرطة وقطع خطوط التلغراف بين البيض وسعيدة. (2)

هذه السرعة في التنقل جعلت من بوعمامة مصدر قصص شعبية نسبت هذه السرعة إلى كرامات الشيخ التي تجعل من قوات العدو لا تراه، وهذه القصص زادت من شعبيته ومن رصيده في إنماء الوعي الشعبي، بحيث راح الناس ينضمون لثورته ويعتبرون ذلك تقربا إلى الله، والحقيقة أن بوعمامة كان عالما بالمسالك الصحراوية وبالمنافذ التي توصله إلى التل بعيدا أن أعين العدو، بحيث إعتمد على أدلاء مهرة عارفين بالمناطق جغرافيا وسكانيا، وعلى كل فقد أدهشت هذه المسيرة الرأي العام الفرنسي في كيفية تحرك بوعمامة من قرية إلى أخرى بسرية فائقة. (3)

وانتهت مسيرة بوعمامة الكبيرة بوصوله إلى بوسمغون في الجنوب الغربي يوم 1881/06/21م لكن الأمر الذي حير المؤرخين، هو أن بوعمامة ما إن وصل إلى التل حتى قفل راجعا إلى الصحراء، إذ يرجع المؤرخون ذلك إلى آغا فرندة وتحرك بعض زوايا التل ضده من

---

(1) – إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881–1912)**، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص: 96.

(2) – يحي بوعزيز ، **ثورات القرنين**...المرجع السابق، ص: 303.

(3) – مبخوت بوداية، **الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف والمجاهد**، حولية المؤرخ، ع: 01، 2002، ص: 277.

باب المنافسة بين الزوايا، فبوعمامة ينتمي إلى الطريقة الشيخية بينما ينتمي سكان التل إلى طـــرق أخرى كالقادرية والتجانية. [1]

والجدير بالذكر أن الشيخ بوعمامة اصطدم بمعارضة كثير من الزوايا المنافسة لزاويته بســـبب سياسة المستعمر في إدراك خطورة الزوايا التي كانت الركيزة الأساسية في مقاومات الأمير عبـــد القادر وسيدي السعدي والمقراني وغيرها..، فركزت بعد ثورة المقراني على التغلغـــل في الزوايـــا وشراء ذمم بعض قادتها؛ وما يؤكد ذلك تلك الرسالة التي وقعها محمد بن القاسم الحملاوي رئيس إخوان الطريقة الرحمانية بوسط البلاد، والتي يدعوا فيها الشعب والقبائل إلى عدم إتباع بوعمامـــة والتي بدورها قامت إدارة الاحتلال بنشرها وتعميمها في سائر أنحاء البلاد نهاية 1881م.[2]

وأمام انتصارات بوعمامة المتتالية قامت السلطات العسكرية وعلى رأسها الجنرال "سوســـييه" (*Suassiez*) بتوجيه أربعة طوابير قوية[3] في كل من رأس الماء والخيثر والبيض لوضع شبه حاجز لحماية المناطق التلية من زحف الثوار نحو الشمال، وجندت في سبيل ذلك رجال القبائل والأعراش الموالية لها ليشنوا الغارات على أتباع بوعمامة. [4]

---

(1) – عثمان سعدي ، المرجع السابق، ص: 606.

(2) – نفسه، ص: 607.

(3) – فرقة رأس الماء أسندت مهمتها إلى العقيد جانين وفرقة الخيثر بقيادة العقيد زويني وفرقة تيارت بقيادة برونوسيار وفرقة البيض بقيادة العقيد تاديو ثم العقيد نيغربي..أنظر: أحمد بحري، **الشيخ بوعمامة رمز التصوف والجهاد**، مجلـــة الإرشـــاد الجزائر، 2011، ص: 20.

(4) – تعرض بوعمامة هو الآخر كغيره من رجال المقاومة إضافة إلى طوابير الجيش الفرنسي اضطر لمواجهة فرق القوم العميلة والتي كان يقودها عملاء أمثال الحاج قدور صحراوي آغا فرندة ونورالدين العموري آغا أفلو وسي بحوص بن قدور آغا قبائل الأرباع..أنظر: ابراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي**..المرجع السابق، ص: 99.

وهكذا لجأت السلطات الاستعمارية إلى استعمال جميع الوسائل لتحطيم المقاومة كتحريض القبائل والأعراش فيما بينها، كما سارعت في استرجاع جزء من قواها التي اشتركت في احتلال تونس وسارعت في انجاز الخط الحديدي بين آرزيو وسعيدة لنقل المؤن والذخائر والجنود واعتمدت في ذلك على العرب من قوم سعيدة وفرندة والبيض وتيارت. (1)

وهكذا ورغم كل هذه التحركات إلا أن بوعمامة ظل سيد الموقف طيلة فصل الصيف واكتفى الفرنسيون بالدفاع فقط، وكعادتهم إثر كل هزيمة يلجأون إلى ارتكاب أعمال إجرامية بشعة من قتل الأبرياء وتدمير الممتلكات وحرق الزرع، ذلك أنها عند وصولها إلى الأبيض سيدي الشيخ حتى أمر العقيد "نيقرييه" (*Négrier*) بنقل رفات جد الأسرة (سيدي الشيخ) الذي مر على وفاته آنذاك أكثر من قرنين ودفنه بمكان آخر قرب إحدى ثكناتهم وتم نسف الضريح الذي كان بداخله. (2)

وبفعل هذا الضغط الفرنسي انسحب بوعمامة إلى منطقة "فقيق" داخل المغرب الأقصى والتي غادرها مع سنة 1883م(3)، ليستقر في منطقة "قورارة" إلى غاية سنة 1894م والتي أسس بها زاوية وجلس فيها ينظم دروس دينية على أمل أن يحصل على دعم وتأييد سلطان المغرب، بينما استمرت القوات الفرنسية في ملاحقة جيوب المقاومة ومعاقبة القبائل التي وقفت في وجه توسعاتها.

---

(1) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 179.

(2) – زكي مبارك، **المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة**، مجلة الثقافة، ع: 83، 1984 ص: 179.

(3) – من التطورات الهامة التي حدثت خلال هذه الفترة هو نجاح فرنسا في استمالة بعض زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابة خاصة منهم قدور بن حمزة الذي وافق على شروط اتفاق ماي 1883م الذي سنأتي على ذكره لاحقا.

وحسب الباحث عثمان سعدي فإنه يمكننا القول أن هذه المقاومة كانت طويلة زمنيا ولكنها متواضعة من حيث المواجهة مع العدو والمعارك، إضافة إلى ذلك أن مسلسل أخبارها يكتنفه الغموض سواء في ما كتبه الفرنسيون عنها أو ما كتب عنها وطنيا آنذاك.[1]

لكن هذا لا ينكر دور بوعمامة البطولي وشجاعته التي أبهرت الأعداء وجعلتهم يعترفون له بذلك، فقد كتب الرائد "دي بمودان" (*De-pimidan*) في معرض حديثه عن إحدى المعارك فيقول: «..إن الشيخ بوعمامة كان يحارب بشجاعة خارقة للعادة..كان عسكرنا ينظرون إليه وهو يحارب كبطل أسطورة لحماية النساء والأطفال والماشية وكان الرصاص يصب حوله ولكنه لم يصبه..» [2]، وقبل ذلك شهد له الرائد "فوسواييه" (*Fossoyeux*) القائد العسكري للبيض فيقول هو الأخر:

« بأن أحاديثه تنم عن سعة في الأفكار وملكة سياسية وطاقة عقلية لم نعهدها عند غيره» [3] إضافة إلى هذا فإن هذه الثورة قد قضت على أسطورة أن المقاومات الشعبية في الجزائر قد انتهت بفشل ثورة المقراني سنة 1871م وانتفاضة الأوراس سنة 1879م.[4]

إذن وبعد سنوات طويلة قضاها الشيخ بوعمامة في الجهاد تارة وفي الهدوء تارة أخرى إلى أن لجأ في الأخير إلى ضواحي وجدة المغربية – بعيون سيدي ملوك- وهناك وافته المنية رحمه الله تعالى سنة 1908م عن عمر يقارب السبعين عاما قضى منها أكثر من 20 عاما (1881-1904م) في الجهاد والمقاومة ضد فرنسا. [5]

---

(1) – عثمان سعدي، المرجع السابق، ص: 606.

(2) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 181.

(3) – عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة (جانبها السياسي 1883–1908)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1983، ص: 182.

(4) – عبد الحميد زوزو، **محطات في تاريخ الجزائر**، الجزائر: د.م.ج، 2010، ص: 161.

(5) – سعيد بورنان، المرجع السابق، ص: 182.

وختاما منا لهذا المبحث الذي تطرقنا فيه لأهم المقاومات والانتفاضات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن 19م والتي لعبت فيها الزوايا وشيوخها ومريدوها دورا بارزا في التصدي للاحتلال الفرنسي الغاشم، الأمر الذي مكننا من الوقوف على بعض الخصائص المشتركة بين كل هذه الثورات التي أتينا على ذكرها باختصار كما يبين ذلك الدكتور سعد الله رحمه الله تعالى كما يلي:

– أنها كلها وعلى اختلاف ظروفها وأسباب اندلاعها كانت تقاد بواسطة رجال الطرق الصوفية يجمعون فيها بين السلطة السياسية والدينية، وهذا دليل شافي لكل من يتهم الطرق الصوفية بالعمالة والتعاون مع الاحتلال الفرنسي وتسهيل حركته الاستعمارية.

–كلها قد فشلت في تحقيق هدفها وهو طرد المستعمر من الجزائر.

– مثلت كلها روح المقاومة المستمرة للجزائريين منذ الاحتلال.

– افتقدت هذه المقاومات إلى روح التضامن والتنسيق بين زعمائها.

– اعتمدت هذه المقاومات على الزعامة الفردية، وفي جميعها كان الفلاحون يدافعون من أجل الوطن والإسلام وأرضهم المغتصبة، ولكنهم كذلك كانوا ضحايا للخرافات والجهل والانقياد الأعمى إلى الطرق الصوفية عموما وإلى المرابطين خصوصا، ومع ذلك فإنهم بثوراتهم المستمرة وحبهم لأرضهم وكرههم للأجانب قد حافظوا على الضمير الوطني حيا ومثلوا استمرارا للكيان الجزائري الذي حاول الاحتلال مرارا القضاء عليه. [1]

لقد لعب الدين دورا بارزا في المقاومة الجزائرية وارتبطت كل الثورات بسيف الدين واعتمد عليه في تجنيد الناس وتحفيزهم على حمل السلاح، لأن الجزائريين لم يفرقوا في تلك الفترة بين الدين والوطنية خاصة تجاه الغازي الأوربي المسيحي النصراني.

---

(1) – سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..ج: 02، المرجع السابق، ص: 56.

ثانيا– تأثيرات الخطاب الصوفي الطرقي في المقاومات الشعبية خلال القرن 19م:

يحتل مفهوم الخطاب الصوفي الطرقي موقعا محوريا في جميع الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل النصوص، بحيث برزت للوجود شعب دراسية في الليسانيات والفلسفة والأدب جعلت منه ركنا رئيسيا ضمن مقرارتها واتخذته عناوين لفروع علمية مختلفة، وأصبح كل مؤلف يتناول اللغة الإنسانية من جانبها التواصلي لزاما عليه أن يتناول الخطاب وأهدافه، وإن اختلف الباحثون في زاوية البحث بين من يركز على نص الخطاب، وبين من يهتم بالمتخاطبين وبين من يركز جل اهتمامه بمجال الخطاب ومدى مطابقته لمقتضى الأحوال والمقامات.

وعليه فقد ارتكز الخطاب الصوفي الطرقي في الجزائر خلال فترة المقاومات الشعبية على ثلاثة أركان وهي الدعوة والداعي والمدعون، وكان محتوى الدعوة هو الدين الإسلامي ووعائها الفكري والثقافة الإسلامية ولغة التبليغ وآدابها، وكان الوعاظ مطالبون بتقديم الدين وشرحه وتبسيطه لكن بالاستعانة بالثقافة والفكر السائدين في زمن السيطرة الاستعمارية. [1]

1– مفهوم الخطاب:

أ/ **لغة:** على وزن فعال من خاطب ومصدره خطاب ومخاطبة على وزن مفاعلة، ومعناه الكلام والمحادثة ومراجعة الكلام والمشاورة فيه، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى:﴿ وَفَصلَ ٱلخِطَابِ ﴾[2]، أي أنه يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده. [3]

---

(1) – بشير بلمهدي، **الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925–1956)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2011/2010 ص: 31.

(2) – سورة ص، الآية:20.

(3) – بشير بلمهدي، المرجع السابق، ص: 33.

والخطاب في لغتنا العربية من خَطَب والخطب الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وهذا خطب جليل، وخطب يسير، وخطب المرأة يخطبهاَ خطبا وخطبة والخطاب مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، وقال الليث: " إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب"[1]، وخَطب الخطيب على المنبر خَطابة وخُطبة[2]؛كما وردت بمعنى الكلام وبمعنى الرسالة.[3]

والخطاب رسالة ذات هدف ودلالة للتعبير عن الفكر وتطوره بواسطة متوالية من الكلمات والقضايا المتسلسلة المترابطة[4]، وهو كلام منطوق أو مكتوب يمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع والقارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة المكان والزمان. [5]

وعلى ضوء هذه المعاني المتعاضدة يكون الخطاب هو توجيه كلام في شأن هام إلى متلق حاضر لحمله على موقف معين من هذا الشأن.

---

(1) – ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري أبو الفضل جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د.ت)، ج: 04، ص، ص: 154، 155.

(2) – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، **القاموس المحيط** ، تح: مجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية (د.ت)، ج: 01، ص: 83.

(3) – إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، **المعجم الوسيط**، تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1972 ط: 2 ج:01، ص: 243.

(4) – *André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, paris :presses universitaires de France, 1996, pp :277,278.*

(5) – بشير بلمهدي، المرجع السابق، ص: 33.

ب/ اصطلاحا: يستعمل لفظ "الخطاب" اصطلاحا لمعان شتى تختلف تبعا لطبيعة الموضوع الذي ينصب عليه الخطاب، وتبعا للأغراض الذي يتوخى تحقيقها منه، ففي التشريع والقضاء تعني "بلاغة الخطاب" الذي يؤسس على البرهان الاستدلالي، وعلى النحو الذي يحدده المنطق وفلسفة التشريع والإيديولوجية المتبناة في صياغة التشريعات وفي أحكام القضاء.

ومعنى هذا أن الخطاب يتجاوز الشكلية اللغوية ويمتد إلى وسائل الإقناع ونوعية البرهان وأدوات الأسلوب البياني.

وانتهاءا إلى أقوال المتصوفة على أنه خطاب لا نص، فهو يوافق ما ذهب إليه الباحث محمد عزام من أن الخطاب يختلف عن النص، حيث يعتبر الخطاب رسالة تواصلية إبلاغية متعدد المعاني يصدر عن باث (مخاطب) موجه إلى متلق معين عبر سياق محدد، وهو يفترض من متلقيه أن يكون سامعا له لحظة إنتاجه، ولا يتجاوز سامعه إلى غيره، ويتميز بالشفوية، ويدرس ضمن لسانيات الخطاب وهذا ينسجم مع أقوال المتصوفة. [1]

وليس بالضرورة أن يكون الخطاب الإسلامي هو نصوص الوحي من القرآن والسنة، وإنما هو "خطاب الإسلاميين" في ضوء الثوابت في التعبير عن الرسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون أو مجموعة من القضايا العامة في زمن معين، وهو الخطاب الموجه للجميع ويأخذ بعين الاعتبار كل فئات المجتمع واهتماماته، فيخاطب كل فئة بما يمكنها من فهم الخطاب والاستفادة منه[2]، أما عن آليات الخطاب الديني فيمكن إجمالها فيما يلي:

---

(1) – عزام محمد، **النَّص الغائب– تجّليات الّتناص في الشعر العربي**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001 ص: 49.

(2) – محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999 ط: 06، ص، ص: 12، 13.

– التوحيد بين الفكر والدين وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع.

– تفسير الظواهر كلها بردها جميعا إلى مبدأ أول أو – علة أولى– تستوي في ذلك الظـــواهر الاجتماعية أو الطبيعية.

– الاعتماد على سلطة السلف أو التراث وذلك بعد تحويل النصوص التراثية، وهي نصـــوص ثانوية إلى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لا تقل في كثير من الأحيان عن النصـــوص الأصلية.

– اليقين الذهني والحسم الفكري القطعي، ورفض أي خلاف فكري إلا إذا كان في الفروع والتفاصيل دون الأسس والأصول.

– إهدار البعد التاريخي وتجاهله ويتجلى ذلك في الحنين إلى الماضي الجميل الذي يستوي فيـــه ذلك العصر الذهبي للخلافة الراشدة وعصر الخلافة العثمانية. [1]

إذن من خلال ما سبق يمكننا القول أن سلطة الخطاب هي آلية من آليات الإقناع والإخضاع باعتبار أن الخطاب يمثل جملة من المعاني والأهداف يريد من خلالها الوصول إلى المتلقي الذي يتعدد شكله من فرد إلى جماعة إلى مؤسسة[2]، ذلك أن سلطة الخطاب هي قوة معنويـــة تكـــون فيهـــا للكلمة وقعها في الفكر والوجدان، حيث يجمع رجل الدين والداعية والسياسي هدف واحد هـــو السيطرة على الآخر–المخاطب– من خلال الخطاب الديني أو السياسي وإعادة توجيهه والـــتحكم بسلوكه، فالدين والسياسة والايديولوجيا ما هي إلا ثلاثة تنوعات متتالية لا انفصال بينها لموضوع واحد ألا وهو سلطان الكلمات.[3]

---

(1) – نصر حامد أبو زيد، **الخطاب الديني المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية**، الجزائر: موفم للنشر، 1995، ص: 42.

(2) – رشيد بكاي، المرجع السابق، ص: 64.

(3) – رجيس دوبريه، **نقد العقل السياسي**، تر: عفيف دمشقية، بيروت: دار الآداب، 1996، ص: 112.

2- مكانة الخطاب الجهادي الطرقي في الأوساط الشعبية:

ولعل الخطاب الصوفي الطرقي قد إمتاز بهذه الخاصية التأثيرية لما له من وجود أتباع ومريدين وإخوان وفقراء، وكانت الطرق الصوفية المجال الخصب لتجليات هذا الخطاب، إن كان هناك تسلسل هرمي يعتبر فيه القطب أو الشيخ هو الركن الأساسي في طريق التصوف، وهو المنتج للخطاب والمؤثر من خلاله، فهو يكتسي أهمية بالغة في الحياة اليومية للمسلمين فهو يحرك مشاعرهم وانفعالاتهم وذلك لتحقيق ثقافة إسلامية ويدفع الناس إلى الانتاج والمزيد من الانجازات أما ما يتضمنه الخطاب الإسلامي فإنه يتجسد من خلال النور الرباني للرسالة المحمدية التي تخرج الإنسان من الظلام الدامس إلى الحقيقة النورانية. [1]

إذن يعتبر المتصوفة على الدوام من أشد الناس ارتباطا بالأوساط الحضرية المسحوقة وبالفئات الاجتماعية المهمشة، وبكل أولئك الذين لا يستطون التوصل إلى امتيازات الطبقات الميسورة، فنشأ إلى جانب ذلك ما يمكن أن نسميه الخطاب الصوفي الشعبي الذي كان يمثل حلقة وصل بين المتصوفة والطبقات الكادحة بعد القرن (11م) باتجاه ربط المتصوفة بالطبقات الخطيرة أو المعارضة ثم تطورت فيما بعد نحو الارتباط بالمرابطين[2]، و لم يبق هذا الارتباط المتصوفة منحصرين في تنظيماتهم الداخلية فحسب، بل ساهم في شيوع الخطاب الصوفي وتشويهه أيضا وتغلغله داخل الأنساق الفكرية المختلفة، كما ساهمت طبيعة الصوفية أنفسهم في انتشاره ذلك أنهم يتمتعون

---

(1) – الهادي عبد العزيز، **الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب خلال العهد العثماني–الطريقة التجانية نموذجا–**، أطروحة مقدمة لنيل در جة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية–شعبة التاريخ 2017/2016 ص، ص: 27، 28.

(2) – محمد أركون، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، تر وتع: هشام صالح، بيروت: دار السياقي، 1992، ط: 02 ص: 159.

بقدرة خيالية على التعايش بطقوسهم الخاصة في ظل أي مجتمع مهما كانت الإيديولوجية التي تحكمه. [1]

ومن الأمور التي أسهمت في تحقيق هذه الشرعية لدى شيوخ الطرق الصوفية هي تبني الجهاد كعامل رئيسي يحقق الوحدة السياسية والقاعدة الأهلية التي يستند إليها، وبالتالي فإننا نجد الخطاب الصوفي له بالغ التأثير على حياة العام والخاص من خلال سلوكاتهم وحرص العامة على عدم إغضاب الشيخ مهما كان الأمر حتى لا يصيبهم مكروه، فهذه السلطة الروحية نجدها مترسخة في أذهان الجميع بسبب مكانة الخطاب الذي أفضى للشيخ مكانة رفيعة أهمها الورع والتقوى ورعاية للأهالي خاصة المحتاجين منهم وكذا التكفل بالتعليم الذي يمثل الركيزة الأساسية في هذه العلاقة [2]

ولكي تتضح الصورة أكثر علينا أن نتعرف على مدى تأثير الخطاب الصوفي الطرقي فترة المقاومات الشعبية، فقد ساد في الجزائر فترة المقاومات الشعبية خلال القرن 19م مؤسسة منتجة للخطاب الديني وهو مؤسسة الزوايا والطرق الصوفية -كما أشرنا لذلك سابقا- وأصبحت محل جدل ومقروئية بين كبار الإداريين الذين تناوبوا على حكم الجزائر المستعمرة، وهذا بترجمة بعض المخطوطات الخاصة برجال التصوف[3] ومحاولة التعرف على نواميس حياتهم، بالإضافة إلى الأوراد التي أصبحت سائدة وأصبح الجزائري متشبثا بها أكثر ما هو متشبث بالكتاب والسنة.

لقد بين الضابط الفرنسي "ترومليي" (*Trumelet*) الذي كان له دراية واسعة بالأوساط الشعبية الجزائرية لبني جنسه من الفرنسيين المكانة الهامة التي يحتلها المرابطون والشرفاء بين السكان

---

(1)–*John Spencer Trimingham,* ***The Sufi orders in Islam****, London : London, Oxford University Press, 1971, p :257.*

(2) – إبن سحنون الراشدي، **الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق: المهدي البوعبدلي، قسنطينة: مطبعة البعث 1973، ص: 243.

(3)– ***A.N.O.M ,(2U23)****, Confrérie senoussia (1864-1891),A/S de la traduction d'un manuscrits du cheikh sidi mohammed ben senouci.*

الجزائريين، وطلب منهم أن يكونوا أقوياء دائما ويقظين وأن لا يعطوا لهؤلاء القديسين (المتصوفة) الفرصة للثورة مهما كانت القوة التي يمكنهم استعمالها، ذلك أن رغبتهم – أي الأهالي- الأكثر حدة والأكثر عنادا وثباتا عند رؤيتنا ونحن نجتاز البحر، لأنهم ينتظرون ويتمنون ذلك الوقت بكل قوة وبكل رغبة، لأنهم لا يشكون في أن ذهابنا سيحين يوما ما وأن الله سيحكم عليهم بالخير ويعيد إليهم هذه الأرض الإسلامية التي نحتلها لأنهم في الأخير ليس هناك شيء يجمعنا بهم رغم مرور نصف قرن على احتلالنا لهذه البلاد..[1]

إذن لم يجد المقاومون الجزائريون أفضل من توظيف الخطاب الإسلامي لحث الشعب على الجهاد ومحاربة الاستعمار وحشد الأنصار والعدة والعتاد في سبيل ذلك، ولعل أبرز أولئك المقاومين الأمير عبد القادر[2] وهي نفس نبرة الخطاب التي استعملت مرة أخرى في ثورة أول نوفمبر 1954م، لتجعل من الدين الإسلامي عنصرا أساسيا في تكوين الشخصية الوطنية الجزائرية والهوية القومية، وهو نفس النسق الذي درج عليه الأمير عبد القادر وباقي زعماء المقاومات الشعبية.[3]

ومن هذا المضمار فإن مفهوم الجهاد الشعبي لا يمكن أن نستخلصه إلا من المؤطر الروحي والرسمي للجهاد، ونقصد هنا وبدون مغالطة الخطاب الصوفي الطرقي الجزائري.

ذلك أن ما يسمى بالمقاومة الشعبية اصطلاحا (الجهاد الشعبي) لابد أن يربط بأدبيات الحركة الصوفية من خلال الطرق والزوايا الجزائرية باعتبارها هي المؤطر من جهتين، من جهة التأطير

---

(1) – *Rune Trumelet**, Notes pour servir a l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 a 1869**,-in R.A.N° :23 année 1879, Alger : O.P.U, 1985,p :241.*

(2) – صالح فركوس، **نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر**، الجزائر: دار الكوثر للنشر، 1991، ط: 01، ص: 89.

(3)– *Charles Robert Ageron, **Politique coloniales au maghreb**, France : presses universitaires de France, 1972, p :101.*

الروحي الذي هو أساس المقاومة والحرب، ومن جهة التأطير الرسمي الذي يتمثل في التنظيم الشامل. [1]

إذن ومن خلال دراستنا لبعض النصوص والخطب والرسائل نستشف جملة من المعاني لمفهوم الجهاد في الخطاب الصوفي، إذ ينقسم الجهاد من حيث المفهوم إلى جهاد أصغر وجهاد أكبر[2] فالجهاد الأصغر هو المنعوت بالجهاد المسلح، وأما الجهاد الأكبر فهو جهاد النفس، وسيصبح النوع الثاني هو المفهوم الغالب على الخطاب الصوفي بعد انتهاء مرحلة المقاومات الشعبية، نتيجة احتواء فرنسا لكثير من الطرق الصوفية وتشجيعها للتصوف السكوني. [3]

يلاحظ الباحث من أن المرجعية الفكرية للطرق الصوفية هي مرجعية إسلامية محضة، ذلك أننا لا نجد نصا من النصوص التاريخية لقادة المقاومات الشعبية إلا ويستعمل مفهوم الجهاد، وبالتالي فمصطلح التمرد والعصيان ارتبط بما كان يحدث داخل الدولة الإسلامية، أما مصطلح الجهاد فنلاحظه مرتبط بالندية لأمم الجوار (الكفار) ومنه كان لابد للطرق الصوفية أن تطلق على كفاحها المسلح اسم الجهاد، وذلك لسببين: الأول أن الجهاد له قدسية خاصة وله اعتبار في ضمير المسلم وأنه من الواجب الشرعي، والثاني أن الجهاد يدخل المتردد والمتقاعس عنه في دائرة النفاق والجبن. [4]

---

(1) – عبد القادر بوعرفة، **جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 94.

(2) – حمانة البخاري، **فلسفة الثورة الجزائرية**، وهران: منشورات مخبر الأبعاد-دار الغرب، 2005، ط: 01، ص: 45.

(3) – عبد القادر بوعرفة، المرجع السابق، ص: 94.

(4) – نفسه، ص: 95.

ولكي يتم توضيح ما تقدمنا به سابقا سنتناول نموذجين من الخطب والنصوص لبعض الطرق الصوفية الفاعلة في حقل المقاومات الشعبية بالجزائر، ونخص بالذكر الطريقة القادرية ممثلة في شخص الأمير عبد القادر، والطريقة الشيخية ممثلة في الشيخ بوعمامة على النحو التالي:

3- خطاب الطريقة القادرية:

كانت من أكثر الطرق الصوفية استيعابا وممارسة للجهاد إبان الاحتلال الفرنسي ويتجلى ذلك من خلال نصوص البيعة الأولى التي وردت كالآتي: «..الحمد لله وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد: اعلموا معاشر العرب والبربر أن الإمارة الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آلا أمرها الآن إلى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محي الدين..وهو لا يقتفي آثار غيره ولا يحذوا حذوهم ولا يخصص مصاريف زائدة عن الحاجة كما الغير يفعله، ولا يكلف الرعية شيئا لم تأمر به الشريعة المطهرة ولا يصرف شيئا إلا بوجه الحق، وقد نشر راية الجهاد وشمر ساعد الجد لنفع العباد وعمران البلاد، فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة وأداء البيعة لإمام منكم فاعلموا ذلك وبادروا بامتثاله ولا تشقوا العصا ويذهب الخلاف إلى ما لا خير فيه دنيا وأخرى..».[1]

إذن كما هو واضح من أن هذه البيعة جهادية قبل أن تكون بيعة إمامية سياسية ذلك أنها مقترنة بأمر خطير ألا وهو الغزو الفرنسي للبلاد.

وظلت القادرية مؤمنة بروح الجهاد في نظر وفكر الكثير من أتباعها وهذا ما نستقرأه في النص الذي كتبه السيد "قدور بن محمد بن أرويلة" الموسوم بـ: (وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب) والذي يحرض فيه الناس على الجهاد وعدم الخضوع للغزاة، وحاول قيادة طلائع جهادية ضد المحتل سنة 1855م، وهناك الكثير من نصوص الخطاب الجهادي لأتباع الطريقة القادرية

(1)- محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص، ص: 100، 101.

كالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر (1843-1918م) الذي كان هو الآخر يريد تفعيل حركة الجهاد الشعبي، فقد كتب العديد من الرسائل إلى شيوخ الزوايا وزعماء القبائل يستنهضهم لجهاد فرنسا التي هزمت على يد الجيش الألماني بقيادة "بسمارك"، إضافة إلى العديد من الشخصيات القادرية التي حاولت استنهاض الناس للجهاد والدفاع عن الدين وحماية الوطن بواسطة مجموعة من الخطب والنصوص الهادفة إلى طرد المحتل الفرنسي الغاشم. (1)

4- خطاب الطريقة الشيخية:

وكما أسلفنا الذكر كانت من بين الطرق الصوفية الداعية إلى الجهاد الشعبي، ومن أشهر رجال الجهاد الذين برزوا في هذا الميدان نذكر الشيخ بوعمامة صاحب أطول وأعنف مقاومة في أولاد سيدي الشيخ فرع الغرابة، والذي أضفى على الجهاد الجزائري نفحة خاصة تمثلت في عمق مدلول الجهاد المشبع بالحضور الشرعي لمدلولات القتال ودفع الكفار.

وقد تبادل بوعمامة وقادة الإدارة الاستعمارية الرسائل واستقبل مبعوثي قادتهم وقد أجابهم مشافهة وعبر رسائل وكان يلح في ترديد كلمته التاريخية المشهورة « يجب أن تخرجوا من أرضنا » رافضا الصلح بكل صوره ويراه من الخيانة، وسنتناول إحدى رسائله إلى القبائل ومنهم أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذين خصهم بهذه الرسالة يستنهضهم فيها إلى الجهاد: (2)

«..الحمد لله وحده وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه..جماعتنا المحروسة بعين الرضا قبيلة قبيلة من غير تخصيص نعلمكم أعلمكم الله خيرا على أمر الجهاد في سبيل الله بعد ما فرق الكفار الفرنساويون بين الإخوة وفسقوا في أرضنا واستحلوا حرماتنا..أرادكم الله وأعانكم وللخير والجهاد وفقكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..».

---

(1)– عبد القادر بوعرفة، المرجع السابق، ص، ص: 98، 99.

(2) – رشيد بكاي، المرجع السابق، ص: 258.

إذن وكما أسلفنا الذكر سابقا كان الشيخ بوعمامة شيخ طريقة وقائدا للجهاد ضد الفرنسيين يتمتع بسمعة حسنة بين شيوخ تلك الجهة، وعلى هذا الأساس حارب الشيخ بوعمامة وخاض المعارك الطاحنة رفقة أتباعه ومريديه، فكان الوازع الديني هو المحرك لتلك الجحافل من الأتباع منضوية تحت راية الجهاد ضد الفرنسي الكافر، كما أن بوعمامة نفسه أثبت أمام الملأ من أنه لا يسعى لزعامة سياسية، بل كان همه أن يقتنع أتباعه بأنه قائد روحي ثائر على الظلم والاضطهاد..وظل يدعوا أحبابه ومريديه وأتباعه إلى الوحدة بين مختلف الطرق الصوفية من أجل تجميع القوة لمواجهة العدو المشترك.[1]

ولا يزال الموروث الشعبي لمقاومة بوعمامة وبطولاته متداولة في المناطق التي كانت مسرحا لمقاوماته ولا تزال النسوة إلى اليوم ترددن ألحانا شعبية منظمة في تجمعاتهن، والتي تدعى محليا بـ"القول" تتغنى ببطولات بوعمامة وأصحابه، وفي فترة من الفترات كانت هذه المأثورات الشعبية خلال العهد الاستعماري الوسيلة الوحيدة التي بقيت بيد الجماهير تعبر فيها عن مأساتها بواسطة الكلمة الشفوية نظما ونثرا، واعتبرت نوعا من المقاومة والحفاظ على الهوية، فلقد كان القصاصون وشعراء الملحون يحضرون المواسم والأسواق فيلقون قصائدهم وحكاياتهم ليثيروا عواطف الناس ويبثون فيها الحماس ليثبتوا على الجهاد ضد المستعمر الغاصب.[2]

إذن تشكل الحماسة الدينية حسب وصف "موريس واهل" (*Maurice Wahl*) العقبة الرئيسية التي صادفت الاحتلال الفرنسي خلال غزوه وتوسعه في الجزائر، حيث يعتقد هذا الأخير «..بأنها تعوض "الروح الوطنية" لأجل إنعاش الغضب وتشجيع المقاومات، ذلك أن كل الثورات

(1) – رشيد بكاي، المرجع السابق، ص، ص: 258، 259.

(2) – عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، تر: سليم قسطون، بيروت: دار الحداثة، 1980 ص: 176.

تقريبا كانت بسبب أوعاظ المرابطين لأجل الحرب ضد غير المؤمنين، فالانقسامات تتوقف وكراهية القبيلة تنسى،.. قل هو سبب دائم النشاط والذي بالإمكان تخفيف تأثيره لكن بالطبع من الصعب تدميره..إن تحويل العرب إلى المسيحية والتي البعض حلموا بها هو وهم خطير، فالمسلم متعصب وغير متسامح..». (1)

يرى الباحث عبد الله بن عتو أن الهدف من أي خطاب هو التأثير أو الوصول والإبلاغ والاقتناع، والخطاب الطرقي كخطاب صوفي قد جمع بين الأدب والخلق في التعبير الواحد؛ فالخلق يتمثل في التربية النفسية الداعي إليها صاحب الخطاب، أما الأدب فيتمثل في الكلام الذي يظهر غاية التماسك ومجالا خصبا لنشاط الخيال. (2)

إذن يتضح لنا من خلال ما سبق أن الكثير من الخطابات الصوفية كانت تدعوا إلى الحركة والانفعال والجهاد والمثابرة، إذ كانت جل تلك الخطابات كلها تصب في رفع الهمة ودفع الذلة.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا البحث هو أنه كيف انقلبت هذه المرجعية على نفسها؟ وكيف تم تقويض الجهاد الشعبي؟ وكيف تم احتواء الطرق الصوفية وشيوخها وتسخيرهم في خدمة الاستعمار؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في المبحث التالي.

(1) – *Wahl Maurice, **L'Algérie**, paris :librairie Germer Bailliere , 1882, p :177.*

(2) – عبد الله بن عتو، **مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي**، الرباط: المطبعة الآمنية، (د.ت)، ص: 24.

ثالثا- الطرق الصوفية والأنتروبولوجيا الاستعمارية:

إن المتأمل في علاقة الطرق الصوفية بالاستعمار الفرنسي بالجزائر وتعاملها معه سلبا أو إيجابا لا يستطيع أن يجد مبررات لذلك إلا في السياسة الاستعمارية التي كرستها حكومات الاحتلال تجاه الطرق الصوفية.

ثم إن هذه السياسة بالإضافة إلى طبيعة الفكر الصوفي الطرقي ومصالح رموزه –حددت- إلى حدّ ما مواقف عدة طرق صوفية من العديد من القضايا التي جدّت بها خلال الفترة التي ندرسها لذلك لابد من التعرف على تلك السياسة الاستعمارية من حيث أسسها ومميزاتها.

لقد نمت الطرق الصوفية في آخر القرن الماضي بالجزائر نتيجة عدة عوامل، إذ أن فكرة الخلاص الروحي على يد الشيخ كانت أبرز هذه العوامل، وظل الاستعمار بجيشه واستيطانه وإدارته وقوانينه الاستثنائية جاثما على صدور الجزائريين، فلم يعد لأهلها إلا الارتماء في أحضان عقيدة شيوخ الطرق الصوفية. (1)

وقد أدرك الفرنسيون خطورة هذه القيادات على وجودهم فركزوا جهودهم على العناصر المتحكمة في هذه المقاومات والفئات القائدة لها، وراحوا يعدون الخطط لإضعافها بل وللقضاء عليها، وبلغت هذه الخطط أوجها بعد ثورة المقراني إذ اكتشفوا أنه لا يمكن ترسيخ الهوية الفرنسية في الشعب الجزائري الذي يقولون بأنه فرنسي وبأن أرضه قطعة من فرنسا إلا بعد تدمير مقومات الهوية الوطنية المؤسسة على العروبة والعربية والإسلام، فراحوا يدمرون هذه القيادات واحدة تلوا الأخرى، فتوجهوا إلى المرابطين ورسموا خطة لهم لتدجينهم وربطهم بالإدارة الفرنسية.

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 299.

ومنه رأى علماء علم الاجتماع الفرنسيون أن هذه الإجراءات من شأنها أن ترجع بالفائدة على الإدارة الاستعمارية وكذلك لصالح الهدوء والاستقرار، فقاموا بتشجيع الطرق الصوفية المستقلة ومنح شيوخها سلطات روحية على أتباعهم بشرط أن يكونوا موالين ومخلصين لفرنسا.[1]

وحسب الباحث أبو القاسم سعد الله فقد شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي نموا سريعا في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع[2]، وزاد الجهل الذي تولد عن سبعين سنة من الإهمال للتعليم وتدجين العلماء الموظفين من تعميق التخلف العقلي لدى العامة فارتموا في أحضان الطرق الصوفية باعتبارها تمثل الدين وتَعد بالخلاص، بينما ارتمت هي نفسها في أحضان السلطة الفرنسية.

كل هذه التجارب جعلت من الإدارة الاستعمارية تأخذ بعين الاعتبار في سياساتها تجاه الطرق الصوفية سياسة تعتمد على التمكين للطرق الموالية لها والتضييق على التي تناهضها، الأمر الذي حتم على حكومة الاحتلال الفرنسي القيام بدراسات وإحصائيات في هذا الجانب للتعرف أكثر وعن قرب لواقع هذه التنظيمات وفق معطيات ميدانية أقرب نسبيا إلى الحقيقة.

وهكذا بعد أن أحست سلطات الاحتلال بخطورة الزوايا والطرق الصوفية في تأجيج الانتفاضات والتمردات دفع بها ذلك إلى محاولة دراستها وفهم أفكارها، وهذا ما فعله ضباطها وجنرالاتها الذين كانوا يرون أنه من عوامل استقرار البلاد وجب تهدئة الأوضاع بإخماد الثورات

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق،ص، ص: 299، 300.

(2)- نفسه، ص: 30.

ولا يتأتى ذلك إلا من خلال دراستها وإظهار الخطر المرتقب منها والبحث عن محرضيها كونها تعارض تقدم الاستعمار وتعرقل من نشاط الحضارة الغربية حسب زعمهم.[1]

وسنتناول فيما يلي نماذج عن هذه الدراسات وما تناولته من آراء وملاحظات وإحصائيات يبدوا أن السياسة الفرنسية قد استفادت منها كثيرا ولأنها كذلك دراسات شاملة ومتخصصة فيما يتعلق بالجانب السياسي للطرق الصوفية.

1- دراسة للضابط "دونوفو"(*Edouard de Neveu*)[2] تحت عنوان "الإخوان" « ***Les khouan*** *» ,ordre religieux chez les musulmanes de l'Algérie* هذه الدراسة ظهرت إلى العلن سنة 1845م، وفيها إصرار من المؤلف وإلحاح على أهمية ودور الطوائف الدينية المسلمة في التصدي للغزو الفرنسي، وكشف في هذا العمل للسلطات الاستعمارية عن طبيعة جهلها بواقع المجتمع الجزائري، ولم يبن "دو نوفو" من أين استقى مادة هذا

---

(1)- زروق جيجيك، **المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس: قسم العلوم الانسانية، 2015/2014 ص: 47.

(2)- ادوارد دو نوفو، من مواليد عام 1809م بمدينة "صفاي سور هاي" (*Sur Hay Savigny*) دخل المدرسة العسكرية "بسان سير" (*saint syr*) عام 1829م بعد ثلاث سنوات انتقل إلى مدرسة الأركان واشتغل في مصلحة الطبوغرافية العسكرية وفي سنة 1834م ساهم في وضع خريطة عامة لفرنسا، عين نقيب عام 1838م وفي عام 1842م عاد لإتمام تربصه في صفوف الفرسان ثم استدعي لطرح مذكرته التي كلف بها ليصبح عضوا ساميا في اللجنة الاستكشافية، وفي عام 1843م عين في قسم الأعمال الطوبوغرافية بالجزائر لوضع خريطة للحدود الجزائرية التونسية، ليتوج على عمله هذا بوسام الصليب الفارس والذي أهله أن يكون رئيسا للمكتب العربي عام 1845م بباتنة، وفي 01 مارس 1848م رقي إلى رئيس جهوي لعمالة قسنطينة، ومنها تدرج في عدة مناصب عليا..توفي دونوفو بالجزائر في 17 فيفري 1871م..أنظر:

*-Peyronnet (R), **Livre d'or**...T :02,Op, cit, p :65.*

الكتاب، وباعتباره عضو اللجنة الإفريقية ورئيس المصلحة "الجيو ديزيه" (علم مساحة الأرض) بالجزائر فإن معلوماته بنوعيتها وخاصة الانسجام الذي أعطاه إياها، فقد قدمت على كل حال نظرة جديدة عن طبيعة المقاومة الجزائرية، إذ اعتبر أن المرجعية التاريخية للطرق الصوفية أنها المحرض الأساسي للثورات وخاصة منها الطريقة الدرقاوية والرحمانية التي تكن العداوة لفرنسا[1]، كما أن إعادة طبع هذه الدراسة سنة واحدة بعد الطبعة الأولى يبرهن ما مدى أهمية هذا الكتاب لدى الحكومة الفرنسية.

كما أشارت هذه الدراسة لدور الزوايا التي كانت تقوم بوظيفة المسجد والمدرسة والملجأ وأماكن الاجتماع وتبادل الأخبار والمكتبة، وفي نفس الوقت فهي الأماكن التي يكتب فيها تاريخ الوقت الحاضر[2]، لهذا كل الأنشطة أصبحت ممكنة بفضل قوة هذه المنظمات ويمكننا التأكيد على أن الجزائر مقسمة بالتقريب إلى دوائر دينية. [3]

كما يلاحظ "دو نوفو" على أنه من الآفات التي يجب على فرنسا محاربتها هي تلك المتعلقة بالجهل المرعب، ذلك أن العقل الصائب والمستقيم يضع دائما لدى الشعب المثقف تأثيرا صحيا لكن إزاء أمة بربرية (*Barbare*) لا ينفع الكلام والدروس العقيمة..نتمنى أن يصبح تعليم الأطفال المسلمين الهدف الدائم، إن التعليم وحده يستطيع تدمير الأحكام المسبقة..بهذه المعتقدات اللامعقولة المتعددة التي يعتنقها الشعب العربي لأنه لا يستطيع مناقشتها[4]، وهذا تلميح من "دو نوفو" ليس للدين الإسلامي لكن للممارسات والتنبوءات والكرامات الجارية في القبائل والتي تتكهن بالرحيل القريب للغزاة.

---

(1) – *E. De Neuveu,* ***Les Khouan, ordre religieux*** *... Op, cit, p p :144,145.*

(2) – *Ibid, p :16.*

(3) – *Ibid, p :16.*

(4) – *Ibid, p: 45.*

وأخير استطاع "دو نوفو" أن يقدم الكثير من الأجوبة للإدارة الاستعمارية التي كانت تبحث عنها، فالزوايا والطوائف الدينية التي درسها مطولا كانت متميزة عن بعضها البعض وكانت الأولى أي الزوايا بمثابة نقاط الارتكاز والقواعد المحلية المندمجة اجتماعيا في إطار منظمة بعيدة المنال وصعبة الإدراك وهي الوجه الواقعي والفعال من الناحية الإنسانية، إن هذه الزوايا والطوائف الدينية تضمن لهذا النظام الصدى الشعبي الضروري الذي هو بمثابة السند الفعال.

2- دراسة للضابط "لويس رين" (*Louis Rinn*)[1] بعنوان"المرابطين والإخوان" ***«Marbouts et khouan»***، صدر هذا المؤلف سنة 1884م الذي لجأ فيه صاحبه إلى التقارير الرسمية التي تصل إلى الإدارة المركزية تباعا من المكاتب العربية والولايات سواء منها التقارير السرية أو العادية، ثم استعمل نفوذه كضابط مسؤول في الإدارة العامة فطلب تقارير من مختلف الشيوخ والمقدمين عن حالتهم، وإحصاء أتباعهم وأصولهم النسبية والدينية وعلاقاتهم وأضاف إلى ذلك مراسلاته مع شيوخ المغرب وتونس وتقارير القناصل الفرنسيين في مختلف البلاد الإسلامية وقد خرج من ذلك كله بآراء سنتناول الأهم منها.[2]

---

(1)- لويس رين ماري، من مواليد 28 مارس 1838م بباريس إلتحق بالمدرسة العسكرية "بسان سير" عام 1855م وتخرج برتبة ملازم في 13 سبتمبر، إلتحق بالجزائر في 05 ماي 1864م وأمضى السنة أولى في مصلحة الشؤون العربية واستطاع أن يتعلم اللغة العربية وتنقل بين المسيلة وبسكرة سطيف وتازمالت، وهذا ما أهله بالتعرف على أسرار الجزائريين، عُدّ من أبرز ضباط الخدمة في المكاتب العربية فتحصل على وسام الشرف لسلوكه الشجاع ببسكرة أثناء وباء الكوليرا عام 1867م، وفي سنة 1880م أصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية، ولكن لم يدم عمله طويلا فبعد خمس سنوات ألغيت هذه المصلحة وعين مستشارا في الحكومة، وفي 03 مارس 1885م استقال من منصبه وهو رئيس قائد كتيبة..أنظر:

- *N. Faucon, Op, cit, p: 516.*

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 302.

يشير "لوي رين" إلى أن التعصب نادر عند المرابطين مالم يكونوا منضوين تحت طريقة صوفية لأن مصالحهم المادية تحتم عليهم الليونة ومواجهة الواقع بروح عملية، واستشهد على ذلك بأن بعض المرابطين كان يقدم الملجأ للمدنيين الفرنسيين عند حدوث الثورات وتعرضهم للخطر، وحتى في الأوقات العادية، ولذلك أوصى "رين" بالنسبة لهؤلاء المرابطين بضرورة مراقبتهم بصفة غير علنية وعلى فرنسا استمالة بعضهم إلى جانبها وتعينهم في مناصب كالأغا والقايد وتميزهم عن الأهالي الجزائريين. (1)

كذلك من الملاحظات الهامة التي أبداها "رين" إزاء الطرق الصوفية بعد دراسة ومعاينة أن الطرق الصوفية التي تحالفت مع فرنسا فقدت حيويتها وانخفض عدد أتباعها، بينما الطرق التي ظلت على عدائها أو حيادها اكتسبت أتباعا وتجددت، لذلك نصح بعدم اتخاذ أسلوب المواجهة والانتقام ضد الطرق العدوة كهدم الزوايا واعتقال الزعماء، لأنه من شأنه أن يضر بالمصلحة الفرنسية لأن ذلك أدى إلى تعاطف الناس معها واختفاء الإخوان حتى أصبح الفرنسيون يجهلون موضع اجتماعهم وعددهم وأماكن إقامة المقدمين منهم.

وواصل "رين" في انتقاد سياسة بلاده المترددة تجاه الطرق الصوفية، ذلك أن فرنسا لم تجرأ على الاعتماد على هذه الطرق علنا ولا على القضاء عليها نهائيا، واقترح أن تتبع بلاده سياسة الحكمة وبذل المال لدى هذه الطرق لتستفيد منها وتتصادق معها وتقلم أظافرها، وبذلك يبقون متداخلين مع الفرنسيين ومرتبطين بهم وبذلك ينتهي خطرهم وتأثيرهم على الجماهير.

وفيما يخص الموارد المالية الخاصة بالأخويات يرى "رين" أنه لا يمكن تحديد هذه المداخيل الموصوفة بـ المداخيل المفاجئة (*Recettes Accidentelles*) لذلك يقول: « أنه من غير الممكن إعطاء تقويم صحيح عن هذه التكاليف الخارجة عن القانون التي يفرضها كل من الجهل

(1) – *L. Rinn,* ***Marabouts et Khouan****...Op, cit, p: 17.*

والروتين والخرافة على البؤساء الذين لا يتجرؤون أو لا يريدون التحرر والتخلص منـــها»[1]، وفي هذا الصدد يقدم "رين" مدونة عما كان يفرضه أولاد سيدي الشيخ على خدامهم الدينيين.

وفي نفس السياق يتناول القوة الاقتصادية للطريقة التجانية خاصة في الفترة مـــابين 1815م و1853م والتي كانت فروعها تمتد إلى إفريقيا الغربية والسودان الشرقي، وكانت تمارس تجـــارة واسعة عن طريق القوافل التي يقودها مقدموا وإخوان زوايا عين ماضي وبوسمغون وفاس وتلمسان وكانت هذه القوافل تدير تجارتها وتقوم بالدعوة إلى الدين وكانت الأموال تتهاطل على تيماسين وعين ماضي. [2]

وهكذا على الرغم من النسق الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي ألف فيه هذا الكتاب ونعني به النسق الاستعماري يبقى كتابا أساسيا يدعوا من خلاله "رين" إلى استعمال وتوظيـــف هـــذه القوى الدينية، ولكن بالرغم من المعلومات والأخبار الكثيرة جدا عن الطرق الصوفية والأخويات لا يذكر "رين" المصادر التي أخذ منها كل هذه المعلومات في الكثير من الأحيان، ولهذا لا يمكن أن نعرف إذا كانت هذه المعلومات مرتبطة بأخبار شفهية أو بالكتب العربية أو غيرها أو بالتقـــارير الإدارية التي كان يلجأ إليها المؤلفون الاستعماريون في كتاباتهم.

وفيما يلي أهم الإحصائيات التي تناولها "رين" في مؤلفه لعام 1884م: [3]

(1) – *L. Rinn, Op, cit, p: 361.*

(2) – *Ibid, p :425.*

(3) – *Ibid, p: 549.*

الطرق الصوفية في الجزائر	*16*
الزوايا	*355*
الإخوان	*169.000*
عدد السكان المسلمين الاجمالي	*2.842.000*

3- دراسة "أوكتاف ديبون" و "كزافييه كبولاني"[1] (***Octave Depont et Xavier Coppolani***) تحت عنوان "الطرق الصوفية الدينية الإسلامية" «***Les Confréries religieuses musulmanes***» يعتبر هذا الكتاب بمثابة الدراسة الوافية والتي تم صدورها في سنة 1897م بالجزائر وتضمن 567 صفحة، بالإضافة إلى العديد من الخرائط والصور التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب من آخر الدراسات العامة عن الطرق الصوفية قام بها الكاتبان "أوكتاف ديبون وكزافييه كبولاني" في آخر القرن، وقد جندت لها حكومة "جول كامبون" إمكانياتها في البحث والتمويل.

قامت هذه الدراسة بمسح شامل ودراسة عميقة وموسعة للطرق الصوفية التي كانت المحور الأساسي في هذا البحث والتي بدأت بعرض تاريخي للأزمنة السابقة للإسلام، إذ جاء في هذا الكتاب مايلي:«..إن الأخويات الدينية الإسلامية ونظرا لارتباطها العميق بتأسيس وتطور الإسلام بدى لنا أنه من الضروري عدم التغاضي عن أي شيء من أجل توضيح كل الوقائع المرتبطة بها

(1)- "كبولاني" من مواليد 1866م استقر مع أسرته بمنطقة قسنطينة التي أتم بها دراسته وعمل في الإدارة كاتبا ومراسلا قبل أن يعين في البلديات المختلطة لولاية الشرق وارتقى لمساعد إداري وتمكن من تعلم اللغة العربية لاختلاطه وتعامله مع الأهالي مما سهل له الاندماج في المجتمع الجزائري مما أثمر إصدار كتاب حول الطرق الصوفية الدينية في الجزائر بمساعدة زميله في العمل "أوكتاف ديبون"..ينظر: زروق جيجيك، المرجع السابق، ص: 54.

(الأخويات) والتي مازال البعض منها بالرغم من أقدميتها تمارس تأثيرها في الوسط الإسلامي اليوم..». [1]

احتوى هذا الكتاب على قسمين تناول القسم الأول منه ستة فصول اهتم فيها الكاتبان بالعقيدة الإسلامية وتاريخ الإسلام والعرب وأصول التصوف وتطوره ونشأة الطرق الصوفية وبشكل مفصل ومدقق عن تنظيماتها ومبادئها ونظامها المالي الخاص، المتمثل في الأوقاف وكذا الدور السياسي الذي تلعبه هذه الطرق الصوفية [2]، كما اهتم أيضا بالزوايا خاصة التي أسسها المرابطون والتي تقوم على مبدأ الوراثة على عكس زوايا الطريقة والتي يمكن أن تجعل من المقدم شيخا للطريقة. [3]

أما القسم الثاني من هذه الدراسة تناول الكاتبان مسح للطرق الصوفية مع ذكر أصولها ونشأتها وتطورها وانتشارها[4]، كما دعى في مؤلفهما هذا إلى ضرورة توخي الحذر من الطرقيين باعتبارهم العدو الذي يهدد وجودهم، وفي الفصل الخاص سجل إهتمامه بالدور السياسي "للأخويات" حيث يشير المؤلفان بأنه لا يجب الاعتقاد بأنهم (شيوخ الزوايا هنا على العموم) كلهم شرسين (*Intraitables*) أو عدوانيين (*Hostiles*).

وقد ضمن دراستهما بآراء وتوصيات جديرة بالمناقشة حتى تضمن فرنسا بقائها، إذ يتوجب عليها تحسين العلاقات مع شيوخها وترأسهم لبعض الوظائف الدينية بغرض وضعهم تحت الوصاية وتوطيد صلة التعاون مع أتباع الطرق بإنشاء زوايا مماثلة وتحديث الزوايا القديمة مع تدعيمهم

---

(1) – *(O).Depont et (X).Coppolani,* ***Les Confréries religieuses musulmanes****…Op,cit, p :01.*

(2)–*Augustin Berque,* ***Note sur les confréries musulmanes algériennes****, Oran :imp, le Fouqué, 1919,p p :16,17.*

(3) – *Ibid, p :16.*

(4) – *Ibid, p :14.*

بالأموال والمساعدات، هذا المقترح الأخير الذي من شأنه استغلال صداقة وتعاون الطرقية في المجال الاقتصادي والتجاري بمنطقة السودان الشرقي والغربي مما يمكن فرنسا من ربط علاقات تجارية وسياسية وحضارية بواسطة هذه الطرق وتعمل على تسريب أفكارها الحضارية إلى العالم الإسلامي كله. (1)

إذن سياسة التسامح تجاه الطرق الصوفية هو الحل الأمثل الذي يمكن فرنسا من تفتيت الطرق الصوفية والقضاء عليها أخيرا وهو الهدف الفرنسي البعيد وهذا حسب رأي المؤلفين.

وفي فصل خاص قام الكاتبان بإحصاء الأخويات الدينية وكل موظفيها من بين الجمعيات الثلاثة والعشرين الممثلة في الجزائر، ويشير أيضا لمن لها مقر أساسي هنا في (الجزائر) وبالتالي تتصف بالصفة المحلية، أما الأخرى فلها سلطتها في بغداد أو في مصر والمغرب وطرابلس(2)، وهذا الجدول يبين إحصائيات حول الزوايا وموظفيها لسنة 1897م:

التسمية	العدد
الزوايا	*349*
الوكلاء	*76*
الطلبة	*2000*
الشيوخ	*57*
المقدمون	*2149*
الشاوش	*1512*
الإخوان	*224.141*

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص، ص: 314، 315.

(2) –*Depont et Coppolani, Op,cit, p :210.*

الدراويش	*8232*
الأحباب	*19821*
الخونيات (النساء)	*27.172*
الخلفاء	*36*
الفقراء	*5894*
الخدام	*4000*

ولقد اعترف كل من *Depont* و *Coppolani* أن هذا العدد الإجمالي (300.000) هو بعيد كل البعد عن الحقيقة[1]، كما قام المؤلفين بإحصاء كل موارد ومداخيل الأخويات والمتمثلة في "الزيارة" و"الصدقات" و"الغفارة" وهذا جاء في الفصل الخاص بالنظام المالي للأخويات وهـــذا جدول يبين موارد ومداخيل الأخويات لسنة 1897م. [2]

التسمية	القيمة بالفرنك الفرنسي
نتائج الصدقة	*3.000.000*
حقوق التقليد والتلقين	*1.500.000*
نتاج الزيارة	*3.000.000*
المجموع العام	*7.500.000*

(1) – *Depont et Coppolani, Op,cit, p :211.*

(2) – *Ibid, p :243.*

وفي نهاية هذه الدراسة قام المؤلفان بوضع برنامج وتم عرضه على السلطات الاستعمارية من أجل مراقبة الأخويات، وأخيرا أرفق المؤلفان عملهما هذا بملخصات خاصة ووثائق ومعلومات متعلقة بالألقاب التشريفية (*Titres honorifiques*)، الإجازات (*Diplômes*)، جداول عددية..الخ وثائق خاصة بأصل وطقوس وتطور المجال الجغرافي لكل أخوية.

هذا وقد ظهرت بعد ذلك عدة دراسات أخرى للطرق الصوفية ولكنها لم تأت في شكل عمل شامل مثل عمل "رين" و "ديبون وكبولاني" ذلك أن الإدارة الفرنسية قامت بحوالي 10 سنوات بنشر كتاب هذا الأخير، وقامت بتوجيه خبرائها إلى دراسة الظاهرة الإسلامية من جديد فكانت دراسة "الإسكندر جولي" (*Alexander Jolie*)، ودراسة "ايدموند دوتي"[1] (*Edmond Doutte*) عشية (الحرب ع 1) بعنوان "الإسلام الجزائري عام 1900" (*L'islam algérien en l'an 1900*) الذي تناول فيه صاحبة دراسة عامة وشاملة عن الإسلام من معتقد وإيمان وروحانيات، كما تناول الزوايا الدينية والطرق الصوفية التي قام بجردها بصفة مختصرة وإلى هيكلة الطريقة وأقسامها. [2]

إضافة إلى مؤلفات أخرى لنفس الباحث "دوتي" لا يسعنا المجال لذكر كل ما تناولته لكن نكتفي بذكر عناوين هذه الدراسات:

- المرابطون- ملاحظات حول الإسلام المغاربي (*Note sur l'islam maghrébin*).

---

(1)- ايدموند دوتي، من مواليد 1867م انخرط في البلديات المختلطة وفيها تعلم اللغة العربية، تقلد منصب أستاذ بمدرسة تلمسان وأستاذ كرسي علم الاجتماع الإسلامي بالمدرسة العليا لكلية الآداب بالجزائر ليصبح سكرتيرا عاما للجمعية التاريخية الجزائرية من 1904 إلى 1908م، ساهم في العديد من المقالات والمنشورات كما شغل منصب نائب الرئيس لنفس الجمعية من عام 1908 إلى غاية 1925م،..توفي عام 1925م..ينظر المجلة الإفريقية:

-*R.A.* ***Nécrologie Edmond deutte****, v :67,1926 ,p :237.*

(2) – *Doutté.(E),* ***L'Islam Algérien en l'an 1900****, Alger : Imp.Girat, 1900, P :73*

- العيساوية بتلمسان (*Les Aissaoua du Tlemcen*).

وظهرت في نفس الفترة دراسة "أوغست كور"، ثم مجلة العالم الإسلامي التي تولى رئاستها الضابط المختص في الشؤون الإسلامية "ألفريد لوشاتليه" (*A.leuchattelie*) [1] والذي سبق له نشر كتاب عن الطرق الصوفية في الحجاز سنة 1887م، هذه المجلة كانت صورة لتوجه السياسة الفرنسية الإسلامية نحو المشرق ونحو المغرب الأقصى، كما برزت على صفحات هذه المجلة شخصيات فرنسية مهتمة بالعالم الإسلامي من أمثال "لويس ماسينيون" والذي أصبح من أبرز خبراء فرنسا في شؤون الإسلام والمسلمين.[2]

كما يضاف إلى هذه الدراسات التاريخية الدراسات الأنتربولوجية التي اقترنت هي الأخرى بالحركة الاستعمارية بهدف تهيئة وتسهيل مهمات العسكريين للتعرف على الخصائص الجغرافية للأراضي ثم البحث في شؤون السكان الثقافية والاجتماعية والدينية.

فكانت بداية هذه الكتابات الأنتربولوجية للمؤلفين (*Lucas et vatin*) اللذين أبرزا نشأة الفكر الأنتربولوجي ومسار تطوره في الجزائر. [3]

---

(1)- ألفريد لوشاتليه، ولد بباريس 1855م عمل بالمكتب العربي بورقلة ومن ثم بدأ اهتمامه بالطرق الصوفية المنتشرة في الصحراء فعكف على دراسة الإسلام، فألف كتابين "الطرق الصوفية في الحجاز" وكتاب "الإسلام في القرن 19م"، عين أستاذا بمدرسة (*Des France*)..أسس البعثة المغربية التي اهتمت بتاريخ المغرب، أشرف على مجلة العالم الإسلامي التي تناولت الجانب الديني والثقافي لشعوب شمال إفريقيا..أنظر: زروق جيجيك، المرجع السايق، ص، ص: 55، 56.

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص، ص: 303، 304.

(3)– *Vatin (J.C) et Lucas (P), **L'Algérie des anthropologues**, paris : François Maspero, 1982, p :13.*

كما أن أول اهتمام للفرنسيين كان البحث في الإنسان الجزائري من جميع النواحي العادات التقاليد الدين، أي البحث عن ثقافة هذا المجتمع فكان العسكريون أول من بدأ في هذه الدراسة الأنتروبولوجية للمجتمع الجزائري، حيث كان في نظرهم أن المجتمع الجزائري عبارة عن تجمع هجين لفئات اجتماعية مختلفة (عرب، بربر، يهود) كما عبر عن ذلك (*P. Raynal*).[1]

وقد مثلت هذه الفترة انطلاقة للبحث الأنتروبولوجي الذي باشره العسكريون الفرنسيون والذي كان من نتائجه نشر "حوليات الجزائر" والتي تعد مرجعا للبحوث المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية في الجزائر، وما تتسم به من الخصائص الثقافية والعلاقات التي تجمعه والنشاطات التي يمارسها.

إذن ساهمت هذه الدراسات والإحصائيات في إبراز تاريخ الجزائر الديني وقد تميزت هذه الكتابات بمميزات ايجابية وأخرى سلبية:

فمن المميزات الايجابية هو جمع المادة العلمية خاصة فيما يتعلق بالمخطوطات التي جلبت من مختلف المناطق وحفظها وتصنيفها وفهرستها حسب التخصصات ووضعها في المكتبة الوطنية إضافة إلى هذا ما قامت به هذه الدراسات من دفع لحركة البحث العلمي من خلال إنشاء المجلات والجمعيات، التي كان لها السبق في إبراز التاريخ المحلي واهتمام الفرنسيين بالدراسات الإثنولوجية التي تعد من العلوم المساعدة للبحث التاريخي.[2]

---

(1)– *Yvonne Turin, **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale**, écoles, médecines religion 1830-1880, paris :Maspero, 1970, p :25.*

(2)– زروق جيجيك، المرجع السابق، ص: 65.

كما كان لهذه الدراسات دور مهم من الناحية المنهجية والعلمية على اعتبار أنها تستند أساسا على الملاحظة المباشرة التي كانت تبيح للعسكريين المراقبة عن كثب لسلوك الجزائريين وعاداتهم وطبائعهم وطريقة الملاحظة في نظر "الإثنولوجيا"[1] هي التي تمكن الباحث من تسجيل كل شيء حتى أدق التفاصيل في دراسة ثقافة الغير، كما كانت هذه الدراسات تتناول إشكالية هوية الجزائريين وأصولهم ولكن على طريقة "فرق تسد".[2]

ومن سلبيات هذه الدراسات أن معظمها ذات صبغة استعمارية تتفق كلها في خدمة الاستعمار وتشويه التاريخ المحلي، فهذه الكتابات ليست في معظمها صحيحة وليست كاملة لكونها كتبت من وجهة نظر معينة لخدمة الوجود الفرنسي في هذه البلاد، ومن هنا أهمل الكتاب الفرنسيون الوثائق المحلية الخاصة بالجزائريين و لم يهتموا إلا بما يخدم فكرهم واتجاههم المتحيز.[3]

إن العمل "الإثنولوجي" العسكري كان من شأنه تشويه الحقائق من خلال الصورة السلبية التي وصف بها الإنسان الجزائري (الأندجان بتعبير المستعمر) لا يعدوا أن يكون إنسانا جامدا مستسلما خاضعا دنيئا، هذه النظرة تؤكد أن "الإثنولوجيا" أستعملت لتبرير السيطرة الغربية بتقديمها التشكيلات الاجتماعية التي درستها وكأنها بدون تاريخ وبالتالي جامدة، وهكذا لا يكون للمستعمر أي مسؤولية في جمود هذه المجتمعات.[4]

---

(1)- الإثنولوجيا (*Ethnology*) هو فرع من فروع الأنتروبولوجيا (علم الإنسان) تعرف بأنها علم دراسة الإنسان ككائن ثقافي وبأنها الدراسة المقارنة للثقافة، عرفها "هوبل" (*Hoebel*) على أنها تخصص يهتم بتحليل المادة الثقافية وتفسيرها بطريقة منهجية، وتهتم أيضا بدراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات البدائية وتنتهج منهج تاريخي لكي تكتشف نشأة الظاهرة وتتبع مراحلها.

(2)- محمد مكحلي، **الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور**، الجزائر: دار القدس العربي، 2020، ص: 47.

(3)- يحي بوعزيز، **ثورات القرنين 19و20**...المرجع السابق، ص: 07.

(4)- محمد الحمري، المرجع السابق، ص: 27.

إذن من خلال هذا يتضح جليا من أن الفرنسيين لم يدركوا كل الجوانب المتعلقة بحياة الجزائريين، وهذا ما يتفق مع قول "شارل أجرون" (*Ch.R.Ageron*) الذي يقول: «..إنه من المثير أن نقرأ أحكام الفرنسيين في الجزائر عن المجتمع المسلم وأن نرى ما مدى ما كانوا يجهلون من تحولاته الداخلية..». [1]

(1) – *Ch.R. Ageron,* ***Les Algérien Musulmans et la France****, paris : PUF, 1968, T :02, p :552.*

الباب الثاني

الطرق الصوفية والصدمة الاستعمارية

الفصل الأول

الفصل الأول: السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصوفية بين المهادنة والاحتواء

أولا: السياسات الاستعمارية والطرق الصوفية

1- سياسة المراقبة والاحتواء

2- سياسة تدخل الإدارة في تسمية الشيوخ

3- سياسة الحصار الاقتصادي والإغراء المالي

4- دور المكاتب العربية في مراقبة وقمع نشاط الطرق الصوفية

5- سياسة التفرقة وإذكاء الصراع الداخلي

ثانيا: الطرق الصوفية وموقفها من التطورات السياسية والثقافية والدينية (1914-1945م)

1- تجاه التطورات السياسية (الحرب العالمية الأولى)

2- تجاه سياسة التنصير

3- سياسة التجنيس والإدماج

4- تجاه سياسة التعليم

الفصل الأول: السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصوفية بين المهادنة والإحتواء

لم تتغير ملامح الحكم الفرنسي في الجزائر منذ الوهلة الأولى مرورا بالنظام العسكري ثم المدني إذ لم يكن حكما تعاونيا ولا متقبلا للوضع الجزائري، بل كان قاسيا واضطهاديا بواسطة إصدار القوانين والمراسيم الزجرية، حيث انعدمت الحرية ما دامت هذه القوانين تعتبر الجزائريين رعايا ليس لهم الحق في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين، فإن الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي (قانون الأهالي) مع فقدان وسائل التعبير، قد جعلت الجزائريين يكتشفون أنهم لا يمكنهم البقاء في وطنهم بسبب سوء الأحوال الاقتصادية كالضرائب القانونية والضرائب الثقيلة التي أثقلت كاهلهم، فقد كانوا يدفعون الضرائب القانونية والضرائب الدينية مثل الزكاة والعشور وضريبة الصخرة كالحراسة الليلية من دون أجر. (1)

كما فقد الجزائريون أراضيهم بسبب السياسة الاستيطانية والتجنيد الإجباري الذي أودى بحياة الآلاف من الجزائريين بسبب مشاركتهم مع فرنسا في حروب لا علاقة لهم بها، وسياسة التجنيس التي حاول الاستعمار بواسطتها إدماج وإلحاق المجتمع المدني بفرنسا، إضافة إلى عرقلة المجالس المحلية للتعليم والتمثيل النقابي الغير متكافئ وثقل الضرائب والقوانين الاستثنائية ومنع السفر إلا برخصة وفقدان الحقوق السياسية. (2)

---

(1)- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**...ج:02، المرجع السابق، ص، ص: 120، 221.

(2)- محمد الحمري، **التشريع الفرنسي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية مابين 1870-1920** رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية 2005/2004، ص: 85.

كل هذه العوامل أدت إلى هجـــرة الجزائـــريين مـــن وطنـــهم نحـــو البلـــدان الإســـلامية (بلاد الشام خاصة)، وفي هذا الصدد يصور لنا أحد الكتاب الفرنسيين هـــذه الحالـــة فيقـــول: «..إنا الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من بين الأسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية فقد كان ذلك يعني أنه لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم القديمة التي كانوا عليها سابقا». [1]

أولا– السياسات الاستعمارية والطرق الصوفية:

كان التنظيم الداخلي للطرق الصوفية والعلاقات الموجودة بين الطريقة ومختلف زواياهـــا في مختلف أنحاء البلاد وما تتطلبه من اتصال شبه دائم حتى خارج مجالها الجغرافي، بالإضافة إلى العلاقة المتميزة والطاعة شبه المطلقة التي تميز الأتباع تجاه مشايخهم، وخشية منها على اســـتغلالها ضـــدها عملت الإدارة الاستعمارية إلى إتباع سياسة تهدف إلى مراقبة دقيقة لهذا التنظيم وركزت جهودها بالدرجة الأولى على المشايخ مستعملة عدة أساليب.

وقبل الخوض في هذا الاتجاه نجد أن السياسية الاحتوائية جاءت بعد الدراسات الكثيرة والمعمقة التي قامت بها إدارة الاحتلال في الجزائر على يد خبراء وضباط المكاتب العربية والشؤون الأهليـــة والذين أسلفنا ذكر نماذج منهم في السابق، والذين اتفقوا جميعا في دراساتهم على ضرورة استمالة هذه الجماعات وتوجيهها لخدمة السياسة الفرنسية، ولعل هذه الدراسات أعطت لفرنسا بعـــض الحقائق استلهمت منها التوجيهات والاستراتجيات التي ستطبقها لتكون من أولويات هذه السياسة ما يلي:

(1)- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..ج:02، المرجع السابق، ص: 122.

1- سياسة المراقبة والاحتواء:

إن القنوات الأساسية للاستيعاب والاحتواء التي استعملتها الإدارة الاستعمارية تجاه الطـــرق الصوفية، هو تحويل شيوخ الزوايا إلى هيئة من الموظفين تقع تزكيتهم من طرف الإدارة الاستعمارية وذلك بالاعتراف القانوني والإداري لهذه الفئة الدينية. (1)

إن مصادقة السلطات الاستعمارية للزعماء الدينين الأشد تأثيرا بالرغم من تحـــذيرات "دوتي" (*Doutté*) الذي كان يقول: « إن المرابطية لا يمكنها أن تصبح أداة للحكومة »(2)، وفي المقـــام الثاني لاحظ ضباط الشؤون الأهلية أن المرابطين الحلفاء وبسبب تأثيرهم القوي جدا على السكان مستعدين لأن يصبحوا أوثق مساعدينا وأشدهم نفعا.

وفي بداية القرن العشرين وضعت السلطات الاستعمارية إستراتجية للتقارب مع 120 عائلـــة مرابطية كانت إلى تلك اللحظة مهملة، وبالتالي قد منحت إعانات جوهرية لمن كان محل ثقتها(3) هؤلاء الزعماء قد فتحوا لها لاحقا الطريق لتحقيق المزيد من الأهداف الاستعمارية وتثبيت دعائمها في أرض الجزائر، كما حاولت من وراء هذه الصداقة عزل الزعامات الدينية في الجزائر عن إخوانهم في المشرق، نظرا للتأثير الكبير لعلماء وشيوخ هذه الأخيرة على الحياة الدينيـــة والاجتماعيـــة في الجزائر والمغرب الإسلامي ككل، وبالتالي محاولة قطع الرابط المشترك بين الشعوب العربية. (4)

---

(1)- لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي**، تونس: دار سراس للنشر، 1993، ص: 92.

(2) – *(Ch.R) Ageron, **Les Algérien Musulmans**...Op, cit, p :904.*

(3)- كميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830–1962)**، تر وتـــع: نـــذير طيـــار (د.ب): دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016، ط: 01، ص: 178.

(4)- نفسه، ص: 177.

لقد سعت سلطات الاحتلال التدخل في تنصيب وعزل شيوخ الطرق أنفسهم وذلك بتقنين إجراءات اختيار الشيوخ، ليتم اختيار نوع معين من المشائخ لهم مكانة اجتماعية ونفوذ على الأهالي حتى يتسنى لها توظيفهم لاحقا[1]، وفي المقابل وبواسطة نفس الإجراءات الإدارية تم إقصاء الشيوخ المشبوه فيهم لعدم وضوح ولائهم وتبعيتهم للإدارة الفرنسية.

وبناءا على نهج هذه السياسة لجأ الحاكم العام "جول كامبون" إلى الاقتراب من الطرق الصوفية وأن يستميل شيوخها، ويتضح هذا من استمالت زعيم أولاد سيدي الشيخ وعرض الوظائف على أتباع الطريقة الدرقاوية والرحمانية؛ كما أذن لزعيم الطيبية بزيارة أتباعه في الجزائر وقام بتقليد رؤساء هذه الطرق وغيرها ببرانس وأوسمة ونياشين، وأقيمت احتفالات التأبين لمن مات منهم كما كان الحال إثرى وفاة الشيخ التجاني. [2]

ومن مظاهر هذا الاحتواء لشيوخ الطرق الصوفية من طرف إدارة الاحتلال نذكر أمثلة عن ذلك مما تناوله الباحث سعد الله رحمه الله، وكذلك ما احتوته علب الأرشيف الفرنسي من هذه الخطابات والمراسلات بين الإدارة الاستعمارية من جهة وبين شيوخ الطرق الصوفية من جهة أخرى.

إذن نجد من مظاهر استعمال الطريقة القادرية لحساب فرنسا عندما أقدمت هذه الطريقة على تقديم المساعدة للضابط "ديبورتر" (*Déporter*) الذي عمل لسنوات في صحراء الجزائر، وربط علاقات صداقة مع الشيخ "محمد الكبير بن إبراهيم" شيخ زاوية "نفطة" بتونس الذي تحصل منه

(1)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 86.

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 328.

على شهادة مقدم ظل يستخدمها عند الحاجة حتى أعتقد أنه مسلم قادري، وقام هو الآخر بمنح ترخيص لأبنائه بفتح فروع لهم بالجزائر.[1]

وقد أشتهر من أولاد محمد الكبير بن إبراهيم ابنه "محمد الطيب" الذي أقر الفرنسيون أنه أفضل إخوته عندهم، نظرا للخدمات التي آداها لهم في "تيديكلت" حيث نجح في اعتقال قتلة "الماركيز دي موريس" (*Morres*) في رحلته إلى الصحراء مستخدما الدبلوم الذي حصل عليه من شيوخها، كذلك تشير بعض التقارير في رسالة لمحمد الطيب على أنه يخدم الفرنسيين بقلب صادق وأكثر من ذلك أنه يتحمل معاداة إخوانه المسلمين بسبب مواقفه المساندة للفرنسيين[2] وقد مات محمد الطيب في توات وهو يحارب إلى جانب الضابط الفرنسي "بان" (*Pein*).[3]

إن انتهاج زعماء القادرية لنهج المقاومة جعل منهم أطرافا مناوئين للسلطة الاستعمارية؛ إلا أنه وبعد فشل المقاومات الشعبية أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م أخذ مقدموها في التعامل مع سياساتها ومشاريعها، لكن هذا لا ينف أن هناك من شيوخها من خالف هذا الخط وفضل التعاون الصريح مع إدارة الاحتلال بل وتقديم خدمات جليلة لها، وهذا باعتراف تقارير الإدارة الاستعمارية ونخص بالذكر هنا شخصية "محمد الطيب بن إبراهيم" شيخ الطريقة القادرية بورقلة سالف الذكر.

ومن الوثائق التي تثبت تورط هذا الأخير بالتعاون الصريح مع إدارة الاحتلال ما تحتويه السلسلة الأرشيفية رقم (*2U22*) الموجودة على مستوى أرشيف "إكس بروفانس" والتي مكنتنا

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص،ص: 50، 51.

(2)- نفسه، ص: 51

(3)- كان النقيب "بان" حينذاك هو القائد الأعلى لقوات جيش الاحتلال بمنطقة بوسعادة..أنظر: إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء**..المرجع السابق، ص: 113.

من الإطلاع على العديد من الرسائل والمراسلات حول هذا الأخير مكتوبة بخط اليد بالعربية ثم بالفرنسية تبين الأدوار التي لعبها في التعاون معهم، وهذه عينة مما جاء في إحدى المراسلات للحاكم العام للجزائر موجهة للقائد العام لشعبة الجزائر مؤرخة في 23 جويلية 1900م:

« الشيخ محمد طيب بن إبراهيم شيخ للقادرية بورقلة منذ سنوات عديدة هو تحت خدمة عملنا في الجنوب وفي الصحراء، التأثير الحقيقي جدا الذي يملكه على أتباعه الدينيين، بعد القبض على قتلة الماركيز "دي موريس" (*Marquis de Mores*) الذي قام به لوحده وبمبادرة منه (...) والتفاني الذي يظهره في المعارك(...)، الحكومة قررت من الآخر الاعتراف بخدماته من خلال تقليده فارس وسام جوقة الشرف، لكن فكرت أنه كان يمكن استعماله بطريقة مباشرة أكثر بالنظر لتوسعنا الصحراوي لمهارات وصفات الشيخ محمد الطيب من خلال مكافئة طريقة خدمته الجديرة بالثناء..». [1]

وفي رسالة أخرى باللغتين العربية مع ترجمة بالفرنسية لمحمد الطيب بن إبراهيم نائب القادرية في ورقلة يجدد فيها طلب التعاون والعمل مع السلطة الفرنسية وأكثر من ذلك اعتبر وفق ما تقوله الرسالة بأن "جميع من خدمكم بنيته يريح"، وتاريخ الرسالة حسب الوثيقة مؤرخة في الجزائر بتاريخ 23 نوفمبر 1900م، ورد فيها كما كتب في نسختها الأصلية بالعربية: [2]

---

(1)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger****, contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° : 2686 , le 23 juillet 1900.*

(2)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger****, contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), lettre en arabe avec traduction française Mohamed Taieb ben Brahim le 23 novembre 1900.*

« إلى سعادة المعظم المحترم السيد الجنرال حاكم إيالة الجزائر السلام التام يليق بقدرك وعلو منصبك، أما بعد سيدي نطلب من كريم فضلك على أن تامن علي نسير مع المحلة إلى توات..أيها السيد إن قصدي لي تلك الطلبة (الطلب) نريد نخدم تحت درابو (العلم) متاع الدولة الفرنصوية كما لا يخفى سيادتك بخدمتي وبنياتي الصافية معي (مع) الدولة الفرنصوية ومحبتي لها لأن كل من خدمكم بنيته يريح والسلام من خديمك عبد ربيه محمد الطيب نايب القادرية بي ورقلة والسلام..» من الطيب بن إبراهيم..وفي آخر الرسالة يظهر ختم الطريقة القادرية.[1]

2- سياسة تدخل الإدارة في تسمية الشيوخ:

لقد كانت الإدارة الاستعمارية – في الظاهر- لا تتدخل في تسمية مشائخ الطرق الصوفية باعتباره شأن داخلي يحكمه نظام وعادات تنظم هذه الأعراف والتي تقضي بأن يكون المرشح أهلا لمعرفة أسرار الطريقة، وتوفر شروط القبول فيه واتفاق أتباع الطريقة عليه وتقديمهم لحجة اتفاقهم على صلاحه، بالإضافة إلى موافقة شيخ مشائخ الطريقة التي ينتمي إليها المترشح.

وقد عملت الإدارة الاستعمارية على تقنين هذه الإجراءات ليقع الاختيار على نوع معين من المشايخ الذين لهم مكانة اجتماعية ووجاهة ونفوذ على السكان، حتى يتسنى للسلطة الاستعمارية توظيفهم لصالحها. [2]

إذن ومن خلال هذا أصبح لزاما على الطرق الصوفية الحصول على موافقة الإدارة الاستعمارية لاستكمال عملية تعيين الشخصيات الدينية لهذه الطرق وحتى في بعض المناصب الثانوية، ومن الأمثلة التي توضح هذا التدخل السافر للإدارة على مستوى تعيين مشائخ الطرق نذكر طلبا لرئيس

---

(1) –***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, ...Op,cit

(2)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 86.

بلدية الجزائر من محافظ الجزائر تعيين "لحول بلقاسم لحول" في منصب مقدم مع عبارة موافق على هذا الإجراء. (1)

ومن المراسلات التي احتواها الأرشيف الفرنسي والتي يتضح فيها كذلك تـــدخل الإدارة في مجال تسمية وتزكية شيوخ الطرق الصوفية، نجد رسالة باللغة العربية مع ترجمة بالفرنسية مؤرخة في 09 مارس 1896م من الشيخ محمد بلقاسم الشريف بزاوية الهامل إلى القائد "أكرشار" حـــاكم أبي سعادة (بوسعادة) تناولت معلومات تتعلق بالشخصية المقترحة لخلافة الزاوية وهذا نصها:

«..سعادة المعظم السيد الكماندات أكرشار الحاكم الكبير بأبي سعادة ودايرتها السلام عليك لطايف الإكرام وإنعام وبعد فإني وصلني كتابك يوم 09 مارس سنة 1896 وطلبـــت مـــني أن نجاوبك بالكلام الذي وقع بيني وبينك يوم أن تلاقيت أنا وإياك في الواد مابين الهامـــل وبـــين أبي سعادة وذلك أنك سألتني إن قدر الله علي الوفات (الوفاة) الذي قدرها الله تعـــالى علـــى علـــى (مكررة) كل نفس اتموت فلمن تكون الخلافة بعد وفاتي فقلت لك أن الخلافة بعدي تكون لولد أخي السيد محمد بن الحاج محمد لأنه الوارث للمقام علما وعملا وعمارة الزاوية بتدريس العلـــوم وإعطاء الذكر للإخوان وترتيب الطلبة وإكرام الإخوان بالأكل والفقراء والأيتام واصـــيته يســـير بسيرتي بالعافية ولا يخرج على نظر الدولة الفرانساوي وهذا ما مني وبه يكون إعلامك والســـلام من كاته (كاتبه) ومجيز محمد بن بلقاسم الشريف بزاوية الهامل وفقه الله آمين لتاريخ مانسبه ». (2)

---

(1)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance de maire d'Alger au préfet d'Alger, N° :15706, le 07 décembre 1896.*

(2)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), letter en arabe avec traduction française de nommée Mohamed ben belgassem chérif zaouïa el Hamel au commandant akerchar le gouverneur du Boussaâda, le 09 mars 1896.*

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر في نفس سياق الحديث عن تدخل الإدارة الفرنسية ومبادرة حتى بعض الشيوخ أنفسهم واستعانتهم بهذه الإدارة لكسب تزكيتهم وقبول السلطة الفرنسية على تسميتهم، نذكر على سبيل المثال الشيخ أحمد المختار ابن الشيخ الموسوم شيخ فرع الطريقة الشاذلية في قصر البخاري جنوب المدية، وعلى اثر وفاة والده هذا الأخير بادر بإرسال رسالة إلى الضابط "لوي رين" المكلف آنذاك بالشؤون الأهلية يخبره بوفاة والده ويطلب منه دعمه له لدى السلطات الفرنسية، ويجدد له حرصه على البقاء في سيرة والده من احترام للدولة الفرنسية كما أنه يلزم أتباعه بأن يبقوا على هذا العهد والود للفرنسيين، وختم رسالته إلى "رين" طالبا منه أن يبقى صديقا للزاوية وأن يعمل على حمايتها من المتطفلين. (1)

وفي ظل هذه الصداقة أرسلت حكومة الاحتلال المستشرق "الإسكندر جولي" في بعثة خاصة إلى أحمد المختار ليقوم بمرافقته وتذليل الصعاب له، وجلس "الإسكندر جولي" يدرس أحوال الزاوية وأتباعها وفروعها وزياراتها، ليخرج في الأخير بدراسة مطولة ومفصلة سماها "دراسة عن الشاذلية". (2)

إذن من أواسط الثمانينات أخذ الفرنسيون كما أشرنا يوظفون رجال الطرق الصوفية في القيادات والمناصب الإدارية حتى يكونوا طيعين لهم، مما أحدث تنافسا بين هؤلاء على المناصب وذلك عندما ظهر التنافس في القيادة على منصب مقدم الطريقة الطيبية بين ابن عيسى والشريف شريط، عندما تدخلت سلطات الاحتلال لدى الزاوية الأم "بفزان" بالمغرب الأقصى وبعد انتخابات جرت بين المترشحين فاز ابن شريط وتولت هذه الإدارة الفرنسية الإشراف رسميا على

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص، ص: 74، 75.

(2)- نفسه، ص: 74.

تنصيب هذا المقدم الجديد[1]، ليتم استغلال هذه الطريقة لاحقا حين طلبت الإدارة الفرنسية تأييدها في حربهم عام 1914م. [2]

من خلال كل هذه الأمثلة وغيرها اتضح لنا مدى التدخل السافر للسلطات الاستعمارية على مستوى تعيين مشايخ الطرق الصوفية، الأمر الذي جعل رأي الأتباع في المترشح وكذلك رأي حتى شيخ مشايخ الطريقة لا قيمة له أمام مصلحة الإدارة الاستعمارية.

وكذلك بالنسبة للطريقة الكرزازية في الجنوب الغربي للجزائر (نسبة إلى الشيخ أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز) وتعبيرا من هذه الطريقة على حسن علاقتها مع الفرنسيين، عرض شيخ الزاوية "أحمد بن الكبير بوحجاجة" سنة 1881م إعادة بعض الهاربين إليه من ثورة بوعمامة إلى السلطات الفرنسية، وعند وفاته بادر خليفته "عبد الرحمن بن محمد" بإخطار الفرنسيين بالوفاة وتسميته هو خليفة ووعدهم بإتباع سيرة سلفه وسياسته معهم، وبعث بذلك إلى الحاكم الفرنسي بعين الصفراء.[3]

ونفس الشيء بالنسبة للطريقة الشيخية فقد قدم أولاد سيدي الشيخ خدمات جليلة ممثلة في شخص الخليفة "حمزة" والذي كان يحكم باسم الفرنسيين الجنوب الوهراني كله وعمل على تهدئة

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 98.

(2)- عن استغلال فرنسا للطريقة الطيبية أنظر لوثيقة أرشفية هي وصية أحد شيوخ الطريقة الطيبية هو "الشريف أحمد بن الحسني الوزاني" في وهران إلى مقاديم وإخوان الطريقة الطيبية يحثهم على تأييد ومناصرة فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية..أنظر: محمد بن معمر وآخرون، المرجع السابق، ص: 230.

(3) – *Louis Rinn, Op, cit, p-p :.342-348.et aussi coppolani et depont, Op, cit, p :502.*

كل القبائل التابعة للطريقة الشيخية من حدود ورقلة والمنيعة إلى المغرب الأقصى، وقام إبنه بوبكر بإلقاء القبض على الثآئر "محمد بن عبد الله" شريف ورقلة وسلمه للسلطات الفرنسية. (1)

وكانت هناك اتفاقيات بين أولاد سيدي الشيخ والسلطات الفرنسية أولها عام 1883م على إثر ثورة بوعمامة والتي كانت فرنسا تهدف من ورائها إلى فصل العائلة الواحدة عن بعضها البعض وفصل الطريقة الواحدة إلى فرعين متنافسين، وجعل بوعمامة في عزلة من قومه، أما الاتفاق الثاني كان عام 1892م والذي يصفه أبو القاسم سعد الله بالاتفاق الخطير، ذلك أنه في الوقت الـــذي كان فيه زعيم الطريقة الطيبية "شريف وزان" يزور الجنوب الغربي ويتفقد زواياه ويجمع الزيـــارة بإذن من السلطات الفرنسية، كان في الوقت ذاته الحاكم العام "جول كامبون" يلتقي في المنيعـــة "بقدور بن حمزة" الثآئر السابق الذي سلم حصانه إلى الحاكم العام رمزا للطاعة والرجوع عمـــا كان عليه، وأضافت وسائل الإعلام الفرنسية أنه قام بتحية العلم الفرنسي، وفي مقابل هذا الـــولاء اعترفت الحكومة الفرنسية بقدور بن حمزة كتابع إقطاعي لها. (2)

واستمرت الطريقة التجانية هي الأخرى تقدم خدماتها للسلطات الفرنسية فنجد أحمد التجاني (الحبيب) يرسل الرسائل إلى توات وعين صالح و"بورنو" و"سكوتو" في غرب إفريقيا وغيرها، من أجل تقديم المساعدات للنفوذ الفرنسي بالمنطقة، ونفس الشيء قامت به زاويـــة تماســـين أيضـــا وتقديرا منه لجهود التجانية في خدمة المصالح الفرنسية، أقام الحاكم العام "جول كامبون" حفـــلا لتأبين الشيخ أحمد التجاني (الحبيب) في العاصمة، وألقى كلمة على الحضور نوه فيها بدور الطريقة التجانية ودور التجاني وزوجته "أوريلي بيكار" في "كوردان" أيضا، وقد حضر حفل التأبين هـــذا المفتون الحنفي والمالكي والقضاة ورؤساء الطرق الصوفية يتقدمهم "محمد بن الحاج محمـــد بـــن

(1) – *Henri Duveyrier,* ***Exploration du Sahara, les touareg du nord****... Op, cit, p : 315.*

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 111.

بلقاسم الهاملي" بالإضافة إلى أعيان المسلمين، وكانت هذه الحفلة مناسبة للتذكير بمحاسن ومناقب الطريقة التجانية وفضلها على فرنسا!! [1]

وهكذا رغم الشقاق الذي ميز الطريقة التجانية بين زاوية عين ماضي وزاوية تماسين، إلا إنهما اتفقتا على خدمة الفرنسيين، فقد كانت هناك مراسلات بين الفرنسيين وبين الزاويتين، ذلك أن الإدارة الاستعمارية كانت تحتاجهما في عدة مناسبات للتدخل في إفريقيا حيث الثورات والتمردات من طرف القيادات المنتمية لهذه الطريقة.[2]

إذن سلك "جول كامبون" منذ وصوله إلى الحكومة العامة في الجزائر سياسة التقارب مع الطرق الصوفية لأسباب مختلفة، ومنها حاجة فرنسا إلى دعمها في الصحراء، وحاجتها إلى من يقف ضد سياسة الجامعة الإسلامية والدعاية العثمانية، وكسر شوكة العداء الذي كانت تكنه الطرق الصوفية لفرنسا[3]، لتصبح هذه الطرق أداة طيعة في خدمة الإدارة الاستعمارية وحولتها عن وجهتها العدائية وسخرتها لخدمة مصالحها، وقد سار الحاكمان العامان "شارل جونار" (*Ch.Jonnart*) (1903-1912م) و"شارل ليطو"(*Ch.Lutaud*) (1912-1918م) على نفس النهج تجاه الطرق الصوفية[4]، وسنرى لاحقا كيف استخدمت الإدارة الاستعمارية هذه الطرق عشية (الحرب العالمية الأولى) .

وهكذا نجد أن الزوايا فقدت مكانتها والانتماء الطرقي أصبح محل اهتمامات السلطات الاستعمارية في تحديد مدى تأثير الشيوخ ومساعديهم من مقدمين، كما خصصت مراكز للمراقبة

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 215، 216.

(2) – *Louis Rinn, Op, cit, p :.439.*

(3)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 320.

(4)- نفسه، ص: 328.

حول نشاطات هؤلاء الطرقيين داخل البلاد وخارجها كمحاولة منها للحد من توسيع دائرة الهوية الدينية عبر الأقطار العربية والإسلامية.[1]

إضافة إلى انتهاج سياسة تصنيف شملت مكانة كل قبيلة عند سلطات الاحتلال وتحديد موقفها تجاه الاحتلال الاستعماري، وهذا يتأتى بخلق شخصيات ريفية بديلة على حساب الشخصيات الدينية عرفت بفئة الأجواد[2]، فارتبط ضعف وطمع هؤلاء بضعف هويتهم الدينية.

وضمن هذا التوجه يفتخر "كاميل ساباتي" (*Camille-Sabattier*) بدور سلطة الاحتلال في ضمان ولاء المرابطين من خلال إشارته بأنه أحيانا مثل ما هو موجود لدى أولاد سيدي الشيخ فمنذ 1860م وبفضلنا فالمرابطين يملكون في نفس الوقت سلطة دينية ونوعا من السيادة السياسية.[3]

---

(1)- هناك سلسلة من التقارير أعدتها الشرطة والأمن الفرنسي حول كل ما يتعلق بالطرق الصوفية من شيوخ أو مقدمين أو زوايا أو مريدين وحتى الموظفين الرسميين كالأئمة والعلماء ورمز هذه السلسة (*2U*) في مركز أرشيف ما وراء البحار للإطلاع أكثر ينظر:

- *Centre des Archives d'outre-mer, 2U23, affaires général et collectives (1868-1955) arrondissement de Mostaganem*.

(2)- يعد إجراء سنة 1900م إجراءا إداريا محضا حيث تم تقسم المجتمع الجزائري على أساس السلطة والجاه، إذ ركز أصحاب هذا التقرير على فئة الأجواد أو نبلاء السيف الذين وضعهم الجيش الفرنسي بفضل مساعدتهم له في القضاء على المقاومات الشعبية وأغلبهم باش أغوات..للإطلاع أكثر ينظر:

- ***A.N.O.M ,16H08**, **9** et **10**, préparation du travail de M.M, depont et coppolani sur les confréries religieuses (enquêtes, rapports) et du 16H30 au 16H34 confréries et notables, enquête de 1910 classement par département et par commune en ordre alphabétique (Alger : 16H30 Constantine :16H31, Oran :16H32,33,et 34.*

(3) – *Camille Sabattier, **Les difficultés Algériennes question de la sécurité, insurrections, criminalité, typographie**, Alger :Adolphe Jourdan, 1882, p :28.*

وهكذا ظهر في الطرق الصوفية الاستعداد لتقبل الوظائف الإدارية ونحوها و لم تكتفي خلال هذه الفترة بالاستسلام للأمر الواقع فقط، بل وقبل شيوخها وظائف كالأغا والقايد ..ومنهم من حصل على أوسمة رسمية كالآغا الحاج قدور الصحراوي (بتيارت)، وهذا ما دفع "لوي رين" بالقول: «..إن جميع المرابطين قد فهموا أن الفرنسيين سيصلون إليهم بسهولة سواء لأشخاصهم أو ممتلكاتهم ولهذا استسلموا و لم يعودوا مضادين لفرنسا..فقد كانوا يدفعون الضرائب ويتبعون التعليمات الإدارية ويطيعون أوامر الشرطة وهذا أمر لا يتناقض مع ضمائرهم لأنهم يؤمنون بأن الله هو الذي حكم بإعطاء الجزائر للفرنسيين..». [1]

3- سياسة الحصار الاقتصادي والإغراء المالي:

للطرق الصوفية مصادر للدخل والتوسع تعتمدها في التمويل والعيش والانتشار، وكانت كل طريقة تعمل على تحصيل المال بوسائل معلنة وغير معلنة، فإذا انقطعت أو نضبت تقلص نفوذها واعتراها الانكماش والاضمحلال، وإنه من الصعب جدا التعرف على الحقيقة الاقتصادية لهذه الطرق بصفة مضبوطة، وهذا راجع لسبب بسيط وهو أن ممتلكاتها تنقسم إلى نوعين، منها ما هي قارة وهي الأحباس أو الوقف، ومنها ما هي غير قارة وهي المداخيل المتأتية عن الزيارات التي تتلقاها من الأتباع، وهذا النوع بالذات من المداخيل تُكون الصعوبة من حيث أن التقارير الحساسة في هذه الأوساط تكون منعدمة أو نادرة [2]، فقد قدر حجم الأموال المستحقة على الطرق الصوفية بحوالي 07 ملايين فرنك، بينما كان حجم الضرائب العربية كما كانت تعرف (الزكاة، العشور..) التي تجنيها الدولة حوالي 15 مليون فرنك. [3]

---

(1) – *Louis Rinn, Op, cit, p-p :14-17.*

(2)- لطيفة الأخضر، المرجع السابق، ص: 64.

(3)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص، ص: 286، 287.

هذا العبء الضريبي الموازي شكل مصدر قلق للسلطات الاستعمارية جعلها تقوم بمجهودات لإلقاء الضوء على الجانب الاقتصادي للطرق، وذلك بتوظيف المراقبين المدنيين وضباط المكاتب العربية الذين طالبوا بدورهم رؤساء الطرق ومشايخ الزوايا عبر مختلف أنحاء البلاد بتحرير حساباتهم في هذا الشأن، وهذا طبعا لتقييدها ثم منع هذه الزيارات بدعوى أنها تتسبب في تفقير السكان، وبالتالي عجزهم عن دفع الضرائب المترتبة عنهم تجاه الحكومة الفرنسية، هذه الإجراءات أضرت طبعا بنشاط وقوة الزاوية والطريقة، فبادرت هذه السلطات في المرحلة الأولى إلى اشتراط رخص مسبقة للتوجه للزيارة ومنح المال دون التدخل في كيفية آدائها، ثم وقع التدخل حين رأى البعض أنه يمكن لأي شيخ أن يحصل على حق الزيارة بطلب منه إلى المكتب العربي في ناحيته كما يمكن للوفد أو الفرد المتوجه لجمع الزيارة أن يطلب الرخصة من نفس المكتب، ثم سلك الفرنسيون أسلوبا آخر من أجل تضييق الخناق على هذه الطرق في هذا المجال، وبدلا من إعطاء هذه الرخص في عين المكان أصبحت هذه الرخص تمنح من الضباط المسؤولين في المنطقة، ثم من فوقهم في المقاطعة من جنرالات وولاة، بعد إجراءات بحثية موسعة كالبحث في هوية الزائر والمزور وعلاقتهما وتاريخ الطريقة ونوع الزيارة وبذلك لم يعد من السهل الحصول على الرخصة إلا بعد جهد عسير وانتظار طويل. [1]

وحرصا منها على تطبيق تلك الإجراءات قامت إدارة الاحتلال بمراقبة تنقلات المشائخ و لم تسمح للبعض منهم بالتنقل إلا بعد إلتزامهم بعدم جمع الزيارات بدون رخصة، وبذلك أحكمت السلطة الفرنسية مراقبة جمع المال من الزيارات، مما أدى إلى تفقير هذه الطرق وتفضيلها الارتماء في أحضان السلطات الاستعمارية للتخفيف نوعا ما على التضييق عليها.

---

(1)- صادق سلام، **فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005**، تر: زهيدة درويش جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2012، ط: 01، ص: 180.

وقد ذكر أبو القاسم نقلا عن "لوي رين" أربع حالات فقط منحت فيها السلطات الاستعمارية الرخصة بالزيارة لبعض شيوخ الطرق الصوفية، الحالة الأولى كانت "لشريف وزان" شيخ الطريقة الطيبية وذلك بطلب من الوزير الفرنسي في طنجة، وهذه الزيارة حسب الفرنسيين كانت لهذا الشيخ وليست للمقدمين الطيبيين عموما، وأما الحالة الثانية كانت لشيخ الطريقة الزيانية بالقنادسة وذلك تعويضا على خدماته، ويقصدون بذلك معارضته لثورة بوعمامة عام 1881م، والحالة الثالثة كانت لشيخ الطريقة التجانية حيث سمحت له بجمع الزيارات من إخوانه في النواحي الغربية بعد خلافه مع فرع تماسين ونقص مداخله، أما الرابعة فقد رخصت فرنسا للشيخ علي بن عثمان شيخ زاوية طولقة الرحمانية نظير خدماته أيضا هو الآخر، وموقفه من عدم إتباع الشيخ الحداد في ثورة 1871م، ولذلك يؤكد "رين" أن هذه الرخص قد منحت في هذه الحالات الأربع فقط وذلك مقابل خدمات قدمت للسلطات الاستعمارية. [1]

إذن رأى الفرنسيون أن هذه الأموال الطائلة التي كان يجمعها أصحاب الطرق الصوفية والزوايا تعتبر في نظرهم منافسة لهم في الحكم وهو خطر سياسي داهم، قائلين إنه يجعل من هذه الطرق دولة داخل دولة، فقد قدروا هذه المداخيل سنة 1897م والتي تجنيها هذه الطرق مقابل الضرائب التي يدفعها الجزائريون إلى السلطات الفرنسية حوالي النصف من هذه الضرائب الرسمية وهذا الجدول يمثل تقرير عام 1897م: [2]

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 288. وأيضا:

- *L. Rinn, Op, cit, p: 95.*

(2) – *Depont et Coppolani, Op,cit, p :243.*

نتاج الصدقات	3.000.000 فرنك	سخرة (تويزة)	غير مذكور
نتاج الزيارات حق الدخول إلى الطريقة	3.000.000 فرنك 1.500.000 فرنك	المجموع =	7.500.000 فرنك

وفي سياق آخر مختلف تماما عن الموقف الأول لجأت إدارة الاحتلال إلى أسلوب التودد والإغراءات للتقرب من الشخصيات الدينية خاصة التي لديها تأثير وأتباع كثيرين، كنوع من الاستدراج، وأصبحت تدفع لهم مرتبات بعدما كانوا يتقاضونها من الأوقاف التي صادرتها منهم وذلك للعمل في صفوفها، إضافة إلى تخصيص هدايا وعطايا كالمنح أيضا كنوع من المكافأة على أعمال قدمت من طرفهم خدمة لسياساتها وأهدافها. (1)

إننا لا نعني هنا أن تلقي هذه الهدايا والعطايا والمكافآت جعلت من هؤلاء الشيوخ يتعاونون بالأسلوب الذي تريده وترضاه الإدارة الاستعمارية، فلقد اضطر هؤلاء وخاصة بعد فشل المقاومات الشعبية إلى انتهاج أسلوب المهادنة ربما للحفاظ على وجودهم واستمرار بقائهم، أو لنقل الاستسلام للأمر الواقع وانتهاج أسلوب المقاومة السلمية الهادئة التي تحافظ على مقومات المجتمع الجزائري من لغة ودين، رغم الانكسار السياسي أمام أعتى قوة استعمارية عرفها القرن 20م، وفي سياق الحديث عن هذه المواقف جدير بنا استعراض أمثلة لبعض هذه الشخصيات الدينية من خلال هذه الشواهد الأرشيفية:

(1)- عثمان زقب، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1914 (دراسة في أساليب السياسة الإدارية)** رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر-جامعة باتنة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2015/2014، ص: 101.

ورد في رسالة موجهة من الحاكم العام للجزائر إلى الجنرال قائد قسمة الجزائـــر مؤرخـــة في 09 جويلية 1907م جاء في مضمونها إرسال سجاد إلى زعيم زاوية الهامل كهدية وهذا ما جاء في سياقها..« بأني منحت زعيم زاوية الهامل سجاد والذي خصص له ...إنني سعيد للاعتـــراف بالإجراءات الحسنة والتي لهذه الشخصية الدينية نقدمها كبرهـــان في جميـــع الأوقـــات وجهـــا لوجه لنا..».[1]

كذلك من مظاهر هذا التقارب لسلطات الاحتلال لشيوخ الطرق الصوفية ذات النفوذ نجـــد رسالة من الحاكم العام في الجزائر إلى الجنرال قائد قسمة الجزائر والمؤرخة في 04 أفريل 1901م تتضمن تعزية لسي محمد الهاشمي نائب القادرية بالوادي في وفاة أخيه سي محمد طيب بن إبراهيم هذا الأخير الذي وصفته المراسلة بأنه "سقط بشجاعة" مقاتلا لأجل فرنسا.[2]

وهذا اعتراف من إدارة الاحتلال الفرنسي للجهود التي بذلها سي محمد الطيب بن إبـــراهيم فارتأت أن تمنح مساعدات مالية لأسرته، فقد ورد في مراسلة أخرى موجهة من الحاكم العـــام في الجزائر إلى الجنرال قائد قسمة الجزائر (الأغواط) والمؤرخة في 05 أفريـــل 1904م بخصـــوص الحوالة المالية الموجهة لصالح سي محمد لمين في ملحقة ورقلة العبارات التالية:

---

(1)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger ,N° :2194, le 09 juillet 1907.*

(2)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° :1696, le 04 Avril 1901.*

« لقد لفت انتباهي إلى حالة تستحق الاهتمام والتي توجد بها عائلة الفقيد سي محمد الطيب بن إبراهيم نائب القادرية الذي قدم لنا خدمات كبيرة جدا في الجنوب ومات مقاتلا في صفوفنا يشرفني أن أحيط علمك بأنني خصصت إعانة مالية بـ3000 فرنك لزعيم هذه العائلة سي محمد لمين بملحقة ورقلة ».[1]

وهكذا وبفعل هذه السياسة استطاعت السلطات الاستعمارية الدخول إلى أعماق الطرق الصوفية والتأثير على رجالها من خلال إعطائهم المناصب والوظائف لتستطيع من خلالها مراقبة نشاطهم ومداخيلهم وغير ذلك لتتمكن من منع أي نشاط خارج توجيهها.

4- دور المكاتب العربية في مراقبة وقمع نشاط الطرق الصوفية:

لقد أدرك الفرنسيون بعد أكثر من خمسين سنة من تكريس وجودهم الاستعماري في الجزائر وما لحق بهم من خسائر مادية وبشرية، والنفس الطويل الذي ميز المقاومة الوطنية الشعبية من أن السر يكمن وراء المحرك الحقيقي الذي يدفع الجزائريين إلى مثل هذا النضال ألا وهو "الدين" ويظهر ذلك جليا من خلال الدعوة إلى الجهاد ضد الكفار المغتصبين للبلاد، وعليه اقتنع الفرنسيون وهو الرأي الغالب من أن التعصب الديني والذي تمثله الطرق الصوفية هو السبب الرئيس في اشتداد المقاومات الشعبية، وأصبحت تشكل الخطر على الفرنسيين و لم تعد مقراتهم أي الزوايا مكانا لتحفيظ القرآن وعلوم الدين ولكنها تحولت إلى مراكز للثورة، لتتفطن إدارة الاحتلال لخطورة هذا التنظيم وخطره في تأجيج نار المقاومة.[2]

---

(1)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger****, contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger,(Laghouat), N° :736, le 05 Avril 1904.*

(2)– صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، الجزائر: دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع 2013، ط:01، ص: 64.

وهو ما أكدته لاحقا التقارير والدراسات التي قام بها قادة الاحتلال حول الطرق الصوفية حيث يقول "مارسيل امريت"(*Marcel Emerit*): « ..بالرغم ما لهذه الطرق الصوفية من صبغة دينية فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أشبه بأحزاب سياسية تستند إلى نظام غامض وتدريج محكم..إنها منظمات سرية تؤجج العداء ضدنا وتعبئ الناس باتصالات خفية وبين عشية وضحاها يتمردون علينا ويعلنون الجهاد..»[1]، وهذا ما أكده كذلك النقيب "شارل ريتشارد" (*Charles Richard*) الذي هو الآخر تتبع الدوافع العميقة للمقاومات الشعبية فقد تحدث عن ثورة الظهرة التي اندلعت سنة 1845م مبرزا بوضوح الدور المهم الذي قامت به هذه الجماعات الدينية (يقصد الطرق الصوفية). [2]

وعليه أصبحت القناعة أكيدة لدى الفرنسيين بأن هناك علاقة تكامل بين المقاومات الشعبية والحماس الديني الذي تؤججه الطرق الصوفية وزعمائها من توجيه للرأي العام وتجنيده باسم الدين والجهاد المقدس ضد الاستعمار بأنماط مختلفة. [3]

وهكذا أجمعت جل الدراسات والتي كان من ورائها ضباط المكاتب العربية وبعد إدراكها للعوامل الأساسية في تفعيل حركة المقاومة، بدأت ترتسم لديها المهام الرئيسية في دور المراقبة والاهتمام ومتابعة تحركات هؤلاء المرابطين[4]، بفرض الرقابة الشديدة على الزعامات الدينية والزوايا التي كانت تشكل مركزا للمقاومة ضد الفرنسيين، فكان من بين المهام التي أوكلت إلى المكاتب العربية من أجل حفظ الأمن والسلم أن لا تكتفي بمراقبة الزعامات السياسية وشيوخ

---

(1)- محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص: 55.

(2) – *Charles Richard, **Étude sur l'insurrection du Dhara (1845-1846)**, Alger : typographie a besancenez, 1846,p :83.*

(3)- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**...ج: 01،المرجع السابق، ص: 298.

(4)- إدوارد دو نوفو، المصدر السابق، ص: 23.

القبائل وإنما تعدى إلى ما يربط القبائل روحيا وهو "الدين"[1] والذي كانت تمثله في هذه الفترة الطرق الصوفية بأتباعها من طلبة الكتاتيب والزوايا والمريدين والأتباع من العامة، وذلك ببث عدم التسامح الديني في قلوبهم وحملهم على الكراهية تجاه الكافر بغية التخلص من الفرنسيين وطردهم من البلاد. [2]

لقد كانت السرية التامة التي تحيط بالزوايا وما يجري داخلها من نشاط لشيوخها وطلبتها عائقا أمام ضباط المكاتب العربية الذين كانوا يضطلعون بمهمة استعمارية ليست بالهينة لمتابعة ومراقبة كل حركة، خاصة فيما يتعلق بأتباع الطريقة الطيبية والرحمانية صاحبة التأثير الكبير في مختلف المناطق واستطاعت أن توحد تحت راية دينية واحدة العرب والبربر.. [3]

إذن أمام هذا الخطر المتنامي والانتشار الثوري المناهض للاستعمار الذي أحدثته الطرق الصوفية لاحظ الفرنسيون وعلى رأسهم ضباط المكاتب العربية هذا التحرك الخطير خاصة وأن التقارير الواردة إلى مكاتبهم من مختلف الهيئات الاستعمارية المتعلقة بشؤون الأهالي اتفقت أو اشتركت كلها على وجود حالة العصيان مست القبائل مع نهاية 1845م. [4]

لقد تعدت مهمة ضباط المكاتب العربية من مراقبة القبائل وتنظيمها إداريا ومتابعتها من خلال الاتصال والتعامل معها إلى مراقبة الأشخاص وعلى رأسهم شيوخ الطرق وتتبع مواقفهم من فرنسا

---

(1)–*Ferdinand Hugonnet,* ***Souvenir d'un chef de bureau arabe****, paris : Michel Levy frères librairies, 1858, p : 45.*

(2)- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 69.

(3)- إدوارد دو نوفو ، المرجع السابق، ص، ص: 72، 73.

(4)- فاطمة حباش، **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844–1870) تيارت، سعيدة جبرفيل.البيض نماذجا**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2014/2013، ص: 196.

من فترة إلى أخرى، ذلك أن حالة العصيان والتمرد التي كانت تظهر في فترات مختلفة وبشكل مستمر يرجع إلى العامل الرئيسي وهو الدين كما أسلفنا الذكر، الذي يتجلى في شخص المرابط أو الشريف، وعليه أصبح الإجماع حول معرفة الأسباب المؤدية إلى الثورات والمحركة للقبائل وإصرارها على الجهاد جعل ضباط المكاتب العربية يشددون المراقبة على زعماء الطرق الصوفية وأتباعهم وزواياهم التي كانت بمثابة مراكز لعقد الاجتماعات المعادية للفرنسيين. [1]

وتجسدت بداية مهمة المكاتب العربية بداية بتوجيه ضباطها على دراسة وإحصاء هذه الطرق وتمركزها ونقاط قوتها وضعفها[2]، ومن جهة أخرى تم إنزال منشور من الحاكم العام إلى المكاتب العربية مؤرخ في 02 مارس 1850م يدعوا ضباط تلك المكاتب إلى تكثيف المراقبة على تحركات هؤلاء الإخوان الذين يسعون إلى تضليل الجماهير -حسب تعبير المنشور- بهدف عزلهم وتحريضهم على الجهاد. [3]

إذن نستشف من خلال ما تقدم الخطورة التي يبديها زعماء الطرق الصوفية عندما تتحد كلمتهم ضد العدو المشترك، وفي المقابل حاولت إدارة الاحتلال ممثلة في المكاتب العربية بتكثيف مجهوداتها للتصدي لهذا النظام الطرقي المحكم وتتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الزوايا ومراقبة مهامها كجمع الغفارة أو الضريبة الدينية[4] من عند أتباعها بمختلف المناطق، حيث تعرضت

---

(1)- فاطمة حباش ، المرجع السابق، ص: 197.

(2)- إدوارد دو نوفو ، المرجع السابق، ص: 24.

(3)- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 70.

(4)- الغفارة عبارة عن ضريبة دنيوية ذات طابع ديني تتمثل في تقديم الحيوانات وبضائع يعينها الشيوخ سنويا على أتباعهم مثلا تفرض نعجة على كل خيمة أو ناقة أو كيس قمح أو تمر..أنظر:

-*Léon Lehuraux,* ***Le Nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie****, paris :édition du comité de l'Afrique française, 1931, p :38.*

لإجراءات تعسفية كالتماطل ورفض الدوائر منح تراخيص السفر لمقدميها إلى الدوائر أو القسمات التي لا ينتمون إليها بغية الاتصال بأتباعهم وجمع الضريبة منهم. (1)

وهكذا كما أشرنا سابقا اعتمدت إدارة المكاتب العربية على رخص انتقال أو سفر موقعة من طرفها للسماح بتنقل شيوخ الطرق الصوفية وحتى على حركة انتقال الأهالي، وقد تضمنت هذه الرخص بيانات دقيقة عن الشخص الذي تمنح له معلومات تتعلق بشخصه وسكنه واتجاهه وهي باللغتين العربية من اليمن والفرنسية على اليسار(2)، كما كتبت عبارة يتم تسريح حامل الرخصة من حكام المدن التي يمر بها أو يقصدها، وبتلك الإجراءات فقد مشايخ الطرق الصوفية حرية التنقل التلقائي وأصبحوا مطالبين (قانونيا) قبل تنقلهم بتقديم مطالب للإدارة، مع ما في ذلك من مماطلة وبيروقراطية وإضاعة للوقت وتعطيل للمصالح العامة والشخصية لهؤلاء المشائخ، ولتوضيح الصورة ارتأينا أن نستدل بنموذج من هذه الرخص التي يوفرها أرشيف ما وراء البحار بفرنسا، وهي رخصة سفر استفاد منها أحد شيوخ الزوايا مع ملاحظة يمنع من جمع الزيارة، وهي مراسلة واردة من الحاكم العام إلى الجنرال قائد قسمة الجزائر مؤرخة في 26 أوت 1911م تضمنت الموافقة على طلب سي الحاج مختار بن الحاج محمد أخ شيخ زاوية الهامل للذهاب مدة شهر إلى سطيف للعلاج مع الاشتراط بعدم استقبال زيارات خلال مدة تنقله، يضاف إلى ذلك تأكيد على ضرورة المثول أمام نائب محافظ سطيف عند قدومه المدينة. (3)

---

(1)- فاطمة حباش ، المرجع السابق، ص: 199.

(2)- ***A.N.O.M,2U23,ALG, département d'Alger***, *toute les confréries religieuse (rahmania et kadria), copie de permis de voyage de monsieur si Ahmed ben chikh N° :31, délivrer par l'arrondissement du média en septembre 1898.*

(3) -***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° : 2322 , le 26 Aout 1911.*

من خلال هذا النموذج نلاحظ أن سلطات الاحتلال لم تقف عند حد إجبار الشيوخ على استصدار رخص من أجل سفرهم، بل طالبتهم بإجراءات أخرى كضبط مسالك التنقل ومكان الإقامة مع تحديد العنوان والمثول أمام الإدارة بمجرد الحلول بالمكان المقصود من وراء هذا السفر وكل هذا كانت تهدف من وراءه إدارة الاحتلال على حمل شيوخ الطرق الصوفية على الانضباط والالتزام بهذه الإجراءات، وهكذا يسهل عليها التحكم بكل القنوات التي تمكنها من مراقبة المشائخ في حلهم وترحالهم.

كما ورد في نموذج آخر لرخصة تنقل (*permis de circuler*) صادر عن عمالة الجزائر دايرة أبي سعادة –بوسعادة– والمكتوب باللغتين العربية –دارجة– والفرنسية والمتعلقة بالسيد محمد الحاج محمد شيخ زاوية الهامل، حيث تحصل على رخصة تنقله في 22 أكتوبر 1907م وتضمنت البيانات التالية: في البداية أشير إلى معلومات عن حامل رخصة التنقل تتعلق بأصوله القبلية ومدة الترخيص..حامله من عرش أذن له بالسفر إلى.. لأجل..[1]

وأدرجت لاحقا معلومات عن طبيعة السلاح الذي يحمله ووسائل انتقاله،"حامل معه بندقية أو كابوس أو خدمي وبيده إبل، خيل، بهايم"، وكذا معلومات حول هوية الشخص..وأخيرا حددت مدة تسريحه، لتنتهي الوثيقة بمقر إصدار الترخيص والهيئة التي أصدرته مثل "أبي سعادة" "يوم" من طرف "شيف بيرو عرب".[2]

إن هذا الحرص الشديد على مراقبة شيوخ الطرق الصوفية هو نتيجة الخوف والخطر الذي كانوا يشكلونه على الأمن العام، نظرا لما لهم من نفوذ مادي وأدبي على أتباعهم، وهذا ما جعل

---

(1)–***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger****, contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), permis de circuler du nommée si Mohamed el hadj Mohamed, N° :3100, délivrer a Boussaâda le 22 octobre 1907.*

(2) – *Ibid.*

من سلطات الاحتلال ترى في هذه التنقلات وسيلة من وسائل الاتصال المباشر الذي لا يهدف إلى جمع الزيارة من الأتباع فحسب، بل من شأنه نقل الأخبار والاتصال بالأتباع وتمتين روابط التواصل بين الشيوخ ومريديهم. (1)

5- سياسة التفرقة وإذكاء الصراع الداخلي:

كانت كل جمعية صوفية متماسكة فيما بينها كثيرة المال والأتباع قوية السمعة لها شيخ شهير يعترف به جميع الأتباع، ومن ثمة كان لها وزنها وخطرها بحيث تخيف الاحتلال الفرنسي لذلك اعتبرها الفرنسيون عدوهم اللدود فتصدوا لها بتشتيت صفوفها وتمزيق وحدتها واستعمال القوة معها وشراء الذمم وتزويج بعض رجالها بفرنسيات والتحالف معهم. (2)

وأدرك الفرنسيون منذ البداية أن ازدياد المقاومات الشعبية بقيادة الطرق الصوفية سيمنعهم من التوسع في الاستعمار وإقامة المراكز الاستيطانية، لذا حاولوا استغلال الأوضاع القائمة في البلاد واستخدام وسائل من شأنها أن تجرد السكان من وسائل الدفاع المادية والمعنوية، فعملت على استخدام قبائل المخزن للسيطرة على السكان من جهة، وعلى خلق التفرقة بين القبائل من جهة وبين الطرق الصوفية فيما بينها من جهة أخرى، وذلك طبعا وفق مبدأ "فرق تسد"، فكانت إستراتجية فرنسا تقوم منذ البداية على تحطيم النظام الاجتماعي في كل منطقة يتم احتلالها وذلك بقصد تكسير العلاقات العائلية وإقامة نظام جديد يحل محل المألوف عند الجزائريين، وتحت غطاء المحافظة على الأمن وتوسيع نفوذ الدولة الفرنسوية، إذ قامت بضم فئات من زعماء الطرق إلى جانبها وذلك بالموازاة مع حرب الإبادة التي كانت تقوم بها القوات الفرنسية ضد السكان بإيعاز

(1)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 88.

(2)- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص: 163.

من المكاتب العربية التي كانت حسب أحد القادة العسكريين هي العقل المدبر والمخطط وقلب الحكومة الأهلية، أما قبائل المخزن فهي "عين الحكومة".

جاء في تعليق "ألكسي دي توكفيل" (*A.de tocqueville*) [1] يحث فيه إدارة بلاده على عدم ترك الأهالي الجزائريين المسلمين في وضع موحد اتجاههم، فيقول في هذا الصدد: «..إذا كان من صالحنا أن ننشأ حكومة لعرب الإيالة فإنه من صالحنا بصورة أكثر وضوحا ألا ندع حكومة واحدة فقط تقوم، ذلك أن الخطر سيكون أكثر من الفائدة..»،كما أكد هذا الطرح الداعي لدعم فكرة عدم ترك العرب في الجزائر موحدين، مثلما أنه ليس من مصلحة الفرنسيين تركهم للفوضى أيضا لأن ذلك ليس في مصلحتها بقوله:«..يهمنا كثيرا بلا شك ألا نترك العرب نهبا للفوضى لكن يهمنا أكثر ألا نعرض أنفسنا لرؤيتهم مصطفين كلهم وفي الوقت نفسه..». [2]

ويبرر "دي توكفيل" هذا التوجه الذي تبناه الفرنسيون في التعامل مع مقاومة الأمير عبد القادر بقوله:«..ليس هناك أي رجل حرب أو مسافر عادي ذهب إلى الجزائر يتصور أنه بالإمكان القضاء على عبد القادر بقوة السلاح بضربة واحدة..إذ تم القضاء على عبد القادر فإن ذلك لن

---

(1)- هو ألكسيس شارل هنري كليرل دوتوكفيل، ولد بباريس في 29 جويلية 1805م، وهو ينحدر من عائلة أرستقراطية فرنسية، وهو أحد كبار المفكرين الفرنسيين مؤرخ وعالم اجتماع ورجل سياسة وقاض معروف في محكمة "فرساي" 1828م ثم أنتخب عام 1839م، عضوا في الجمعية الوطنية الفرنسية إلى غاية 1849م وفي نفس السنة أصبح نائبا لرئيسها ووزير للخارجية الفرنسية فيما بعد لينسحب عن الحياة السياسية عام 1851م ويتفرغ للتأليف وله الكثير من الكتابات، كان عضوا في اللجنة البرلمانية المكلفة بدراسة مشروع يتعلق باستعمار الجزائر وأعتبر من المختصين في الشؤون الجزائرية..انظر: ألكسيس دي توكفيل، **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان**، تر: إبراهيم صحراوي الجزائر: د.م.ج 2008، ص: 07.

(2)- دي تو كفيل، المرجع السابق، ص: 25.

يتم أبدا إلا بمساعدة بعض القبائل الخاضعة له اليوم وستنحل شبكة سيطرته بدل أن تتحطم..». [1]

كما أشار "دي توكفيل" إلى أن سياسة الترهيب وإجراءاتها الردعية ستسمح بضرب الجبهة الموحدة التي بناها عبد القادر، لذا علينا ألا نتردد لأجل بلوغ هذا الهدف في التخلي عن القانون الساري في أوربا لكونه حسب قوله: «..يعرقل السلم وتطبيع الوضع في الجزائر». [2]

ويقدم في هذا السياق شرحا في تطبيق التعامل وإحداث التفرقة بين العرب وتكريس سياسة "فرق تسد" وكيفية تحقيقها، حيث يؤكد بأن هناك وسيلتين لتحقيق هذه الغاية، الأولى وتتمثل في دفع القبائل إلى الملل أو التذمر من الحرب، والثانية في السعي لاستمالة البعض من الزعامات إما بوعود وإما بهبات سخية. [3]

ويسترسل في الشرح حول إمكانية نجاح سياسة التفرقة بين الجزائريين من خلال قوله بأن التجربة قد أظهرت أنه مهما كان تعصب العرب ومهما كانت الروح الوطنية عندهم، فإن للطموح الشخصي وللجشع قوة في قلوبهم أحيانا كثيرة، وهو ما يجعلهم يتخذون دون قصد القرارات الأكثر تعارضا مع توجهاتهم المعتادة[4]، وتأكيدا منه على وجهة نظره حول توظيف شواهد تاريخية تدعم آرائه في اتجاه هذه السياسة فيقول:«..لقد برهنت الأحداث دائما ليس في زمننا هذا فقط بل في الفترات السابقة أيضا على أنه بإمكان العرب أنفسهم الذين يبدون الكراهية

---

(1)- دي تو كفيل، المرجع السابق، ص، ص: 44، 45.

(2)- غرانميزون أوليفي لكور، **الإستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الإستعمارية**، تر: نورة بوزيدة، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007، ص، ص: 133، 134.

(3)- دي تو كفيل، المرجع السابق، ص: 45.

(4)- نفسه، ص، ص: 45، 46.

الشديدة للمسيحيين أن يحملوا السلاح فجأة إلى جانبهم وينقلبوا على مواطنيهم، ينبغـــي إذن ألا نيأس إطلاقا في استمالتهم إما بالنفخ في طموحاتهم وإما بتوزيع المال عليهم..». [1]

وفي نفس الاتجاه يؤكد "دي فويليد" (*De feuillide*) في كتابه "الجزائر فرنسية" في جـــزءه الأول عندما يدعم سياسة التفرقة بين الأهالي واستخدام بعضهم ضد بعض، حيث يوضـــح هـــذا بقوله:«..إن المبدأ الأساس المتعلق بالغزو أن نستخدم الأهالي للعمل بشأن الأهالي، وإذا ما كـــان هناك منافسات بين العناصر والطوائف فلنعارض بعضهم لبعض من أجل إضعاف قـــدرتهم علـــى المقاومة مجتمعين..». [2]

كما بادر هذا الأخير بتقديم مقترحات لتطبيق سياسة الانشقاق بين الأهالي وفق دراسة معمقة لخصوصيات كل جنس في البلاد، حيث يقول:«..يوجد في الجزائر ثلاث أو أربعة عناصر متميزين بالشدة والعدائية الكبيرة فيما بينهم، المورسكيون، اليهود، العرب، القبايل، لكي نعرف مـــا هـــو الجنس الذي بإمكاننا الاعتماد عليه في البداية ومعه سيكمل الآخرون، فما علينا سوى معرفة قوتهم الخاصة كعدد أولا ثم فيما بعد كوسائل احتلال..». [3]

وهذا العقيد "سيروكا" (*Seroka*) يشير إلى تلك السياسة فيقول هو الآخر:«..إن معرفـــة أجداد وجذور العائلات الرئيسية الموجودة في البلد أحقادها أصحابها انتقامها..تجعلنا قادرين على

---

(1)- دي تو كفيل، المرجع السابق ، ص: 46.

(2) – *De feuillid.(c), **L'Algérie française , typographie de henni Plon**, paris : imprimerie de l'empereur, 1856, p :53.*

(3) – *Ibid, p :53.*

التحكم فيها، فبمعرفة التاريخ العميق للبلد يجعلنا لا نقع في الخطأ، إن الحاضر هو علم الماضي..». [1]

إن سياسة التنظير لسياسة التعامل مع الأهالي المسلمين في الواقع لم ينطلق من فراغ ذلك أن الفرنسيين في الجزائر لم يكونوا يتعاملون مع مجهول، بل تم ذلك عن طريق دراسات اجتماعية ونفسية عميقة اهتمت حتى بالعقلية الجزائرية وحاولت من خلال هذه الدراسات وضع أهداف ومشاريع تحقق المشروع الاستعماري في الجزائر. [2]

وجدير بنا في هذا السياق أن نتناول نماذج من تطبيق هذه السياسة على الطرق الصوفية ولعل أبرزها ذلك الصراع الذي ميز العلاقة بين القادرية والتجانية، حيث يذكر الباحث بن يوسف التلمساني بأن معالجة موضوع الأمير عبد القادر والتجانية لا يمكن أن يبحث إلا في إطار المنظور العام للمقاومة الشعبية، لأن الاختلاف الذي وقع بين الطرفين ما هو إلا مظهر من المظاهر السلبية التي اتسمت بها مقاومتنا الشعبية في بداية عهدها وجعلتها تفشل أمام الاحتلال الفرنسي رغم التضحيات الجسام كونها كانت تحمل في طياتها بذور فشلها. [3]

يبدوا أن هذا الصراع بين الأمير ومحمد الصغير التجاني كان صراعا تاريخيا من أجل تقرير المصير وتخليص البلاد من المشركين أو المستعمر الفرنسي، لكننا نلاحظ أنه صراع بين طريقتين صوفيتين لهما وزن في الحياة الاجتماعية، إنه البحث عن الشرعية والمصداقية وإثبات الذات

---

(1) – *Joseph-Adrien Seroka, **Le Sud constantinois de 1830 a 1855**, R.A.N° : 56, année, 1912, Alger : O.P.U, 1986, pp :376,377.*

(2)- عثمان زقب، المرجع السابق، ص: 54.

(3)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص: 156.

وبالتالي فإن هذا الصدام بين الطريقتين كانت تغذيه النزعة القيادية، فنجد كل واحد منهما كان يريد أن ينتصر لطريقته حتى يكتب لها الاستمرار. (1)

ولقد أولت فرنسا اهتماما بالغا إزاء هذا الصراع منذ البداية بين الأمير ومحمد الصغير محاولة منها لإذكاء نار الفتنة وهدر إمكانيات المسلمين المادية والبشرية والمعنوية. (2)

وفي نفس سياق إذكاء نار التفرقة بين الطرق الصوفية عملت الإدارة الاستعمارية على معاونة الطريقة الطيبية على الانتشار في الجزائر على حساب الطرق الأخرى، وذلك يدخل في إطار المصلحة المشتركة بين فرنسا والطيبية ولا سيما في القضاء على ثورة بوعمامة. (3)

كما قامت سلطات الاحتلال بضرب الطرق ببعضها واستغلالها في خدمتها وتحقيق مشروعها الاستعماري، مثل ما فعل أولاد سيدي الشيخ عندما قاموا باعتقال محمد بن عبد الله شريف ورقلة بالرغم من أنه كان مسنودا بالطريقة السنوسية وهي ترجع إلى نفس الأصول التي ينتمون إليها. (4)

بل وصل الأمر بالسلطات الفرنسية أن تزرع بذور الشقاق والتفرقة حتى بين أفراد الطريقة الواحدة، وذلك عندما أشرنا عدة مرات إلى اتفاق 1883م واتفاق 1892م بين زعماء أولاد سيدي الشيخ والسلط الاستعمارية، فقد جاء الأول على إثر ثورة بوعمامة (الغرابة) عندما حاولت فرنسا تفريق العائلة وفصل الطريقة الواحدة إلى فرعين متنافسين، وكان الفرع الشرقي بقيادة أولاد

---

(1)- الغالي بن لباد، **الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية دراسة أنتروبولوجية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنتربولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية 2009/2008، ص: 207.

(2)- بن يوسف التلمساني، المرجع السابق، ص: 189.

(3)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 100.

(4)- نفسه، ص: 106.

حمزة وهو الثائر في عدة مرات سيما في ثورة 1864م التي دامت فترة طويلة وأدت إلى تحطيم ما كان للطريقة من قوة ونفوذ. (1)

إذن عمل الفرنسيون على استخدام شتى السبل لاستغلال الانشقاقات والنزاعات القبلية والشخصية والدينية والطبقية ونحوها لزعزعة تنظيمات الطرق الصوفية، وأوحوا لكل واحدة منها بأن الطريقة الأخرى تنافسها وتريد أخذ مكانها وأتباعها وزواياها، بل وصل بهم الأمر أن أوحوا إلى كل مقدم في الطريقة الواحدة بأن المقدمين الآخرين ينافسونه على الزعامة والمال والجاه وهكذا نشب نزاع غير مسبوق بين هذه الطرق وبين هذه الزعامات لم يسبق له مثيل من قبل. (2)

وهكذا نجحت سياسة التفرقة الفرنسية في تشتيت الطرق الصوفية وانقسامها إلى تجمعات صغيرة حتى أصبح الشيوخ يبدون إقبالا لا مثيل له إزاء السلطات الفرنسية التي اتخذت كوسيط وحكم، وبدورها لجأت هذه الإدارة إلى منح البركة الإدارية لنصرة زبائنها إلى درجة دفعت هؤلاء بالقول تهكما بأن هذه الإدارة كادت أن تحل محل الرضى الرباني(3)، وبدورها استغلت هذا التنافس الشخصي بين هذه الزعامات الدينية للوصول إلى مناصب قيادية في مجتمعاتها ومناطقها واستطاعت بفضل هذه السياسة أن توجه ضربات قاسية للزوايا من خارجها ومن داخلها حتى كادت تؤدي هذه النزاعات في بعض الأحيان إلى التقاتل أو خيانة الوطن والتعاون مع العدو. (4)

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق ، ص: 111.

(2)- نفسه، ص: 236.

(3)- شارل وربير أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، تر: جمال فطيمي وآخرون، الجزائر: دار الأمة، 2008، ط:01، مج: 02، ص: 288.

(4)- عثمان زقب، المرجع السابق، ص: 61.

وهذا الأمر نستشفه من خلال ما سبق في هذا البحث فقد وجدنا يدا للفرنسيين في صـــراع التجانية مع القادرية منذ عهد الأمير، ومع الطريقة الشيخية والقادرية منذ الستينات حين أوحـــى الفرنسين لها أنها العدو الوحيد للشيخية وبعد ذلك وظفتها لخدمة مصالحها. (1)

وعلى نفس المنوال سلك الفرنسيون من الطيبية والزيانية والكرزازية عندما أقنعوا التجانية عام 1884م من أن هذه الطرق مغربية الأصل تعمل على إضعاف نفوذها في الجزائر وغرب إفريقيـــا وخاصة السنوسية صاحبة اليد الطولى في منطقة غرب إفريقيا، وهو ما يصـــدقه أحـــد الكتـــاب الفرنسيين عندما يقول: "..إن الطرق الأخرى تنظر إلى التجانية نظرة سخط (عدا الطيبية) صديقة فرنسا لأنها كانت محل هجوم هذه الطرق المنافسة لها في كثير من المناسبات". (2)

إذن عملت السياسة الاستعمارية على التظاهر باحترام القيم الروحية للطرق الصوفية من دين وعادات وتقاليد الأمر الذي مكنها من احتواء بعض الطرق ومنحها بعض الامتيازات وتوظيفهـــا لخدمة مصالحها، هذا إضافة إلى طبيعة الفكر الصوفي الذي ميز هذه الفترة والذي ركز على تلقين الأوراد والأذكار وتوجيه الأتباع إلى الزهد في الحياة، وهذه التربية كان من شأنها أن جعلت مـــن هؤلاء الأتباع مسلوبي الإرادة وعديمي المبادرة مما حال دون القيـــام بـــأي عمـــل يخـــالف إرادة شيوخهم. (3)

إذن كل هذه الإجراءات سالفة الذكر والتي تضمنتها السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصـــوفية لتضمن ولائها للحيلولة دون قيامها بأي عمل يناهض وجودها ولتحول بينها وبين الولاء لقـــوى خارجية خاصة وأن هذه الإجراءات تزامنت وطبول الحرب العالمية الأولى تقرع.

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 237.

(2)- نفسه، ص: 237.

(3)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 167.

ثانيا– الطرق الصوفية وموقفها من التطورات السياسية والثقافية والدينية (1914–1945م)

منذ دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر وهو يعمل لخلق أساليب ووسائل لطمس المعالم الحضارية والدينية من أجل القضاء على الدين الإسلامي، باستهدافه للركائز الدينية من زوايا ومساجد ومحاربتها ومحاولة مسخها، وبالمقابل ترسيخ القيم الفرنسية النصرانية في المجتمع الجزائري المسلم.

ولقد بلغت الهيمنة الاستعمارية في الجزائر ذروتها غداة انتهاء (الح ع 1) وفشل المقاومات الشعبية التي خاضها الشعب تحت لواء الجهاد الذي تزعمته الطرق الصوفية ضد المحتل الأجنبي خلال القرن 19م، والذي عمل طيلة هذه الفترة على تفكيك الأطر الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمع الجزائري، وفي هذا السياق يقول أبو القاسم سعد الله رحمه الله:« ..غزا الفرنسيون الجزائر بالسلاح والعلم، فحققوا الاحتلال والاستعمار والاستيطان بالسلاح والجيوش، وحققوا نشر لغتهم ودينهم وعاداتهم وصحافتهم ومطبعتهم ومسرحهم بالعلم والاختراع..». [1]

إذن حاولت فرنسا أن تهيئ الجو المناسب لإقامة مشروعها الاستيطاني في الجزائر، وذلك بعد استخدامها وسائل عملية قاسية ضد الجزائريين، بقصد إخضاعهم وإنهاكهم وإبطال مقاومتهم وهكذا بعد أن استتب لها الأمر ودعمت ركائزها في البلاد لم يبق لها سوى البدء في تطبيق مخططاتها الاستعمارية.

ويضيف سعد الله متحدثا عن طبيعة هذا الاستعمار فيقول: «.. ولكنه كان غزوا فكريا على كل حال ذلك أن كلوزيل وفاليه وبوجو كانوا يغزون المدن بينما كان بربروجر

(1)– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**...المرجع السابق، ج: 01، ص:89.

(*Adrian Barb Roger*) وديسلان (*William Mac Guckin de slane*) [1] وبريسنييه (*Briec nier*) وأمثالهم كانوا يغزون المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد بدعوى الإنقاذ. [2]

ورغم تجذرها في واقع المجتمع الجزائري ومع ما تملكه من إمكانيات مادية وبشرية هامة فإن الطرق الصوفية لم يكن لمعظمها مواقف واضحة إزاء العديد من الأحداث والمواقف التي طرأت على المجتمع الجزائري في مختلف السياسات الاستعمارية المنتهجة في شتى المجالات ومنها الثقافية والدينية، والمتتبع للسياسة الاستعمارية المفروضة على الجزائريين يستخلص منها ثلاثة أهداف رئيسية التنصير والإدماج والتجهيل.

1- تجاه التطورات السياسية (الحرب العالمية الأولى):

ظلت فرنسا حتى قبيل اندلاع (الح ع1) ورغم مرور أكثر من 80 سنة على استيلائها على القطر الجزائري تشعر بعجزها عن السيطرة التامة على واقع البلاد، الذي ظل متحولا ومتأثرا بما يجد على مستوى العالم الإسلامي وخاصة في علاقته بالخلافة العثمانية، وبعد ظهور ملامح هذه الحرب خشيت فرنسا أن انشغالها بهذه الحرب يعطي للجزائريين الفرصة للتمرد والثورة خاصة

---

(1)- ماك جون دي سلان (*William Mac Guckin de slane*) 1801 - 1878م هو مستشرق فرنسي، من أصل ايرلندي، تتلمذ على يد (دي ساسي)، ومن تلاميذه جان فرانسوا شامبليون، من آثاره :نشر ديوان امرئ القيس، وتاريخ ابن خلدون، وفهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في خزانة باريس الوطنية، سافر إلى فرنسا عام 1830م لدراسة الاستشراق ونيل الشهرة، وبعد حصوله على الجنسية الفرنسية كلفته الحكومة بمهمة في الجزائر بين 1843-1845م فقام بأدائها وأرسل إلى وزير المعارف العمومية تقريرا عن مجموعة المخطوطات ذات الأهمية في المكتبات الخاصة، وقد تم ترقيته إلى مترجم عام للجيش الفرنسي في الجزائر عام 1846م، وقد شغل" دي سلان" كرسي اللغة العربية المغاربية في قسم اللغات الشرقية عام 1863م للتعريف به ينظر :أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954** الجزائر: عالم المعرفة، 2015،ج: 06، ص- ص: 70- 72.

(2)- نفسه، ص:90.

وأنها عاشت تجربة مماثلة بهذا الحدث أثناء الحرب الفرنسية الألمانية واستغلال الجزائريين لهذا الوضع بإعلانهم ثورة 1871م.

من أجل ذلك تحتم على الفرنسيين بالجزائر العمل على انتهاج سياسة ظرفية هدفها السيطرة على الوضع الداخلي قصد التفرغ لمجابهة الخطر الخارجي الداهم، فما هي مميزات الوضع الداخلي للجزائر عشية الحرب ع1؟ وما هو موقف الطرق الصوفية من هذه الأوضاع ؟

أ/- مسألة التجنيد الإجباري 1912م:

ومن أجل إيجاد فرنسا لوسائل تدعم فيها جيوشها قامت بتكثيف عملية التجنيد الإجباري للأهالي رغم رفض المشروع من طرف الأغلبية الساحقة من الأهالي الجزائريين، ورفض المعمرين له أيضا، فقد استعانت فرنسا بالطاقات البشرية الجزائرية واستغلالها استغلالا كبيرا في الحرب ع1 وذلك لدعم قوات الجيش الفرنسي بالأهالي المعروفين بالشجاعة والصبر والقدرة على التحمل من جهة ولضمان عدم قيام انتفاضة شعبية أو ثورة في الجزائر وذلك بإفراغها من الطاقات الشابة وتسخيرها في خدمتهم. (1)

وتبريرا منه لسياسة التجنيد يرجع "أدولف ميسمي" (*Adolphe Messimy*)(2) أن تراجع معدل الولادات في فرنسا هو الذي فرض فكرة اللجوء إلى تجنيد أهالي المستعمرات بالجزائر وتونس والمغرب لصالح القوات المسلحة الفرنسية. (3)

---

(1)- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، **التاريخ المعاصر-أوربا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية-** بيروت: دار النهضة العربية، 2014،ص- ص:300- 302.

(2)- وزير سابق للحرب والمستعمرات ولد في 1869م وتوفي في 1935م.

(3)- *Adolphe Messimy, **Le statut des indigènes Algériens**, paris :Henri Charles-lavauzelle, éditeur militaire, 1913,p :11.*

وفي نفس السياق يضيف الملازم "راسبايل" (*Raspail*) عضو فرقة القناصة الجزائريين أن الظروف التي فرضت طرح فكرة التجنيد الإجباري للأهالي المسلمين في الجزائر وتونس هي أن: انخفاض الولادة في فرنسا وتطبيق قانون 24 مارس 1905م (قانون لعامين) فرض الحفاظ في المتربول على كل المجندين تقريبا، فهناك إذن انخفاضا في خطة الحصص الفرنسية المرسلة للجزائر وإلى تونس سيكون إضافة إلى ذلك صعب جدا بل مستحيلا في بضعة سنوات الحفاظ على ضباط من الجيش النظامي حسب الرقم الحالي وبالخصوص بالنسبة للمشاة، فهذه الأسباب التي تم استعراضها طويلا من طرف السيد "ميسمي"(*Messimy*) في تقريره بخصوص ميزانية 1908م والتي دفعت البرلمان للتكفل منذ هذه المرحلة بتجنيد الأهالي المسلمين في الجزائر وتونس.[1]

إذن عملت إدارة الاحتلال بالجزائر على تجنيد كل الموارد والإمكانيات المادية والبشرية لتحقيق هدفها والانتصار في الحرب، والمحافظة على الهدوء والاستقرار في مستعمراتها ومنها الجزائر [2]، وقد جندت فرنسا من الجزائريين المسلمين ما يزيد عن أربعمائة ألف (400.000) رجل لمواجهة ألمانيا، مات منهم في ميدان الحرب ما يزيد عن 80 ألف بالإضافة إلى تشغيل 80 ألف منهم في المعامل الحربية الفرنسية والمعامل المدنية.

ويشير العديد من الكتاب الفرنسيين أن جميع الطبقات الاجتماعية الجزائرية قد ساهمت في الحرب، سواء جماعة النخبة الذين انضموا إلى المشاة رغم قلة عددهم أو شباب الأسر الكبيرة الذين انضموا إلى فرق "القوم" أو الخيالة أو الرماة الذين كانوا خماسة أو عمال مزارعين أو حتى أبناء

---

(1)– *Raspail.(A),**Etude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie**, paris : librairie militaire R.chapelot et ce, 1910, p :05.*

(2)– ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص: 123.

الأسر البسيطة والذين ليس لهم مأوى أو مهنة دائمة من الذين شاركوا في الحرب لأسباب اقتصادية. [1]

وفي الوقت الذي اندلعت فيه (الح ع1) أسرع النقيب خالد للتطوع على الفور في وحدات المتطوعين الجزائريين في فرقة "القوم" الأمر الذي جعل فرنسا ترى في هذه المبادرة بامتنان وتقدير كبير. [2]

ومما سبق يمكننا القول أن الجزائر بثرواتها البشرية الشابة ومواردها الاقتصادية الهامة كانت دعامة من دعائم انتصار الحلفاء على دول المحور، ورغم أن الحرب لا تعنيهم إلا أن السيطرة الفرنسية عليهم أجبرتهم على المشاركة، واستمالت بفضل سياساتها الإغرائية والترهيبية في تجنيد أكبر عدد منهم ومنحت أوسمة تشريفية لعدد من الشخصيات مقابل خدماتهم لصالح فرنسا وبفضل هذه السياسة انضم إلى صفوف الجيش الفرنسي عام 1914م حوالي 15000 جندي متطوع، وتواصلت الجهود الفرنسية على نفس المنوال إلى غاية 1916م إذ أصبح في الإدارة العسكرية 27000 جندي متعاقد، ليزيد ذلك عام 1917م ويصل إلى 400.000 جندي إضافي، ثم إلى 120.000 جندي أواخر عام 1917م. [3]

إذن تلك هي أهم مميزات الوضع السياسي للجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى ومن خلاله علينا تبيان موقف الطرق الصوفية من هذه الأحداث خاصة وأن فرنسا عملت على الحصول على تأييدهم لها وحملهم على الإعلان على مساندتها والوقوف إلى جانبها ضد الدولة العثمانية وألمانيا

---

(1)- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..ج:02، المرجع السابق، ص:197.

(2)- بسام العسلي، **جهاد الشعب الجزائري-الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن الجزائر والإسلام**، بيروت: دار النفائس، 1984، ط:02، ص:107.

(3)- محمد صالح بجاوي، المرجع السابق،ص- ص: 141- 143.

مقدرة ما لهم من تأثير على الأهالي، وهو ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي لتوضيح موقف الطرق الصوفية من أطراف صراع (الح ع1).

ب/- موقف الطرق الصوفية من الحرب العالمية الأولى:

يبدوا أن الإدارة الاستعمارية كانت تدرك مدى خطورة وأهمية هذه الطرق وبالتالي عند اندلاع (الح ع1) لجأت فرنسا إلى زعماء هذه الطرق تطلب منهم الدعم المعنوي، ونصرة أتباعهم لها وكفهم عن الاستماع والتأثر بالدعاية العثمانية الألمانية، وبادرت سلطات الاحتلال بنشر مواقف الولاء والتأييد لها في الحرب ضد تركيا، طمعا منها في كسب تأييد الرأي العام الإسلامي وسعيا منها لإحداث قطيعة بينه وبين تركيا للحد من الشعور بالولاء للخلافة وخاصة التخفيف من فعالية فتوى شيخ الإسلام الداعية إلى إعلان الجهاد المقدس على فرنسا وحلفائها أعداء الأمة الإسلامية، لذلك نسبت لزعماء وشيوخ الطرق الصوفية التجانية والقادرية والطيبية نداءات ونصائح بضرورة نصرة فرنسا حامية الإسلام في هذه الحرب، وسنورد أمثلة من هذه الخطابات لكن قبل ذلك وما هو جدير بالذكر ما أشار إليه سعد الله أن الواقف على هذه النداءات يستشف من عباراتها أنها كتبت لدى إدارة الشؤون الأهلية وليس لزعماء الطرق الصوفية سوى التوقيع عليها وأن بعض هذه النداءات يتجاوز القدرة السياسية لزعماء الطرق الصوفية عندئذ. [1]

كانت الطريقة التجانية في طليعة هذه الطرق ولكرهها السابق للأتراك كان لها الموقف الحاسم في مناصرة ومؤازرة فرنسا في حربها، وكانت السباقة في دعوة الجزائريين للتجنيد دفاعا عن فرنسا وهو ما نستشفه من النداءات التي أصدرها شيوخها ووردت في مجلة العالم الإسلامي التي اهتمت

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص:243.

بنشر رسائل التأييد لفرنسا سواء من التجانيين أو غيرهم من الطرق الصوفية الأخرى وهـــا نحـــن نذكر بعض ما جاء فيها:

في سنة 1916م وفي خضم معارك (الح ع1) وتواجد الجزائريين والمغاربة فيها، قامت مجلـــة العالم الإسلامي (*Le Monde Musulman*) في عدد خاص بجمع باقات وقصـــائد شـــعرية لمجموعة من أعوان الاستعمار سمتها "تحية العلم" (*Le Salut du drapeau*) وهي عبارة عـــن شهادات تجدد الولاء والمساندة من طرف المسلمين الجزائريين لفرنسا في حربها، إذ اجتهد مفتـــون وأئمة وقضاة وأعيان وشيوخ زوايا وأساتذة من المدارس الفرنسية الإســـلامية في مـــدح العلـــم الفرنسي الذي كان بالأمس رمزا للصليبية والاحتلال! [1]

لقد رصدت لنا العديد من الكتابات المواقف المختلفة للطريقة التجانية عشية (الح ع1) ففـــي مجال التجنيد أظهرت هذه الكتابات المواقف الرسمية للطريقة والداعية لمؤازرة فرنسا وتشجيع تجنيد الشباب في سبيل ذلك، ووصفت هذه الكتابات الطريقة التجانية بالخضوع التام لإرادة المســـتعمر لكن حسب الباحث "الشيخ لعرج" من أن هذه الكتابات فيها من التحامل والمبالغة في اتهام هـــذه الطريقة بالولاء وحسب قوله من أن القائمين على هذه الطريقة وشؤونها يفندون هـــذا الإدعـــاء ويعتبرون ما جاء في هذه الكتابات هو محاولة منها لتشويه سمعة الطريقة وســـحبها للارتمـــاء في أحضان المستعمر. [2]

---

(1)- أنظر للعدد الخاص لهذه المجلة بمناسبة الحرب ع1

-*Collection de la revue du monde musulman, **Le Salut du drapeau**, Témoignages de loyalisme des Musulmans français-Algérie, paris : Ernest Leroux éditeur, 1916, p :176.*

(2)- شيخ لعرج، **موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2017/2016، ص:118.

إذن جاء في مجلة العالم الإسلامي وصية للشيخ محمد الكبير بن الشيخ محمد البشير التجاني مكتوبة بخط يده ووردت لها ترجمة بالفرنسية يُذكر فيها أتباعه في جميع أنحاء العالم بالحدث البارز آنذاك وهو قيام (الحرب ع1) ومثنياً على فرنسا ومعددا لبعض مزاياها على الجزائر والمغرب العربي بصفة عامة، من إقرار للحقوق وتثبيت للعدل..كما أبدى امتعاضه ودهشته من موقف تركيا وتبعيتها لإمبراطور ألمانيا، ويستذكر ما عاناه الجزائريون على أيديهم فترة حكمهم للجزائر ودعى إلى مساعدة فرنسا بتجنيد أبناء المسلمين في هذه الحرب لقتال أعداء الإسلام وختم رسالته هذه بالدعاء لفرنسا بالنصر. (1)

كما قام شيخ زاوية عين ماضي (الشيخ علي) بتوجيه نداء إلى أنصاره حثهم فيه على ذم تركيا لدخولها الحرب وذكرهم بما فعل الأتراك في الجزائر أثناء وجودهم بها، وطلب منهم معاداتهم لهم مستشهدا بحديث نسبه لرسول الله صل الله عليه وسلم: ﴿ أتركوا الترك ما تركوكم ﴾ ولا بأس من أن نتناول البعض مما جاء في هذا النداء:«..وأعلموا أيها الأحباب أننا لم نزل ولن نزل متعلقين بأذيال دولتنا الفرنسوية العظيمة صاحبة الفضل والفضائل شاكرين نعمها العظيمة ومزاياها الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى، فهي أمنا الحنونة ذات الرأفة والشفقة ويجب علينا معاشر المسلمين أن نحميها بنفوسنا وأموالنا وأولادنا على عدوتها ألمانيا وحليفتها النمسا وحليفتهما تركيا..». (2)

وعلى نفس المنوال وجه محمد بن محمد البشير شيخ زاوية تماسين نداءا لجميع مقدميه وأحباب طريقته، تحدث فيه عن ظلم ألمانيا وتعديها على الدولة الفرنسوية، وأن تركيا قد غلبت عليها دسائس ألمانيا وانجرت إلى الحرب إلى جانبهم، ومما جاء في كلامه:«..نحن عرب وهم (أتراك)

---

(1)– ***Les Musulmans français et la guerre adresses et témoignages de fidélité des chefs musulmans***, *in : Revue du monde musulmans, T :29, année 08- déc- 1914, publiée par maison scientifique du Maroc, paris : édit Ernest Leroux, p-p :196-198.*

(2)–*Ibid, p-p :190-192.*

وسلطانهم عجم..»، والترك أول من انتزع من العرب بلادهم ولذلك أوصانا أجدادنا بمعاداتهم..أما دولتنا العزيزة الفرنسوية فقد كثرت علينا من نعمها وسقتنا ماء عدلها..فكيف لا نكون متمسكين بأذيال رايتها التي هي عنوان عن الحرية والأخوة والمساواة، فإن عدوها إنما هو عدو لنا..». (1)

كما وجه محمود بن محمد البشير لأحباب الطريقة التجانية أينما كانوا نداءا عبارة عن رسالة كان شعارها أن الدولة التركية قد خرجت من دائرة الإسلام والمسلمين معا، واستفتح هذا بدعاء طويل للدولة الفرنسوية التي زرعت حسبه في هذه البلاد الجزائرية بشائر الخير وعاش المسلمون أحسن عيش في ظل رايتها..وراح يذم كلا من تركيا وألمانيا ويدعوا عليهما بالدمار والخراب وختم رسالته بقوله: «..أما نحن فمسلكنا بين فإننا ندافع عن دولتنا الفرنسوية العزيزة إلى آخر رمق، ونقاتل أعدائها حيثما كانوا وكيفما كانوا..وإننا نحبكم يا معشر الأحباب أن تكونوا من ذوي البصائر والعبرة الذين يميزون بين الخبيث والطيب والغث والسمين..». (2)

ونفس التوجه سلكه محمد العروسي نجل محمد الصغير التماسيني شيخ زاوية "قمار" بتوجيه نداء هو الآخر إلى كل المقاديم وأنصار الطريقة التجانية وبنفس الأفكار بدأ ندائه باستنكار دخول تركيا الحرب ضد فرنسا، وركز على ضرورة التمسك بمودة فرنسا مع طلب الاستعداد لبذل المال والنفس للدفاع عنها، ومما جاء في ندائه قوله:«..أما نحن فلا نفرط في محبة فرنسا العظيمة ولا في إعانتها على أعدائها بأولادنا، يدخلون في جيوشها يقاتلون العدو مع إخوانهم الفرنسيين ونحن كلنا مستعدون برجالنا وأموالنا وكل عزيز لدينا للزحف على العدو إن دعتنا فرنسا لذلك فارحين

(1)–*Musulmans français et la guerre…Op, cit, p :211.*

(2)–*Ibid, p-p :190-192.*

باغتنام الفرصة لمجازاتها بالخير على إحسانها الفائض علينا منذ القديم إلى يومنا هذا..وإننا نوصيكم أيها الأحباب بالإقتداء بنا ولا شك أنكم تفوزون بالخير في الدارين ببركة الغوث التجاني..». [1]

ونختم سلسلة نداءات وخطابات الطريقة التجانية بنداء محمد البشير نجل محمد التماسيني شيخ زاوية تماسين وجهه إلى المقدمين وأحباب الطريقة التجانية في نفس سياق الخطابات السابقة تحدث فيه عن ألمانيا وتعدياتها على فرنسا واعتبر الأتراك قد انخدعوا بدخولهم الحرب إلى جانب ألمانيا وذمهم، ووضح في ندائه موقف التجانين قائلا: «..ونحن لا نعرف دولة غير دولة فرنسا فإننا نخدمها بالقلب والقالب منذ استيلائها على هذا الوطن..». [2]

ومن باب الإنصاف التاريخي والموضوعية أن هذه المواقف التي أدرجناها لم تنفرد بها الطريقة التجانية وحدها، وإنما تدخل في سياق الفترة التاريخية التي عمل بها المستعمر على استخدام واستغلال كل أبناء الشعب الجزائري، وأن هذه المواقف لم تشمل الطريقة التجانية وحدها بل حتى شيوخ الطرق الصوفية الأخرى الذين قاموا بمساندة فرنسا في حربها، ودعت إلى تجنيد الجزائريين للدفاع عنها واعتبروه ردا لجميل فرنسا وأفضالها[3]، ولهذا سندرج البعض من هذه المواقف والتي وردت هي الأخرى في مجلة العالم الإسلامي، والتي كما أسلفنا اهتمت أعدادها خلال هذه الفترة بجمع نداءات شيوخ الطرق الصوفية وهي كالآتي:

– أن الطريقة القادرية ورغم طبيعة علاقاتها مع فرنسا منذ بداية الاحتلال والتي تميزت بعدم الثقة بين الطرفين، والتي كانت سلطات الاحتلال تنظر إليها على أنها مصدر قلق أكثر من الطرق الصوفية الأخرى.

---

(1)–*Musulmans français et la guerre…Op, cit, p :212.*

(2)–*Ibid, p :208.*

(3)– شيخ لعرج، المرجع السابق، ص:122.

لكن عند اندلاع (الحرب ع1) نجد هذه المواقف قد تغيرت واتبعت نفس مواقف الطرق الصوفية في الجزائر، فنجد مثلا الشيخ "الهاشمي بن ابراهيم"[1] عند إعلان (الحرب ع1) قد وجه نداءا إلى كافة إخوان طريقته للوقوف إلى جانب فرنسا، ويبشرهم بانتصارها وانكسار ألمانيا..وحكم بلادة الأتراك لأنهم ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة ولا علم لهم بكتاب الله عزوجل حيث قال:«..إن إخوان الطريقة لا يفرطون في خدمة دولتنا الفرنساوية العزيزة..»، والملاحظ من أن هذه العبارات واردة حرفيا في كل نداءات الطرق الصوفية وكأن كاتبها واحد.[2]

كما أظهرت الأبحاث أن "الهاشمي" قد استطاع أن يجند كثيرا من أتباع طريقته خلال (الحرب ع1)، لكن للإشارة أن مثل هذه المواقف لا تمثل كل فروع القادرية، وما هو جدير بالذكر أن نشير إلى رأي للباحث أحميدة عميراوي الذي يقول:" إن هؤلاء (يقصد زعماء الطرق الصوفية) ومنهم الهاشمي الشريف كان لهم بعد نظر أدركوا من خلاله أن الوقوف بجانب فرنسا ليس حبا في فرنسا أو خيانة للشعب الجزائري كما يحلوا للبعض أن يقول هذا..إنما هو إستراتجية لصالح الجزائر لأن الغلبة في النهاية ستكون لفرنسا وهو الأمر الذي دفع بأمثال الهاشمي الشريف إلى توجيه نداء قبل نهاية الحرب إلى إخوانه يبشرهم فيه بانتصارات فرنسا، وهو الرأي الذي يبين أن صاحبه كان ذا قدرة فائقة ودراية كافية بنتائج الأمور قلما وجدناه في تنبؤات المفكرين المعاصرين، وهذه المواقف ما هي إلا إستراتجية لصالح الجزائر أي لربح الوقت ولتوسيع نفوذ القادرية وللحصول على الأموال الكافية لتعليم أبنائها ولمنع فرنسا من محاربتهم أو توجيه تهمة الزندقة لهم أو أي نوع من

(1)- الهاشمي الشريف بن ابراهيم، ولد بنفطة بتونس سنة 1853م والده الطريقة على منطقة الجريد التونسي وعند كبره أسس زاوية قادرية بالوادي وبقي مناضلا إلى وفاته سنة 1923م بمدينة البياضة ولاية الوادي..أنظر: أحميدة عميراوي **القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية**، مجلة المصادر، ع:08، ماي 2003، ص:186.

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص:54.

التهم وهو من السهل عليها، وبالتالي لتجنب خسائر مادية وبشرية هم في غنى عنها وهو ما حصل فعلا" [1]، ومواصلة منا في تتبع مواقف الطرق الصوفية من (الح ع1) نذكر مايلي:

– نداء شيخ زاوية قصر البخاري الشاذلية التي تعتبر الزاوية الرئيسية لهذه الطريقة يطلب من أتباعه أن يطيعوا الفرنسيين لأنهم أولوا الأمر الذين نصت عليهم الآية، وعلى الجزائريين الإخلاص لها "قلبا وقالبا" وذكر بمزايا الفرنسيين على الجزائر إذ يقول: «..وشيدت لنا المساجد وفتحت لنا المدارس وبنت لنا المستشفيات ..بينما كانت قبل ذلك (الجزائر) غنيمة في يد الأتراك حيث ارتكبوا فيها الفضائع الكبرى..وأخبرهم أن دولة الترك الآن هي بأيدي الأوباش..واعتبر فرنسا هي دولتنا المحبوبة..». [2]

– نداء السيد "المختار بن الحاج محمد" شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية الهامل قدم فيه نفس الدعوة للقتال إلى جانب فرنسا. [3]

– نداء شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية طولقة "عمر علي بن عثمان" والذي دعى فيه لمساعدة فرنسا والدفاع عنها بإرسال الشباب إلى جبهات القتال. [4]

– نداء السيد "محمد الصغير بن الشيخ المختار" شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية أولاد جلال، أثنى فيه على فرنسا وذم ألمانيا وتركيا ودعى للقتال في صفوف القوات الفرنسية كأقل ما يرد به الجزائريون جميل فرنسا. [5]

---

(1)– أحميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص:192.

(2)– *Les Musulmans français et la guerre…Op, cit, p-p : 246-248. (déc-1914)*

(3)– *Ibid, p :216.*

(4)–*Ibid, p :222.*

(5)–*Ibid, p :226.*

– نداء ممثل الطريقة الطيبية في وهران الشيخ "أحمد بن الحسين بن إبراهيم الشريفي" إلى أتباعه حثهم فيه على حب فرنسا وقال: «..إن الله قد وضع غشاوة على عيني تركيا، واعتبر الأتراك لئاماً لأنهم أنكروا خير فرنسا عليهم و(اللئيم لا يربح) ودعى على ألمانيا بالدمار وعلى فرنسا بالانتصار..». (1)

– نداء "أحمد بن الحسين الوزان" إلى مقاديم وإخوان الطريقة الطيبية يسأل الله فيه أن يطيل بقاء فرنسا في الجزائر ويدعوا لها بالنصر.. (2)

إذن يتضح لنا أن مواقف الطرق الصوفية قد تشابهت نداءاتها في دعم فرنسا عشية (الح ع 1) ووقفوا في خندق واحد ضد تهور تركيا وانحيازها لألمانيا، والجدير بالذكر أن هذه المواقف للطرق الصوفية كان يمثلها زعماء وشيوخ زوايا فرعية قد لا تتفق في هذا التوجه، غير أن الاستثناء الوحيد في هذه المواقف هو الطريقة التجانية التي كانت نداءاتها صادرة من جهات رسمية تمثل الموقف العام للطريقة التجانية الصادر من زاوية عين ماضي وزاوية تماسين، وهذا الموقف لا يعكس حال مواقف الكثير من مقاديم الطريقة التجانية ومريديها وزواياها الفرعية الذين كانت مواقفهم قد لا تتوافق مع المواقف الرسمية للطريقة. (3)

وعلى كل فإن هذه المواقف الناتجة من لدن الطرق الصوفية كانت نتاجا عن سياسة الاحتواء التي استعملتها الإدارة الاستعمارية من خلال تحديد دقيق لتلك المؤسسات الدينية وكسب ثقتها والوصول إلى توظيفها لمواجهة التطورات الجديدة آنذاك(4)، ورغم أن هذه الإدارة الاستعمارية قد

---

(1)–*Les Musulmans français et la guerre…Op, cit, p :234.*

(2)–*Ibid, p :236.*

(3)- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص:122.

(4)- أحمد دركوش ، المرجع السابق، ص:112.

استطاعت أن تدفع بالعديد من هؤلاء الشيوخ وزواياهم إلى إعلان دعمها في حربها ضد ألمانيا والدولة العثمانية، غير أن نداءات هؤلاء الشيوخ لم تكن كلها مسموعة لدى عامة الناس في أنحاء البلاد، فقد شهدت منطقة الأوراس انتفاضة عام 1916م وظلت المنطقة محاصرة ومعزولة طيلة فترة الحرب، وبذلك أظهر الجزائريون أنهم غير مستعدين للدفاع عن فرنسا ولا الاعتراف بجميلها وأفضالها عليهم كما صورها لهم بعض شيوخ الطرق والزوايا آنذاك. [1]

2/- تجاه سياسة التنصير:

بدأت السياسة التنصيرية[2] الاستعمارية في الجزائر منذ الأشهر الأولى من الاحتلال حيث أصدرت السلطة السياسية قرارات لحجز الأوقاف الإسلامية وضمها لأملاك الدولة الاستعمارية كما همت إلى تحويل العديد من أماكن العبادة من مساجد وزوايا ومدارس قرآنية إلى كنائس أو إلى مراكز طبية أو إدارية أو إلى ثكنات أو مخازن واسطبلات، وهدم بعضها الآخر..الخ، وقد كان كل ذلك من أجل هدف رئيسي واحد وهو محو آثار التراث الإسلامي في الجزائر.

---

(1)- رياض بودلاعة، **موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسنطينة: جامعة عبد الحميد مهري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018/2017، ص: 67.

(2)- كلمة التنصير *(mission)* تعني إرسالية تنصيرية وكلمة *missionnaire* تعني منصرين إرسالية، وهو حمل الناس بصورة أو أخرى أفراد أو جماعات من عقيدة غير النصرانية سواء كانت إسلامية أو وثنية أو غيرها إلى العقيدة النصرانية وبما أن المصطلح يعبر عن مضمونه بصراحة تم استبداله بمصطلح التبشير الذي أصبح مصطلح أكثر تداولا كتابيا وإعلاميا وحضاريا..أنظر: أحميدة عميراوي وسليم زاوية ومحمد السعيد قاصري، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916**، الجزائر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2004، ص: 115.

كانت فرنسا تخشى من الدين الإسلامي أن يقف في وجهها ويمنعها من تحقيق أهدافها ومطامعها، ولقد جاء هذا صريحا من طرف بعض السياسيين وذلك أثناء تبريرهم سبب الحملة التي تشن على الدين الإسلامي في قولهم من أن فرنسا تخشى من تعاليم هذا الدين ودروسه وعظاته، مما يملأ في نفوس الأفراد والجماعات وبالتالي تستيقظ هذه الروح النائمة فتهدد كيان وجودها في الجزائر. (1)

إذن أدرك المنصرون أن الإسلام بالنسبة للجزائريين أكثر من مجرد ديانة فهو عبارة عن نظام حياة ذي أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وروحية تجذرت في هذه البلاد منذ قرون طويلة جدا، وعليه كان لزاما أن يحدثوا تغييرات جذرية على كل المستويات ومن كل الجوانب وبناءا على هذه المخاوف فقد لجأت إلى عدة وسائل واتبعت الكثير من السياسات التي تهدف من ورائها إلى تحطيم الدين الإسلامي في الجزائر، ومسخ هوية الجزائريين وتحويلهم عن دينهم كليا فلا يبق لهم أي كيان أو شخصية يتميزون بها، وقد جاءت بنية صريحة لا لبس فيها وهو ما تجلى في دور الكنيسة التي سارت في ركاب الاحتلال وتلاحمت معه جسدا وروحا. (2)

وهكذا بدأ الفرنسيون أولا بمحاولة محو المظاهر الدينية للشعب الجزائري والقضاء تماما على الطابع الإسلامي للجزائر، وقد اعتمدوا في ذلك على أسلوب التنصير غير المباشر الذي يقوم على عرقلة مختلف النشاطات الإسلامية، وتجفيف منابعها وتحويل وهدم أماكن العبادة الخاصة بها من جهة وتشجيع النشاطات التنصيرية وإقامة الكنائس من جهة أخرى، لتتجلى هذه السياسة على

(1)- أحمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، الجزائر: م.و.ك، 1985، ص: 48.

(2)- بسام العسلي، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، بيروت: دار النفائس، 1983، ط: 02، ص: 43.

الميدان بقول الكاردينال "لافيجري" (*Cardinal Lavigerie*)[1]: «..علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي نشأ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر..». [2]

وبالفعل تم توجيه نشاط التنصير وتركيزه على تمسيح الوسط قبل تمسيح الروح، وذلك عن طريق المحو الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية لشعب ما، وأحسن صورة لذلك ما حدث في الجزائر متجسدا في غلق الزوايا بحجة أنها محرضة على الثورة، وتم نفي رجال الدين وإبطال شرعية المواسم الإسلامية وإخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي، وإرغام الأئمة على إلقاء الخطب يوم الجمعة بما يرضي الإدارة الاستعمارية [3]، ولقد صدرت هذه السلوكيات من طرف الفرنسيين عامة، سواء كانوا رجال دين أو سياسين أو رجال الحرب..وهم يطمحون في القضاء على الطابع الإسلامي للجزائر تمهيدا لإرجاعها إلى كنف النصرانية.

ولتحقيق هذه الإستراتجية سلكت الإدارة الاستعمارية إستراتجية واضحة يلخصها الباحث إبراهيم لونيسي في النقاط التالية:

---

(1)- هو شارل انطوان مارسيل لافيجري، ولد سنة 1825م إلتحق بمعهد الدعاية التبشيرية ثم المدرسة الإكلركية الصغرى للدراسات الأسقفية، إلتقى بالأمير عبد القادر في الشام سنة 1860م، عين سنة 1876م مطرانا على أسقفية الجزائر ثم ترقى إلى رتبة كاردينال سنة 1882م، مات في 26 نوفمبر 1892م بالجزائر..أنظر:

-*Baurnard (M),**Le cardinal Lavigerie**, paris : librairie paussielue, 1898, pp :6,7.*

(2)- بسام العسلي، المرجع السابق، ص: 45.

(3)- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص: 31.

– لتحقيق عملية التنصير في الجزائر لابد على المبشرين تعلم اللغة العربية واللـــهجات المحليـــة المختلفة ليتحدثوا مع الجزائريين بلغتهم، وقاموا حتى بترجمة نصوص من الإنجيل إلى اللغة العربيـــة والقبائلية.

– اللباس استوحوه (شبيه) من لباس المسلمين في الجزائر.

– عدم التحدث مع الجزائريين مباشرة عن الديانة المسيحية وإنما يقتصر ذلك في البداية علـــى بعض القضايا التي يمكن أن يتقبلها الإنسان الجزائري.

– وللوصول إلى المرأة الجزائرية كونت مجموعة من الراهبات للقيام بهذه المهمة. [1]

وهكذا فإن التبشير في الجزائر لم يقف عند هذا الحد الذي عرضناه بل تطور تطـــورا كـــبيرا عندما لقي أضعاف الدعم والعناية والاهتمام من لدن الحكام العامين الفرنسيين الحاقـــدين علـــى الإسلام والعروبة أمثال "دوقيدون" (*Degueydon*).[2]

ورغم أن فرنسا دولة لائكية كما ينص دستورها إلا أنها رفضت تطبيق مرسوم فصل الـــدين الدين الإسلامي عن الدولة وحده فقط، بحيث بقيت شؤونها من اختصاص الحاكم الفرنسي العام في الجزائر بالرغم من إلحاح الجزائريين على تطبيق مرسوم 1907م على الإسلام مثل المســـيحية واليهودية. [3]

ومن أجل إنجاح العملية التبشيرية سلكت الإدارة الاستعمارية الإجراءات التالية:

---

(1)- إبراهيم لونيسي، **بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي**، الجزائر: دار هومـــة للطباعـــة والنشر والتوزيع، 2013، ص، ص: 228، 229.

(2)- محمد الحمري، المرجع السابق، ص: 80.

(3)- رابح تركي، المرجع السابق، ص: 109.

- مراقبة المدارس الدينية.

- منع إعطاء رخص السفر إلى البقاع المقدسة للجزائريين للقيام بفريضة الحج حيث أثبتت التجارب أنهم يرجعون أكثر تعصبا وأقل قابلية للخضوع للسيطرة الاستعمارية. (1)

- إعادة تنظيم المدارس الإسلامية لإعطائها الطابع الفرنسي المحض.

- عدم التسامح مع تعليم القرآن.

- مراقبة المدارس وإعطاء المدرسين رخص التنقل.

- عدم السماح بفتح مدرسة قرآنية دون أخذ موافقة حاكم المقاطعة أو رئيس البلدية. (2)

وهكذا تبلورت السياسة الدينية للإدارة الفرنسية التي تقوم على تنصير المسلمين الجزائريين والعمل على إخراجهم من الإسلام أو إعطائهم مفاهيم إسلامية خاطئة عن طريق شيوخ الطرق الصوفية والزوايا التي ابتعدت عن المنهج الحقيقي للدين الإسلامي، وأحيانا محاربة الدين الإسلامي بطريقة مباشرة كغلق المساجد أو تحويلها إلى كنائس أو ثكنات للجند. (3)

كما قام الاستعمار بمحاربة الأئمة وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية وتم وضع حد لنشاطهم الديني والثقافي، وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة، ونفي الكثير منهم وطردوا إلى مناطق نائية، وأرغم البعض منهم على العمل مع الشرطة الفرنسية كجواسيس على الجزائريين، وتم إغلاق الكثير من الزوايا التي كانت تنشط وتقوم بتوعية المجتمع الجزائري، ووجهت لها جهود

---

(1)– *Ageron ,**histoire de l'Algérie contemporaine**... Op,cit, p :301.*

(2)–*Ibid, p :308.*

(3)– سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867–1892**، الجزائر: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص: 268.

كبيرة من (علماء النفس والأنتروبولوجيا والأديان واللغات..الخ) وذلك من أجل تحييد هذه الطرق بوسائل عديدة منها الوعد والوعيد وشراء الذمم وتولية الوظائف الدنيوية، لتتراجع بعض هذه الطرق عن دورها وتصبح خاضعة إراديا أحيانا وغير إراديا أحيانا أخرى وتسير في ركاب الاستعمار، ولعل أبرز ظاهرة ميزتها كما أسلفنا سابقا خلال هذه الفترة من القرن العشرين هو اختفاء روح الجهاد عند هذه الطرق التي أصبحت في الواقع أدوات لتنفيذ أوامر ورغبات الاستعمار لتحييد الشعب وتأييد السياسة الاستعمارية. (1)

ومما لاشك فيه أن الأمة التي تضرب في فكرها وتصورها يصبح محكوما عليها بالفناء والزوال والاستعمار الفرنسي لم يستغني عن هذا الطرح القاتل للذاتية الجزائرية، وذلك بعد إفساد عقلها ومنابع التطور عندها، ومن ذلك فقد شجع الطرق الصوفية المبتدعة لإفساد عقيدة الجزائريين وتكسير البنية الدينية وغرس الذهنيات كالدروشة وتشجيع الاعتقاد دون الانتقاد، حتى أصبح لكل شيخ مورده المفضل وزاويته المزارة (2)، وقد التقت طائفة من المرتزقة حول الأضرحة يدعونها ويرجعون الأباطيل حول أصحابها.

هذا و لم تكتفي الإدارة الاستعمارية ومن ورائها المبشرون المسيحيون بما فعلوه من اعتداءات على الإسلام وأوقافه ومساجده في الجزائر وفي العمل على تنصير الجزائريين بالطرق الاعتيادية بل ابتكروا خطة شيطانية أخرى، كمنفذ آخر لتنصير الجزائريين لازالت تعاني من آثاره بلادنا حتى الساعة وهو محاولتهم فصل المناطق التي لازالت تتحدث باللهجة البربرية عن بقية الوطن بدعوى أن الجزائر مكونة من عنصرين العرب والبربر (الأمازيغ) فزعمت بأن هؤلاء الأمازيغ لم يبلغ الإسلام إلى قلوبهم وهم أميل إلى التحاكم إلى أعرافهم بدلا من الأحكام الإسلامية، ومن هذا

(1)- سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**..ج:02، 1981، المرجع السابق، ص: 18.

(2)- محمد الحمري، المرجع السابق، ص: 86.

المنطق جاء قرارها بإلغاء المحاكم الإسلامية في القبائل واستبداله بالجماعات القضائية، وكل هذا من أجل إثارة الفتنة بين الجزائريين لتمزيق وحدتهم التي صنعها الإسلام. [1]

وبهذه الطرق كما رأينا كانت فرنسا تسعى إلى جذب عدد من الجزائريين لإخراجهم من الإسلام وتنصيرهم و لم تكن فرنسا لتستسلم وفي مخططاتها إذ لم ينجح دعاة التبشير في إقناع المسلمين بتبديل دينهم فلا ضير من صرفهم عن إسلامهم والعمل على تشويهه بالخرافات والبدع والاستعانة بالجهال والدجالين في هذا المجال.

3/- تجاه سياسة التجنيس والإدماج:

هذه السياسة تهدف إلى تحويل المجتمع الجزائري تحويلا كليا يجعله يخدم مصالح المستعمر وقد أعتبر الإدماج[2] من القضايا الشائكة التي طرحت خلال العهد الاستعماري، وذلك لما يحمله من اعتراضات وتناقضات، وكذا إلى ما واجهته من عقبات عديدة منعت تطبيقه على نطاق واسع فقد عمدت الإدارة الاستعمارية منذ البداية إلى سن قوانين استهدفت منها تحقيق هذه الغاية ومنها قانون الإدماج الذي صدر في 22 جويلية 1834م الذي ينص على أن الجزائر هي الجزء الجنوبي من فرنسا ليصدر الدستور الفرنسي نصوصا مبكرة يعتبر فيها الجزائر مقاطعة من الجمهورية

---

(1)- رابح تركي، المرجع السابق، ص: 68.

(2)- الإدماج (*Assimilation*)، هو التماثل بين المستعمرة ودولة الأصل في نظام الحكم والتسوية بينهما، حيث يرتكز مذهب الإدماج على فكرة مفادها أن إقليم ما وراء البحار ليس إلا امتداد لدولة الأصل، فيجب إذن أن يوضع تحت نفس النظام هناك، أو على الأقل تحت نظام مقارب له ما أمكن ذلك، وأن سكان الدولة الذين في الجانب الآخر من البحر يجب ألا تكون حقوقهم وضماناتهم أقل من حقوق وضمانات أولئك الذين يعيشون في الجزء الأقدم من الدولة..أنظر: عثمان زقب، المرجع السابق، ص: 330.

الفرنسية، وبناءا على هذا القانون فقد أمطرت باريس من القرارات على الجزائر ما من شأنه دمج شؤونها في مختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس. (1)

ومن هنا جسدت فرنسا فكرة الإدماج الإداري منذ 1845م فقد جاء في قرار 1845/04/18م القاضي بتقسيم الجزائر إلى ثلاث عمالات: قسنطينة، الجزائر، وهران تضم الأقاليم المدنية وتخضع لنفس النظام المعمول به بفرنسا، وفي شهر مارس 1847م أنشئت مديرية الشؤون المدنية في كل عمالة..الخ. (2)

إذن فالإدماج هو تطبيق التشريعات الصادرة عن المشرع المركزي بقوة القانون أي إخضاع المستعمرات المدمجة إلى القانون الذي يسير دولة المركز. (3)

ويترتب عن هذا دمج الجزائر في فرنسا عن طريق ربطها سياسيا وإداريا وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في الشخصية القومية الفرنسية، باعتبارها الشخصية المسيطرة عليهم سياسيا والمتحكمة فيهم إداريا وعسكريا، وبذلك يتم القضاء على شخصيتهم الإسلامية تدريجيا حتى تذوب نهائيا في الشخصية الفرنسية في نهاية المطاف. (4)

وفي نفس السياق يقول الباحث "رابح تركي" أن الإدماج المطبق في الجزائر يهدف إلى (إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام وبذلك لن تقوم للجزائر قائمة كجزء من العالم

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ط: 01، ج: 04 ص:90.

(2) –*Collot Claude*, ***Les Institution Algériennes les période coloniale***, *Alger :O.P.U,1977 p : 22.*

(3)- عثمان زقب، المرجع السابق، ص: 330.

(4)- رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ط:2، ص: 112.

الإسلامي، بعد أن ينسلخ الجزائريون من دينهم ولغتهم وجنسيتهم وبالتالي من حضارتهم الإسلامية ويجتثوا منها اجتثاثا كما وقع للعرب المسلمين في الأندلس منذ قرون). [1]

وبعد مضي 12 سنة من عمر الاحتلال اقتنع القائمون على أمور المستعمرة أن مجابهة كل ثورة أو قمعها بالآلة العسكرية غير كاف وستبقى الثورات ما بقي الاحتلال، ووقفت إدارة الاحتلال عن ما كانت تجهله من دور الزوايا والطرق الصوفية في مضاعفة روح المقاومة لدى الشعب الجزائري، فتفطنت لذلك وحاولت أن تستدرك الأمر فاعتمدت على وسيلة تسعى من خلالها إلى دمج الأهالي في الحظيرة الفرنسية ولغتها ليسهل عليها إدماجهم والتقليل من كره الأهالي للاحتلال، فكانت المدرسة هي الآلية التي تعمل على تحقيق هذه الإستراتجية فهي وسيلة لإخضاع هذه المستعمرة الثآئرة. [2]

وتعني فكرة الإدماج كذلك تخلي الأهالي عن دينهم الإسلامي ولغتهم مع الاحتفاظ بنمط معيشته وملبسه، ومن رواد هذا التوجه الإمبراطور "نابليون الثالث" الذي لم يخف الغاية التي يسعى إليها وهي تفكيك المجتمع الأهلي وإدماجه، فعمل على إضعاف سلطة القادة وتفكيك القبيلة فقد كتب "جيروم نابليون" سنة 1858م مايلي: «..نحن أمام قومية مسلحة وصلبة يجب إخمادها بالدمج..». [3]

---

(1)- رابح تركي، **التعليم القومي**.. المرجع السابق، ص: 112.

(2)- رابح دبي، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962 (دراسة نظرية تحليلية)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، 2011/2010، ص: 140.

(3)- شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص: 52.

ولتكريس هذه السياسة تم إصدار مرسوم 14 جويلية 1865م الذي يقضي بأن المسلم هو فرنسي مساوي للفرنسيين ..وأن يصلوا إلى الوظائف المدنية والعسكرية وأن ينالوا التجنيس بناءا على طلبهم.. [1]، وهكذا سعى الاحتلال جاهدا على طمس قيم المجتمع الإسلامي وطمس هويته ومحو الشخصية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار.

وحول نفس الفكرة كتب أحد منظري الاستعمار الفرنسي في الجزائر تقريرا "لنابليون الثالث" يقول فيه: «..نعرقل قدر الإمكان تطور المدرسة العربية والزوايا، وبكلمة واحدة يجب أن نعمل على إحباط الأهالي ثقافيا وماديا..إن المدارس والدين سينموان تحت حماية فرنسا ولصالحها..».[2]

وهكذا تم إيجاد تعليم بديل يتم بتأسيس مدارس عربية فرنسية يسهل من ورائها إفراغ تلاميذ من معتقداتهم وقيمهم وتحويلهم إلى جزائريين بالاسم وفرنسيين بالروح، ورغم هذا فإن فرنسا في سياستها التي ترمي إليها نجحت في التأثير على فئة من الجزائريين من أبناء الإقطاعيين.. [3]، لتشكل طبقة من المثقفين مقطوعة عن بقية الجماهير الشعبية، متنكرة للتقاليد مصابة بما يسميه "جول غوتي" (*Jules gouté*) –البوفارية العقائدية– وهو نوع من التبعية الفكرية يتقمصون شخصية الأجنبي[4]، لتكون هذه الفئة ضحية الاستلاب النفسي الرهيب الذي مارسته السلطة الاستعمارية التي عمقت هذا الفكر الممسوخ وطعمته مستغلة في ذلك انكماش وتراجع الفكر الوطني الأصيل، لتعمل على إدماج هذه النخبة التي تم اختيارها لتذوب في المجتمع الفرنسي على أن

---

(1)–شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص:62.

(2) –*Turin Yvonne,* ***Affrontements culturels dans l'Algérie****...Op, cit, p :218.*

(3)– مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع** ...المرجع السابق، ص: 414.

(4)– مصطفى زايد، **التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي**، الجزائر: د.م.ج، 1982، ص:109.

يتم ذلك وفق سياسة ممنهجة تتوافق وقدرة المجتمع الفرنسي على هضم هذا التحول دون أن يحدث أي اختلال في السلم الطبقي للمجتمع وتوازناته الداخلية.[1]

إذن تجسدت فكرة الإدماج بفرنسة التعليم كليا وإضعاف روح الإسلام بمحاربة اللغة العربية وتم ضرب أهم مكون للشخصية الجزائرية وهو القضاء الإسلامي، الذي بقي حائلا أمام سياسة الإدماج، لتعمل إدارة الاحتلال على العمل لتحديد صلاحياته وتدجين مؤسساته الإدارية وتقليص مهامه وإخضاعه لتوجيه ومراقبة الإدارة، وتم تخفيض المجالس الاستشارية ومحاكم القضاء الشرعي إبتداءا من سنة 1890م وأجبر الأهالي على التقاضي في المحاكم الفرنسية وهي خطوة أساسية وأولية لتحقيق هدف الإدماج. [2]

وهكذا فإن السياسة الفرنسية تجاه القضاء الإسلامي كانت متكاملة مع السياسة التعليمية ومشاريع نشر المسيحية وقمع الوعي الوطني، وكانت تهدف من ورائها إلى هدم الإسلام في دياره وتحييده من معركة الصراع، باعتباره أساس الشخصية الجزائرية وتقويض أركانه الاجتماعية ليسهل دمج هذا الشعب وإلغاء كيانه الحضاري.

ومن خلال ما سبق سيظهر في فترة تاريخية خيم فيها الجهل على المسلمين الجزائريين بسبب هذه السياسة الاستعمارية تيار اندماجي من النخبة التي تعلمت في المدارس الفرنسية وتخرجت من المعاهد والجامعات في فرنسا لترجع إلى الجزائر للدفاع عن حقوق المجتمع المسلم الجزائري والمطالبة

---

(1)- رابح دبي، المرجع السابق، ص: 142.

(2)- شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص: 105.

بإدماجه في المجتمع الفرنسي ومنح الجنسية الفرنسية له، وقد بلغ عدد هذه الفئة إلى غاية 1911م حوالي 450 مثقف من أصل خمسة ملايين من الأهالي الجزائريين. [1]

هذا التيار انقسم إلى اتجاهين أحدهما يطالب بدمج الثقافة الإسلامية بالثقافة الغربية، وتيار آخر يطالب بدمج الجزائريين في الثقافة الغربية[2]، وهذا التيار الاندماجي يلتقي مع التيار الإصلاحي في نقده للطرق الصوفية وما يبثه شيوخ الزوايا في مريديهم وعامة الشعب[3]، وقد عمل هذا التيار على التنديد بالانحراف الذي شهدته الزوايا وحمل الإدارة الاستعمارية المسؤولية بخصوص هذه التجاوزات التي كانت تقترفها هذه الزوايا. [4]

إن تغير الواقع الثقافي للجزائريين وترتيبه يبدأ من إصلاحات سياسية تسمح للأهالي بتمثيل أنفسهم تمثيل فعلي في المجالس النيابية، وفي توزيع الميزانية خاصة فيما يتعلق بالتعليم وإنشاء المدارس الأهلية، وقد طالب هذا التيار سنة 1912م مقابل الخدمة الوطنية للجزائريين مايلي:

- رفع عدد المندوبين من الأهالي في المجالس الجزائرية إلى خمس أعضائها.
- توسيع الهيئة الانتخابية لضمان فعالية وجدية الاقتراع.
- منح حق المشاركة في انتخاب شيوخ البلدية ونوابهم من أعضاء المجالس البلدية من الأهالي.

---

(1)- عبد الحميد عومري، **الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث *LMD* في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية-تخصص تاريخ- 2017/2016، ص:317.

(2)- محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين -تاريخ الجزائر 1830-1954**، تر: محمد المعراجي، الجزائر: منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، 2008، ص:237.

(3)- عبد الحميد عومري، المرجع السابق، ص: 318.

(4)- شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007، ج: 02، ص: 488.

- يعطى الحق لكل من أدى الخدمة العسكرية سواء عن طريق الاستدعاء أو التطوع في الحصول على المواطنة الفرنسية بمجرد تقديم طلب عادي وبدون الخضوع للإجراءات المعمول بها. (1)

ويتضح من خلال هذا المطلب الأخير على رغبة التيار الاندماجي في تسهيل عملية تجنيس الجزائريين رغم أن قرار التجنيس بالتخلي عن الأحوال الشخصية قرار صعب وجريء، حيث يقول في هذا الصدد الشريف بن حبيلس: «..إن التجنيس الذي أقدمت عليه هذه النخبة هو عمل شجاع لأنه يواجه مشكلة دينية..مما يثبط المتجنسين كثيرا بصنوف من العوائق وعلى رأسها عائلاتهم التي تتنكر لهم..». (2)

لقد مُس الجزائريون على غرار المغاربة في إسلامهم وهذا ما يبرر تمسكهم العميق والمتواصل بكل ما يعتبر مقوما من مقومات انتمائهم الديني والحضاري، وهذا ما يؤكد ذلك التداخل والتكامل بين العروبة والإسلام بهذه المنطقة، فالدفاع عن الهوية الذي يعني بشكل آخر الدعوة إلى صياغة الإسلام ومكوناته سيصبح في صلب الشروط المفرزة للنخب المغاربية القائدة للعمل السياسي ولما لا القائدة في العمل الديني، كما سيتصدر الأولويات المؤطرة لخطاب حركتها الوطنية فأصبح العمل الديني يتشكل في تفكير النخب المغاربية حول الدفاع عن الهوية ومقوماتها. (3)

---

(1)- جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**،..المرجع السابق، 2009، ص، ص: 283، 284.

(2)- شريف بن حبيلس، **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي وآخرون، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2012، ص: 145.

(3)- أحمد مالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 ط: 02، ص، ص: 245، 246.

وبالموازاة مع ذلك يقول الباحث بشير بلمهدي أن كل هذه الأحداث أثرت تأثيرا بالغا على الوضع في الجزائر، أي بزوال المقاومات الشعبية الجهادية التي قادها شيوخ الزوايا الذين لعبوا دورا رمزيا في بطولات المقاومة، ولما كانت تحتله زواياهم من ثقل ديني اجتماعي واقتصادي باعتبار أغلب مجاهدي المقاومة ينتمون إلى طريقة من الطرق الدينية، فإن الهوية الدينية كانت الوازع الرئيسي لتحريك حواسهم وميلهم للمقاومة وصد الآخر الذي أراد السيطرة على هذا "الأنا" المتوازن خصوصا عند شبان الريف الجزائري الذي أبلى بلاءا حسنا في معارك المقاومة. (1)

إذن بعد فشل المقاومات الشعبية وميل الكفة لصالح الاحتلال الفرنسي الذي فرض سيطرته على البلاد والعباد، كيف تمكنت الطرق الصوفية من الحفاظ على كيانها وهل استطاعت التصدي لسياسة الإدماج الفرنسية أم كان مصيرها أن تذوب في وسط الكيان الفرنسي ويتم تدجينها هي الأخرى؟

لقد كان الدين الإسلامي الذي احتضنته الزوايا هو المصل الذي حافظ على نواة المجتمع الإسلامي في الجزائر رغم ضعفه وانهزامه في بعض الفترات أمام العدو، وكذا خبث السياسات التي طبقتها إدارة الاحتلال الفرنسي للنيل من هويته، ولعل الأعداد المحدودة للجزائريين المجنسين بالجنسية الفرنسية منذ تطبيق هذا القانون منتصف ستينات القرن التاسع عشر إلى غاية مطلع القرن العشرين (1865-1900م) مثلما ورد في استعراض هذا العنصر، كانت خير جواب حيث عبرت عن حقيقة موقف الشعب الجزائري المسلم من الخطاب الدعائي الواهم الذي كان يدفع للانصهار في ثقافة وهوية المحتل الفرنسي. (2)

---

(1)- بشير بلمهدي، المرجع السابق، ص: 10.

(2)- عثمان زقب، المرجع السابق، ص: 344.

وهكذا رسخت جذور الحركة الوطنية المنبثقة من أعماق المجتمع الجزائري من هذا التكـــوين الديني في الزوايا والمساجد، ولولا هذا التعليم ورجاله وطلابه ولولا زوايا الطرق الصوفية لازدادت غربة هذا الدين وحشة بين أبنائه ولكان بعد أهله عنه (الدين) سيجعلهم أكثر عرضـــة للـــذوبان والانصهار في المجتمع الفرنسي. (1)

إذن لقد كان للتعليم الديني ولعلمائه وفقهائه والمرابطين في زواياهم ومساجدهم وقراهم النائية من أن يحفظوا لهذا الوطن دينه ولغته وهم الذين حافظوا على الشخصية الإسلامية ..لتصبح هـــذه الزوايا والمساجد عبارة عن رباطات تعبئ كتائب المجاهدين بشتى وسائل الجهاد. (2)

4/- تجاه سياسة التعليم:

كانت هوية المجتمع الجزائري بدورها هدفا ضمن سياسة الإدارة الاستعمارية بحيث لم يكتف الفرنسيون باحتلال الأرض الجزائرية، بل عملت هذه الإدارة على تغيير مظاهر مجتمع الدولة المحتلة من خلال سعيها لإزالة كل ما له علاقة بالشخصية العربية المسلمة للمجتمع الجزائري، فقد تجاوز المخطط الفرنسي عمليا مسألة فرنسة الأرض للسعي إلى فرض ثقافة ولغة وعادات المحتـــل علـــى المجتمع الأهلي من خلال محاربة مؤسساته الدينية ومصادرة أوقافه والتضييق على لغته.

وفي نفس السياق يقول الباحث "رابح تركي": «..وكان الهدف منها هو محاولة صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة في كل كبيرة وصغيرة، حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضـــيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها القومية وتاريخها الإسلامي وانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية حتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في ظل هذه السياسة المرسومة نشأة ممسوخة في كل شـــيء

---

(1)- بشير بوعتو، **تاريخ التصوف في الجزائر –دراسة وصفية تحليلية للطرق الحبيبيـــة والهبريـــة والرحمانيـــة والأويســـية** أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2012/2011، ص: 279.

(2)- صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق، ص، ص: 22، 23.

ومقطوعة عن جذورها الأصلية..»[1]، ويمكن حصر أهداف السياسة التعليمية الفرنسية في النقاط التالية:

- محاربة التعليم العربي الحر وتضييق الخناق عليه مع فرض الوصاية عليه تارة والإشراف على الدين واللغة العربية بتنظيم تعليم هجين لتكوين مؤطرين وأساتذة وأئمة وقضاة للإشراف على الإسلام الذي تريده فرنسا بعدما أدركت التعلق المتين للأهالي بالإسلام واللغة العربية. [2]

- تعويض الآباء بالأبناء لاستكمال دور خدمة المصالح الفرنسية وأهدافها الاستعمارية من الفئة التي تحصلت على الجنسية الفرنسية. [3]

- كما اتبعت سياسة المراقبة الشديدة والصارمة لما تبقى من مؤسسات تعليمية وتثقيفية ولرجالها ولما يدرسونه للطلبة، حتى تكون كل حركة في هذا المجال على مرأى ومسمع منها وبالتالي تأمن على حاضرها ومستقبلها في الجزائر، سواء أثناء وجودها أو بعد خروجها على الأمد البعيد. [4]

- أرادت فرنسا من هذا التعليم محاربة اللغة العربية والثقافة والقومية التي تتمثل في الأدب والتاريخ والميراث الفكري، فكانت أكبر صدمة تلقتها الإدارة الاستعمارية هو وجود شعب بثقافة قومية مما صعب في مهمة اختراقه أو دمجه في ثقافة دخيلة وغريبة. [5]

---

(1)- رابح تركي، المرجع السابق، ص: 105.

(2)- رابح دبي، المرجع السابق، ص: 114.

(3)- جريدة المبشر، 17 مارس 1876.

(4)- عبد الرشيد زروقة، **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)**، بيروت: دار الشهاب 1999، ط: 01، ص: 30.

(5)- رابح دبي، المرجع السابق، ص: 114.

وقد جسد مرسوم 1850م القاضي بإنشاء ثلاثة مدارس في الشرق (قسنطينة) والوسط (البليدة أو المدية) والغرب (تلمسان أو مستغانم) تلقن تعليم تقليدي يشرف عليه رجال مختارون من طرف رؤساء المقاطعات، والحقيقة أن الهدف من تأسيس هذه المدارس كان يرمي إلى إحداث منافسة فعالة للزوايا وبهذه الكيفية يقل تأثير هذه الزوايا. (1)

والحقيقة أن الإدارة الاستعمارية كانت تعمل على فرض الثقافة الفرنسية من خلال التعليم وهذا ما يوضحه الباحث "صالح فركوس" الذي يقول:«..لقد كانت حركة الإستعمار الثقافية والتعليمية تحاول فرض رؤية أخرى مغايرة تماما لرؤية وتفكير مجتمعنا، فالثقافة الفرنسية في الفترة الاستعمارية كانت تسعى لتحقيق مشروع فرنسة الجزائر واستئصال مجتمعنا من مقوماته الأساسية..»(2)، إلا أن هذه المشاريع لم تتحقق بسبب نقص الميزانية وعدم دفع البلديات المبالغ المخصصة لبناء المدارس من ميزانيتها، والجدول التالي يبين عدد المدارس مابين (1901-1907م): (3)

السنة	1901	1905	1906	1907
عدد المدارس	228	241	248	255

(1)– *Claude Bontems,* ***Manuel des institutions Algeriennes de la domination turque et le régime militaire 1518-1870****, paris : éditions cujas, 1976,p :449.*

(2)– صالح فركوس، **الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814ق م– 1962)**، الجزائر: المعارف للطباعة، 2015، ص: 198.

(3)– سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج:03، ص:352.

وفي هذا الشأن يذكر سعد الله من أن هذه الانطلاقة التي حدثت في التعليم ترجع إلى سنة 1892م الهدف منها هو رؤية شاملة لموضوع التعليم الموجه إلى الجزائريين رسميا بعدما كان مرفوض سابقا. [1]

ويضيف من أنه فعلا بنيت بعض الأقسام وازداد عدد التلاميذ في الابتدائي ولكن ليس بالشكل المخطط له، وهذا راجع حسبه إما لظروف الميزانية واستمرار العراقيل وإما لظروف (الح ع1) التي كادت توقف بناء الأقسام إضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي تلت سنوات الحرب والجدول التالي يبين عدد المدارس والتلاميذ من الأهالي بين سنوات (1909-1919م): [2]

السنة	المدارس	التلاميذ (الأهالي)
1909	*286*	*33.887*
1910	*301*	*34.811*
1914	*452*	*43.270*
1919	*474*	*33.747*

وفي 1920م أضيفت 24 مدرسة إلى 916 مدرسة يقصدها حوالي 35.295 تلميذ وفي 1921م لم تضف مدارس جديدة لكن الأقسام بلغت نحو 925 قسم ومجموع التلاميذ بلغ 36.262 تلميذ. [3]

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**..المرجع السابق، ج:03، ، ص: 353.

(2)- نفسه ، ص: 359.

(3)- نفسه، ص: 359.

ومن خلال ما قد سبق يتضح من أن الإدارة الاستعمارية ممثلة في بعض الحكام العامين أرادت تغيير نمط المعاملة مع الشعب الجزائري، وهي تدرك جيدا من أن هذه السياسة لم تحقق الأهداف المسطرة والمبرمجة.

وكان الاستعمار الفرنسي قد أدرك الدور الذي تلعبه المؤسسات الدينية كالكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس في احتضان اللغة العربية والثقافة الإسلامية ونشر العلم بالإضافة إلى وظائفها الدينية والشرعية الأخرى وشحذ الهمم لمقاومته، ولهذا حاربها بأبشع الطرق وأخسها وفق مشروعه الثقافي الاستعماري. (1)

إذن وضعت إدارة الاحتلال الفرنسي المساجد تحت رقابة صارمة والتي بموجبها أصبحت تراقب عن كثب خطب الوعظ والإرشاد التي يلقيها الأئمة والمفتون، بل وأصبح يتم تعينهم من طرف الإدارة الاستعمارية ويتقاضون مرتبات سنوية قوامها 66.000 فرنك على حساب الميزانية المحلية والبلدية. (2)

وكانت عمليات بناء وفتح مساجد أو مدارس أو زوايا أو تنظيم أي نشاط ذو طابع ديني لا يتم إلا بموافقة إدارة الاحتلال، ومن أمثلة ذلك ما ورد في أحد الوثائق الأرشيفية وهي عبارة عن مراسلة بالفرنسية بين القاضي محمد بن أحمد بن زروق مالك إلى محافظ الجزائر عن طريق نائب المحافظ، حيث جاء فيها:«..أنا القاضي محمد بن أحمد بن زروق مالك أسكن في حوش بوزرمان دوار سيدي ناصر بلدية الأربعاء، يشرفني سيدي المحافظ أن ألتمس لطفك الترخيص بالسماح لفتح

---

(1)- جمال مخلوفي، **التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930-1956**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار 2009/2008، ص: 114.

(2)- عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900**..المرجع السابق، ص: 251.

جامع صغير والذي بناه على ملكيته وأن يعتزم تعليم أطفاله وبعض الجيران الصغار من قبيلته من طرف أستاذ عربية (طالب) من أجل منحهم التعليم، وفي نفس الوقت الترخيص لفتح يوم في الأسبوع حضرة للرحمانية أين بإمكان الجيران القدوم لأجل القيام بالصلاة ».القاضي محمد بن أحمد بن الزروق. (1)

وبلغ تعسف الإدارة الاستعمارية بأن منعت خطب الوعظ والإرشاد على الأئمة ولا يسمح بذلك إلا للموظفين الدينيين الرسمين بذلك، بل وأن هذه الخطب والمواعظ غالبا ما كانت تحرر بمكاتب الإدارة الفرنسية ثم يقوم المفتون بتلاوتها تحت رقابة البوليس السياسي. (2)

وضمن هذا التوجه يشير صالح فركوس إلى تلقي ضباط المكاتب العربية تعليمات لجمع كل المعلومات المتعلقة بالزوايا وأتباعها حتى يتم مراقبتها مراقبة محكمة. (3)

ويضيف بأن الزوايا والمساجد كانت تشكل موضوع مراقبة يقظة وشديدة من طرف هذه المؤسسة ذلك أن في أوساط هذه التجمعات الدينية تنشأ الدسائس وتعلوا الأصوات الحاقدة ضد سيطرتنا وترتل الآيات القرآنية الخالدة والداعية للجهاد. (4)

ويذكر "آجرون" (*Ageron*) أن المدارس القرآنية التابعة للزوايا كانت تحارب بضراوة أما المدارس التابعة للقبائل فقد كانت تحتمل ليس إلا، حيث علق على هذه السياسة التعسفية بقوله: « تلك هي حصيلة مبادئ التسامح التي كانت تفتخر فرنسا باحترامها»، إلا أنه في الأخير قد أقر

---

(1)– ***A.N.O.M,2U22,ALG, département d'Alger***, *contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania), Lettre en français du cadi Mohamed ben Zarrouk par le sous-préfet au préfet d'alger, le : 15 juillet 1895.*

(2)– يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري**..المرجع السابق، ص: 86.

(3)– صالح فركوس ، **المختصر في تاريخ الجزائر**..المرجع السابق، ص: 66.

(4)– نفسه، ص: 67.

بأن أهالي الجنوب وميزاب كانوا يعاملون معاملة أقل تشددا، حيث كانت الزوايا والمدارس التابعة لهم تتمتع بحرية أكبر، وكان تفسيره لهذه السياسة الفرنسية الدينية المتناقضة بين الشمال والجنوب مفادها أن الفرنسيين كانوا يعتقدون غالبا أن ديانة هؤلاء المستضعفين تتمثل في الحقيقة في عبـــادة الأولياء الصالحين أو أحفادهم الأحياء الذين كانوا يسمون بالمرابطين. (1)

ولقد أوردت تقارير الشرطة الاستعمارية الكثير من الأمثلة جسدت السياسة القمعية لمختلف النشاطات العلمية التي كانت تحتضنها المساجد والزوايا والمدارس ضمن تطبيق الرقابـــة الإداريـــة والأمنية عليها ومن ذلك ما تضمنه تقرير من نائب المحافظ إلى محافظ الجزائر مؤرخ في 02 نوفمبر 1906م وهو عبارة عن توصية لغلق زاوية ومدرسة حيث جاء فيه:

« من نائب المحافظ إلى محافظ الجزائر المسمى بن دوبا (*Ben-douba*) من الطريقة الشاذلية تم التبليغ عنه بأن له موقف عدائي ماكر تجاهنا أقترح غلق زاويته ومدرسته »(2)، وحسب مراسلة نائب محافظ مليانة إلى محافظ الجزائر مؤرخة في 08 نوفمبر 1906م تبين أن مقر هذه الزاوية في منطقة روينة دائرة مليانة. (3)

إذن كانت إدارة الاحتلال الفرنسي تقوم بعمليات تفتيش ومراقبة مستمرة لنشاط التـــدريس والوعظ بالمساجد وهذا ما يفسر سياسة الإدارة الحازمة تجاهها لأنها كانت بالنسبة لهـــم تشـــكل خطرا محدقا.

---

(1)- شارل روبير أجرون ، **تاريخ الجزائر المعاصرة**..المرجع السابق، ص: 273.

(2)– ***A.N.O.M,2U23,ALG, Département d'Alger****, toutes les confrérie religieux sans (Rahmania et kadria), correspondance de de sous-préfet au préfet d'Alger, le 2 novembre 1906.*

(3)– ***A.N.O.M,2U23,ALG, Département d'Alger****, toutes les confrérie religieux sans (Rahmania et kadria), correspondance de de sous-préfet de l'arrondissement de Miliana au préfet d'Alger, le 8 novembre 1906*

وهكذا سلكت الإدارة الاستعمارية إستراتجية سعت من ورائها إلى احتواء الجزائر ثقافيا ودينيا بوسائل وأسلحة سلمية[1]، لكنها كانت أكثر خطورة من حيث أنها تستهدف الموروث الثقافي والديني للمجتمع الجزائري، ذلك أن العسكريين الفرنسيين أكدوا أكثر من مرة ومنذ بداية الاحتلال على اتخاذ المدرسة كوسيلة للمد الاستعماري، فقد جاء في كلام الدوق "دورفيقو" فيما يتعلق بتكريس الفرنسية ثقافيا والتضييق على اللغة العربية قوله: «..إن المعجزة الحقيقية التي يمكن صناعتها تكون في إحلال اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل اللغة العربية..»[2]، كما أضاف أيضا بأنه: «..سيرى يوما المدرسة الفرنسية تساهم حقيقة في دمج الجماعات التي كانت تعيش في الجزائر من فرنسيين وجزائريين وايطاليين ويهود وغيرهم..». [3]

وخلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر قامت سلطات الاحتلال بإحصاء وجرد جل الكتب الموجودة داخل خزانات المساجد الرسمية والزوايا عبر كامل التراب الوطني وتم وضع قوائم مكتوبة باللغة العربية ثم الفرنسية تحمل أسماء المؤلفين وعناوين المؤلفات بالإضافة إلى عدد النسخ الموجودة، وهذا الإجراء جاء كعملية انتقائية ووقائية في آن واحد، حتى يتسنى أثناء هذه العملية الانتقائية سحب كل الكتب الدينية المهددة للكيان الاستعماري ومستقبل وجوده في الجزائر. [4]

---

(1)- عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر**...المرجع السابق، ص: 109.

(2)- صالح فركوس ، **المختصر في تاريخ الجزائر**..المرجع السابق، ص: 251.

(3)- عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة**..المرجع السابق، ص: 137.

(4)- قامت الإدارة الاستعمارية سنة 1898م بعملية إحصاء جميع الكتب الموجودة آنذاك في خزانات المساجد الرسمية التي تم تصنيفها بموجب قرار 17 ماي 1851م وهذه العملية إدارية محضة..أنظر:

- ***C.A.O.M ,2U14**, Bibliothèque des Mosquées (1897-1948).*

وهكذا أصبح مصير الكتاب الديني مهددا تشرف عليه هيئة إدارية تعرف بمكتب الشؤون الأهلية، التي تماطلت كثيرا في تدعيم الكتاب المسجدي وبالتالي صارت المساجد والزوايا دون دخل مالي بفعل المراسيم والقرارات المجحفة في حقها. (1)

إذن ومن خلال هذا العرض الوجيز للسياسة الفرنسية في الميدان الثقافي والديني يجعلنا نتسائل عن رد فعل الطرق الصوفية من هذه السياسة المنتهجة؟

ظلت بعض الطرق الصوفية ممثلة في مؤسساتها الدينية والثقافية -الزوايا- طيلة العهد الاستعماري وخاصة بعد فرض سيطرته على البلاد وإحكام قبضته على مختلف جوانب الحياة من أن تتعايش مع هذا الواقع وتغالب الموج وأن تتصدى للتيار التغريبي على بساطة بنيانها وضآلة وسائلها وأن تلبي حاجيات المجتمع الروحية والمعرفية، وبقدر ما كانت حاضرة في ميدان المقاومة الوطنية فإن دورها في المحافظة على الهوية الوطنية ظل حاضرا في مواجهة الثقافة الاستعمارية. (2)

ورغم التشويه والتزييف والمغالطة الذي تعرضت له الزاوية وشيوخها المربين بفعل التعميم والمقارنة ببعض شيوخ الطرقية ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والعقول المريضة الذين أقدموا على إنشاء أوكار للفساد وهذا بدعم وتشجيع من الإدارة الاستعمارية صرفا منه لها عن هدفها الحقيقي وهو التربية الدينية والرسالة العلمية. (3)

كما لا ينفي هذا من وجود شيوخ زوايا برزو في خدمة الدين والمجتمع وبوجه خاص في المجتمعات الريفية، فالزوايا على اختلاف انتمائها الطرقي ساهمت في الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية ونشرت العلوم المختلفة وحافظت على الهوية العربية الإسلامية وتصدت لمحاولات

---

(1)- بشير بلمهدي، المرجع السابق، ص: 79.

(2)- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص: 79.

(3)- محمد نسيب، المرجع السابق، ص، ص:21، 22.

التغريب التي كانت من أولويات الأهداف الاستعمارية، ومن الأمثلة على نشاط هذه الزوايا نذكر زاوية "شلاطة" (أقبو) في منطقة القبائل التي تعرضت لهجمة تغريبية قصد تحويلها عن الإسلام إلى المسيحية، إلا أننا نجد هذه الزاوية التي درس فيها الكثير من العلماء كالشيخ البشير الإبراهيمي قبل هجرته نحو المشرق وقد عرفت هذه الزاوية بتدريسها للقرآن الكريم وقراءته وتفسيره وكانت مدرسة لعلوم الدين والفلك والحساب والنحو وغيرها.. (1)

وهكذا نجد أن الزوايا رفضت كل ما هو أجنبي وحافظت على العادات والتقاليد الجزائرية وفي هذا الصدد يقول الباحث "محمد نسيب": «..أن طالب الزاوية كان يتمسك بدينه ويتعلق بشخصيته ويعتز بثقافته العربية الإسلامية في الوقت الذي كان الناس يتهافتون على اللغة الفرنسية لغة الخبز المغموس في دماء الضحايا المذبوحين..». (2)

إن ما قامت به الزوايا من أدوار مختلفة اجتماعيا وتربويا في أيام الاستعمار القاسية ولياليه الحالكة وما قامت به من أعمال البر والإحسان والتربية والتعليم مما أغلق الأبواب في وجه المبشرين الذين يتصيدون الفرص للوصول إلى أغراضهم باسم التعليم والتطبيب والإحسان، لكن الزوايا بشيوخها العاملين أنقذت الفقراء والمحتاجين والأميين من أبناء المسلمين من اللجوء إلى مراكز المبشرين وأطعمت الجائعين وأوت المسافرين وعلمت الأميين، وجعلت التعليم مجانا لكل الناس للصغار والكبار وللفقراء والأغنياء لا فرق بين ذا وذاك، ونمت روح المحبة والتعاون بين أبناء الأمة. (3)

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**..المرجع السابق، ج:03، ص: 183.

(2)- محمد نسيب، المرجع السابق، ص: 24.

(3)- نفسه، ص: 24.

وبالمقابل لعب الشعب الجزائري دوره الكبير في تمويل الزوايا وإكرام رجالها والإنفاق على مشاريعها الدينية والثقافية والاجتماعية، كأسلوب من أساليب المقاومة للاستعمار الفرنسي وبالرغم من أننا نصف أن تعليم الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة كان بسيطا لا يتماشى مع التعليم الفرنسي العصري آنذاك في أسلوبه ومنهجه، فإننا لا نستطيع أن ننكر على أنه حافظ على روح الأمة وصان شخصية الجزائري وحتى عقيدته ورفع معنوياته وجعله يعتصم بدينه ويعتز بقيمه وعاداته وتقاليده ويتعلق بلغته، و لم يقبل البديل مهما كان لأنه يرى نفسه سعيدا بدينه فخورا بانتمائه الثقافي والقومي والوطني ويحب كل ما هو جزائري ويمقت كل ما هو فرنسي دخيل.[1]

وفي هذا المجال يضيف أحمد توفيق المدني قائلا:«..لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا (الجزائر) مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، وعمل رجالها العاملون على تأسيس الزوايا يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال، ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية ولا لعلوم الدين..». [2]

(1)- محمد نسيب، المرجع السابق، ص: 46.

(2)- توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، الجزائر: دار المعارف، 1984، ص، ص: 350، 351.

وقد جاء هذا في اعتراف منظري الاستعمار بقولهم: «أن السكان الأهالي لا يهتمون بتعليمنا إن القياد (*Caïds*) والطلبة وذوي النفوذ يتخوفون منه ويرفوضونه..»[1]، وذوي النفـــوذ هـــم كذلك القياد والأئمة ومعلمي الزوايا والمؤسسات الدينية. [2]

وعلى العموم يمكن القول أنّ رفض التعليم كشكل من أشكال المقاومة بقي ثابتا وبكـــل صرامة في وجه مخططات الاستعمار، لكن بأكثر وعي وأكثر انتباه ممّا كان عليه في فترات سابقة في ظل الاحتلال الفرنسي.

(1)– *Turin Yvonn, Op,cit, p :140.*

(2)– *De-Neveu, Op,cit, p :143.*

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الطرق الصوفية والحركة الوطنية

أولا: عرض حالة أهم الطرق الصوفية

أ/- الطريقة التجانية

ب/- السنوسية

ج/- القادرية

ثانيا: الطرق الصوفية ومسار الاضمحلال (تراجع الخطاب الطرقي)

أ/- إقتصاديا

ب/- إجتماعيا

ثالثا: إزدياد نشاط الحركة الوطنية (من المريدين الى المناضلين)

1- حركة الأمير خالد (دعاة المساواة)

2- حركة نجم شمال إفريقيا (الاتجاه الاستقلالي)

3- اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين (التيار الإدماجي)

4- الحزب الشيوعي الجزائري

5- الاتجاه الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)

رابعا: الطرق الصوفية والحرب العالمية الثانية (1939- 1945م)

خامسا: الطرق الصوفية وموقفها من الثورة التحريرية 1954م

الفصل الثاني: الطرق الصوفية والحركة الوطنية

تعرضت المؤسسات الدينية بالجزائر لمحاربة شديدة طيلة الفترة الاستعمارية بمختلف الوسائل والأساليب والأشكال، لأنها وقفت في وجه الاحتلال وكانت تمثل عائقا صلبا وشديدا ضد السيطرة الاستعمارية، وسياسة الفرنسة والتنصير والتجهيل، فالمساجد هدم الكثير منها وحول الباقي منها إلى كنائس وثكنات واصطبلات ومستوصفات ومراكز إدارية وأغلق البعض الآخر لأنها أي المساجد كانت من بين الأهداف الأولى للسياسة الاستعمارية، فخلال ثلاث سنوات الأولى من الاحتلال حولت ربع مساجد مدينة الجزائر إلى أغراض غير الغرض الديني، فمثلا كان بها 166 مسجدا وزاوية غداة الاحتلال فلم يبقى منها إلا بضعة مساجد لا تصل إلى عشرة مساجد. (1)

وحورب الأئمة وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية حيث توجهت أنظار أولئك الخبراء من (علماء النفس والأنتروبولوجيا والأديان واللغات..إلخ) إلى دراسة الطرق الصوفية ومحاولة تحييدها بوسائل عديدة كشراء الذمم وتولية الوظائف الدنيوية، وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ونفي الكثير منهم، وهكذا تراجعت الطرق الصوفية وأصبحت خاضعة إراديا أحيانا وغير إراديا أحيانا أخرى في ركب الاستعمار ولعل أبرز ظاهرة ميزت هذه الفترة هي اختفاء الروح الجهادية عند هذه الطرق التي أصبحت في الواقع أدوات لتنفيذ أوامر ورغبات الاستعمار في تخذير الشعب وتأييد السياسة الاستعمارية. (2)

ومما لا شك فيه أن الأمة التي تضرب في فكرها وتصورها يصبح محكوما عليها بالفناء والزوال والاستعمار الفرنسي لم يستغني عن خططه في هذا الطرح القاتل للذاتية الجزائرية، وذلك بعد

(1)- يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، الجزائر: دار البصائر، 2009، ص: 170.

(2)- سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر...**، المرجع السابق، ص: 18.

إفساد عقلها ومنابع التطور عندها، ومن ذلك فقد شجع الاستعمار الطرق الضالة لإفساد عقيدة الجزائريين وتكسير البنية الدينية وغرس الذهنيات كالدروشة وتشجيع الاعتقاد دون الانتقاد، حتى أصبح لكل شيخ مورده المفضل وزاويته المزارة، وقد إلتفت طائفة من المرتزقة حول الأضرحة يدعونها ويرجعون الأباطيل حول أصحابها. (1)

أولا- عرض حالة أهم الطرق الصوفية:

ولكي نفسر بموضوعية سبب تراجع الطرق الصوفية عن مبدأ المقاومة كان لابد من أن نتعرض لما لاقته هذه الطرق وشيوخها، فعلى سبيل المثال لا الحصر وبعد ثورة المقراني اضطهد الفرنسيون الطريقة الرحمانية وطاردوا مقدميها، فغيرت من نهجها الجهادي وانصرفت إلى التعليم وتركت السياسة ظاهريا، لكن هذا لم يمنع البعض من مقدميها من ممارسة العمل السياسي.

وقد أعاد الفرنسيون حفيد الشيخ الحداد "صالح عبد العزيز" وقاموا بتعليمه في الليسيه وأسندوا له وظيفة إدارية وشجعوه على رئاسة الطريقة لكن شيوخها أبعدوه عن ذلك، إلا أن الفرنسيين لاحقا تمكنوا من محاصرة الطريقة الرحمانية وإضعاف دورها. (2)

أ/- الطريقة التجانية:

أما الطريقة التجانية والتي لها ماضي في العمل السياسي منذ الخلاف الذي وقع بين الطريقة والأمير عبد القادر، ولكن بعد انضمامها إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1869م قام الفرنسيون بنقل شيخها أحمد عمار التجاني (الحبيب)(3)إلى العاصمة ليبقى مدة سنة كاملة تحت

(1)- محمد الحمري، المرجع السابق، ص:87.

(2)- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص: 624.

(3)- أحمد التجاني الحفيد المعروف باسم الحبيب تميزا له عن جده أحمد الكبير أو المؤسس للطريقة.

الإقامة الجبرية، بتهمة الانضمام والتعاون مع ثوار أولاد سيدي الشيخ في 1869/02/01م وبإيعاز من السلطات الفرنسية سافر إلى فرنسا لرفع معنويات الجزائريين المشاركين في الحرب ضد ألمانيا وإبلاغهم تحيات أعيان الجزائر[1]، وفي الوقت نفسه رأى أحمد عمار من أن هذه المهمة هي فرصة لكسب ودّ فرنسا من جديد، وكانت هذه الأخيرة تسعى من ورائه إلى احتواء وتدجين زاوية عين ماضي، وأثناء سفر أحمد عمار إلى فرنسا تزوج من فرنسية تدعى "أوريلي بيكار"[2] في إطار خطة دبرها الفرنسيون مسبقا، وأعاده الفرنسيون إلى الجزائر بعد أن ضمنوا ولاءه، لكنه فقد قوة تأثيره في الناس وهو على رأس هذه الطريقة التي تعتبر أكبر الطرق الصوفية في الجزائر وخارجها، وعندما مات سنة 1897م أقام له الفرنسيون جنازة كبيرة بالعاصمة حضرها الحاكم العام "جول كامبون" الذي أشاد بالعلاقات الوطيدة بين التجانية والحكومة الفرنسية.[3]

وهكذا تمكن الفرنسيون من السيطرة على التجانية فاستعملوها ضد الجامعة الإسلامية التي كانت السنوسية من دعاتها، كما استعملوها ضد القادرية ذات الامتداد الكبير خارج الجزائر ومنذ 1881م استعمل الفرنسيون التجانية في غدامس وإفريقيا السوداء؛ إذ أرسل قادة التجانية رسائل توصية إلى خلفاء الطريقة يحثونهم على التعاون مع الفرنسيين، وفتح أراضيهم للتجارة وإبرام

---

(1) – *Jamil Abu Nasr, Op,cit, p : 74.*

(2)– أوريلي بيكار لعبت دورا بارزا في تسيير زاوية عين ماضي واتخذت من مزرعة "كوردان" وقصرها (قرب عين ماضي) إقامة لها، وبعد وفاة أحمد عمار تزوجت من شقيقه البشير، أشرفت على الشؤون المالية للزاوية، تحصلت على وسام الاستحقاق الزراعي من قبل السلطات الفرنسية، وبعد وفاة البشير سنة 1911م انتقلت إلى العاصمة وبقيت تتردد من حين لآخر على "كوردان" وعين ماضي لجمع نصيبها من الأموال، ثم اتجهت إلى فرنسا عام 1920م وظلت تزور عين ماضي مرة كل سنة كان آخرها سنة 1933م حيث ماتت وهي بكوردان..اختلفت الآراء حول ديانتها بين من يقول أنها أسلمت قبل وفاتها (التجانيون) بينما جماعة الآباء البيض يصرون على أنها ماتت وهي مسيحية، و لم تخلف أي ولد لا من أحمد عمار ولا من البشير..أنظر: التلمساني، المرجع السابق، ص: 96.

(3)– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص: 625.

علاقات تجارية من شأنها أن تعود على الجميع بالفائدة، إذ جاء في أحد الرسائل الموقعة من أحمد التجاني بن محمد بن أحمد بتاريخ 08 ذي الحجة 1299هـ/الموافق لـ21 أكتوبر 1882م جاء فيها: «..إننا ننعم بالسلام في ظل الحكم الفرنسي وإننا نعلمكم أن أحد الفرنسيين ومرافقين له سيحلون ببلادكم هدفه أن يزور جهتكم ويعقد معكم علاقات تجارية نرجوا أن تسهلوا مأموريته، وأن الحكومة الفرنسية قدمت لنا الكثير..» [1]، هذه البعثة كان يقودها الضابط "فلاترز" سنة 1881م الذي تم اغتياله رفقة المقدم التجاني "عبد القادر بن حميدة" الذي كان دليلا لهذه البعثة.

ويعلق الباحث أبو القاسم سعد الله رحمه الله على الوضع العام للطريقة للتجانية فيقول: « إن إخوان التجانية لم يكونوا كلهم على دين ملوكهم، فقد كانوا كالمواطنين الآخرين يشاركون في الثورات وكانوا يعيشون بالعلم ويتقاسمون مع غيرهم المصائر البائسة والسارة، وفيهم من إلتحق بتونس والمشرق، ولم يكن زعماء التجانية بالمغرب على هوى بعض زعمائها في الجزائر، ولكن للجهل دولة وسلطان وللاستعمار جولة وصولجان.. ». [2]

(1) – *Louis Rinn, Op, cit, p-p : 436-439.*

(2)- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860– 1900**...ج:01، 2015، المرجع السابق، ص: 337.

ب/- السنوسية:

أما السنوسية فبقيت إلى حد كبير متماسكة بسبب وجود قياداتها الفاعلة خارج الجزائر، إذ لم يمنع صاحب الطريقة محمد بن علي السنوسي[1] من دعم الثورات الشعبية التي قامت في الجزائر دعما ماديا ومعنويا، فكانت لها علاقة بثورات مثل ثورة الشريف محمد بن عبد الله الذي كان قد إلتقى بالسنوسي في مكة ونسق معه على الرجوع إلى الجزائر، وكتب السنوسي إلى أهل الطرق الصوفية والمؤيدين له يطلب منهم دعم حركة هذا الشريف، إضافة إلى دعم ثورة بوعمامة ويسجل هذا الدور تلك الكتابات الفرنسية إذ يقول أحدهم وهو "لويس فنيون":« أن أتباع السنوسية مستعدون لتنفيذ الاغتيالات والقيام بالثورات، ثم إن عدد ما واجهه الفرنسيون من أتباع السنوسية منذ عام 1852م تاريخ الهجوم على الأغواط من قبل الشريف محمد بن عبد الله صديق السنوسي، وكذلك مبعوثي السنوسي سنوات 1879، 1880،1881 ووجود شخصيات منها في ثورة أولاد سيدي الشيخ واغتيال بعثة "فلاترز" 1881م..إلخ » هذا بالنسبة للجزائر، أما بالنسبة لدور السنوسية في تونس والسنغال وغيرهما فهناك قائمة أيضا من الثورات والاغتيالات حسب لويس فنيون. [2]

---

(1)- محمد بن علي السنوسي من مواليد 1787/12/22م من أسرة الحطاطبة من ضواحي مستغانم، نشأ في أحضان أسرة علمية تميزت بالتقوى والهداية، درس بمازونة ثم تلمسان ومعسكر، ليسافر بعدها إلى فاس أين بقي هناك سبع سنوات يدرس حيث تميز منهجه الإصلاحي بالتباين بين القوة واللين، طرد من المغرب الأقصى فتوجه إلى الصحراء فزار الأغواط وعين ماضي والجلفة وبوسعادة..إلخ، بعدها توجه إلى الحجاز وأسس هناك زاويته الأولى بجبل أبي قبيس سنة 1837م ثم عاد إلى شمال إفريقيا ليستقر بطرابلس بليبيا سنة 1840م وأسس زاويته الثانية بالجبل الأخضر.. ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص- ص: 264- 270.

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 262.

وأيضا وصفها باحث آخر "ني نابليون" (*Ney Napoléon*) ضمن تحليله من أن الطريقة السنوسية بطرابلس بالعدو الذي لا يقبل المساومة في الهيمنة الفرنسية بشمال إفريقيا..لقد وجدنا يد طريقته في كل جرائم المسافرين خلال السنوات الأخيرة، حيث أن لهذا الأخير أمثلة عن أعمال مهدي السنوسية ضد المهمات الفرنسية بالصحراء الجزائرية، كما اعتبره أيضا مسؤولا عن الانتفاضة الأخيرة لأولاد سيدي الشيخ التي وصفها بالقبيلة الدينية القوية جنوب مقاطعة وهران في 1879م، واعتبر المتسبب فيها حسب زعمه هم مبعوثي السنوسي في حين أن محركها كان بوعمامة مشيرا على أنه كان مقدما لزاوية سنوسية قبل رفعه لواء الثورة ضد الفرنسيين.[1]

وظلت أسرة بن طكوك في مستغانم محافظة على الطريقة السنوسية بالجزائر منذ 1859م على يد الشيخ الشارف ولد الجيلالي عبد الله بن طكوك وهو من معاصري السنوسي، وشاركت هذه الأسرة في عدة ثورات كثورة فليته وثورة أولاد سيدي الشيخ وأعتقل فيها الشيخ الشارف عدة مرات، كان آخرها سنة 1876م ويتوفى عام 1890م، واستمر الفرنسيون يلاحقون سنوسية طكوك ويضطهدون مقدميها بسبب توجيهها من الزاوية الأم "بجغبوب" (ليبيا) التي ساهمت في إنماء الوعي الوطني بين الجزائريين في العقدين الأخيرين للقرن 19م.[2]

وعمل الفرنسيون كذلك على تحريك بعض الطرق الصوفية في الجنوب ضد نفوذ السنوسية مخوفين إياها بأن السنوسية ستأخذ منها الأتباع وتحرمها من الزيارات والاستقلالية ونحو ذلك من

---

(1)– *Ne Napoléon, **Un danger européen**, **les sociétés secrètes musulmanes**, tours : imprimerie e. Arnault et cis, 1890, p : 33.*

(2)– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص: 626.

الأساليب، وهذا ما دفع "ديبون وكبولاني" بالقول إن برنامج السنوسية في الجزائر وتونس يواجهه شيوخ الطريقة التجانية والقادرية في الجنوب. (1)

ج/- القادرية:

وقد حدث للطريقة القادرية هي الأخرى ما حدث لكل الطرق الصوفية في أخر القرن التاسع عشر، فقد أصبحت جميعها تحت رحمة المخابرات الفرنسية والضغط المتعدد الجوانب لكي تعمل وفق إرادة المحتل، كما وظفت في عدد من المناسبات عن علم أو جهل من زعمائها، ولا سيما عند حاجة الفرنسيين إلى نفوذ هذه الطرق في الصحراء حين خططوا لاكتشافها واحتلالها وربطها بمستعمراتهم الإفريقية.

وعلى سبيل المثال تذكر المصادر الفرنسية أن مقدم القادرية في ورقلة "محمد الطيب" هو الذي رافق بنفسه بعثة المستكشف الفرنسي "فلامان" (*Flamand*) إلى "تيديلكت" سنة 1899م وقد تعرضت هذه القافلة للهجوم من عرب الصحراء، كما تضيف نفس المصادر أن محمد الطيب قد اعتمد عليه الحاكم العام "جول كامبون" سنة 1895م لتمهيد "تيديلكت" للتأثير الفرنسي وهذا ما يدل من جهة أخرى على ما لهذا الفرع القادري من نفوذ في الصحراء النائية. (2)

وفي هذا الصدد يذكر الجنرال "لاروك" (*Laroque*) أن للقادرية عدد كبير من الأتباع وعليه ينصح بلاده بالاستفادة من نفوذهم ولا سيما من زاوية عميش بقيادة الشيخ الهاشمي وزاوية

---

(1) – *Dopent et Coppolani, Op, cit, p :558.*

(2)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 49.

الرويسات بقيادة أخيه محمد الطيب، اللذين يصفهما الجنرال "لاروك" على أنهما قدما خدمات جليلة للفرنسيين في الصحراء لما لهما من تأثير في رد الثائرين إلى طريق الهدوء في عدة مناسبات.[1]

إننا نذكر هذه الأحداث مختصرة لنشير إلى مدى استفادة السلطات الاستعمارية من بعض فروع القادرية على أنها كانت استفادة مؤقتة، وكانت لأغراض آنية يستفيد منها الطرفان، وإذا كانت هذه السلطات استفادت من تنافس القادرية والتجانية والوقوف ضد تقدم السنوسية وبقاء العامة مخذرين ببركة الشيوخ، فإن هؤلاء بدورهم قد استفادوا أيضا من نشر نفوذهم وتأكيد تأثيرهم على أتباعهم. [2]

إذن هذه هي حال الطرق الصوفية الكبيرة ذات النفوذ والشهرة في الجزائر خلال نهاية القرن التاسع عشر (19م) ومطلع القرن العشرين (20م)، في حين أن طرق أخرى أصغر مثل الشاذلية والدرقاوية والطيبية عملت السلطات الاستعمارية على تشجيع توجهها نحو الشعوذة والزردة، كما ألهبت روح التفرقة والمنافسة بين الزوايا، وسميت هذه السياسة (بالصفوف) ولعب ضباط من المكاتب العربية بالجيش الفرنسي دورا كبيرا في الصفوف أبرزهم العقيد "بوجا" (*pujat*) الذي لعب دورا بناءا في العمارة الملائمة للصحراء وفي حفر الآبار، وصار هَم رؤساء هذه الزوايا التنافس بين بعضها البعض من أجل كسب رضى المستعمر.

وبغض النظر عن تعامل شيوخ الطرق الصوفية مع الإدارة الاستعمارية إلا أنها عند توقف المقاومة المسلحة استمرت تؤدي دورا إيجابيا في الحفاظ على المقومات الوطنية من تعليم لشؤون

---

(1)- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**...ج:04، المرجع السابق، ص: 50.

(2)- نفسه، ص: 56.

الدين والحفاظ على اللغة العربية في وقت ظهرت فيه المدارس الفرنسية التي أوجدت طبقة مفرنسة راحت تؤثر على ثقافة المواطنين بالمدن. (1)

ثانيا: الطرق الصوفية ومسار الاضمحلال (تراجع الخطاب الطرقي):

إن حتمية التطور جعلت دور الطرق الصوفية ينتهي مع الحرب العالمية الأولى و لم تكن قوة التشبث بالتصوف هي الوحيدة التي تشكل عبئا على المجتمع، بل كانت ثقلا موازيا لثقل أجهزة المسخ الأخرى التي كانت تجهز عليه، وعندما توقفت المعارضة العسكرية لم يبق أمام الشعب إلا المعارضة الروحية التي حملت الأمانة إلى المعارضة السياسية عندما توفرت شروطها. (2)

إن المتتبع لتاريخ الطرق الصوفية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وإذا ما قارن بين الوضعية الاقتصادية والبشرية التي كانت عليها في القرن التاسع عشر وما آلت إليه مع نهاية العقدين الأولين من القرن العشرين، سيشهد العديد من الحقائق الدالة على بداية فقدانها – ولو نسبيا وباختلاف الطرق- لأهميتها وقيمتها في الحياة السياسية والاجتماعية للبلاد، فما هي أهم مظاهر ذلك الضعف وما هي أسبابه؟

أ/- إقتصاديا:

كنا قد أشرنا سابقا إلى السياسة الاستعمارية المتمثلة في مراقبة الطرق الصوفية ومنعهم من التنقل إلا بعد الحصول على ترخيص مسبق من سلطة المكاتب العربية، يضاف إلى ذلك منع الزيارات من الأتباع خاصة في الفترة التي ندرسها، وهذا ما نتج عنه تفقير لتلك الطرق ومشايخها إلى درجة أن صار بعضهم عاجزا عن توفير حاجياته الحياتية، وهذا أدى بدوره إلى فقدان نفوذهم

---

(1)- عثمان سعدي، المرجع السابق، ص: 627.

(2)– سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**...المرجع السابق، ج: 01، ص، ص: 351، 352.

لدى أتباعهم مما أدى ومع مرور الزمن إلى فتور العلاقة بين القمة والقاعدة بسبب ضعف الرابطة الروحية التي كانت تجمعهم. [1]

إضافة إلى تفكيك البنية الاقتصادية للمجتمع الجزائري وما انجر عنه من تغير في نمط الحياة وكذا تحطيم نظام الإنتاج العشائري القائم على قيم العمل التعاوني والتآخي والتآزر والتكافل الاجتماعي، مما ترتب عنه أضرار مادية ومعنوية تمثلت أساسا في تقليص مداخل هذه المؤسسات وتفقير شيوخها، الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى البحث عن سند مادي لم يجدوه إلا عند الإدارة الاستعمارية. [2]

ب/- إجتماعيا:

كانت القاعدة الاجتماعية للطرق الصوفية في الجزائر رغم انتشارها هشة نسبيا، وأدت سياسة الحظر ومنع التنقلات ومراقبة أنشطة الطرق الصوفية من طرف سلطات الاحتلال إلى فتور العلاقة بين هؤلاء الشيوخ والأتباع، فأصبحوا عرضة للتفرقة وعرضة للاستقطاب من جهات أخرى كالجمعيات والنوادي والأحزاب السياسية، هذه الأخيرة أصبحت المنافس الحقيقي للطرق الصوفية في كسب الأتباع، خاصة وأن هذه الطرق خلال العقدين الأولين من القرن العشرين بمواقفها السلبية من بعض القضايا والخضوع التام للتعليمات الإدارية خاصة في فترة الح ع1، وهكذا أصبحت تعيش على هامش التطورات السياسية والاجتماعية التي أضحى المجتمع الجزائري يعيشها

(1)- التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 245.

(2)- محمد مجاود، **دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ عدد خاص، أفريل 2008، ص: 319.

مما جعل أتباعها ينفضون من حولها ويلتحقوا بصفوف مختلف الأحزاب والمنظمات وتفقد هي بدورها زبائنها القدامى. [1]

إذن يجب وضع هذه الظاهرة في علاقة مع التقلبات التي تعرض لها الأساس الاجتماعي للمرابطية، ذلك أن ارتباط الهوية الدينية في المجتمع الجزائري ظل محل تغيير، فالريف كان يتخبط في حياة كهنوتية وأصبح تسبيق العرق هو ملاذ كل فرد أو طبقة، لأن الزاوية فقدت مكانتها والانتماء الطرقي أصبح محل اهتمامات السلطات الاستعمارية[2] في تحديد مدى تأثير الشيخ ومساعديه من مقدمين، وخصصت مراكز للمراقبة حول نشاطات هؤلاء الطرقيين داخل البلاد وخارجها.

وبسبب تغير الظروف المعيشية فقدت الحياة الجماعية تماسكها القديم وأخذ الناس يتخلون عن عادات التعاون، وشيئا فشيئا سعت الإدارة الاستعمارية إلى الحلول محل المؤسسات الاجتماعية المحلية، وأخذ الإشعاع الثقافي الخاص بالزوايا يتوارى أمام المدارس الرسمية أولا ثم أمام مراكز التعليم المنشأة في كل مكان من قبل الإصلاحيين. [3]

كما تميزت هذه الفترة بفقدان الطرق الصوفية لنفوذها في المجتمع ذلك أنه منذ نهاية الح ع 1 وربما بسببها شرع العالم الريفي في الخلو ببطء لصالح الهجرة إلى فرنسا أولا ثم لصالح المراكز الحضرية الكبرى، مما جعلهم أقل استجابة لمطالب المرابطين أو أتباعهم، وجعلتهم الروح الاقتصادية المكتسبة في أوربا أقل كرما حيال أعمال الزوايا الخيرية، فضلا عن الانتقادات التي كانت توجه

---

(1)- علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، تر: محمد يحياتن، الجزائر: دار الحكمة، 2007، ص: 68.

(2) – ***A.N.O.M, 2U23, ALG**, Affaires générales et collectives (1868-1955) arrondissement de Mostaganem...Op, cit.*

(3)- علي مراد، المرجع السابق، ص: 82.

لهذه الطرق من مختلف صحف الأحزاب والجمعيات، ومنها صحف جمعية العلماء المسلمين[1] التي تعرضت للممارسات والمعتقدات الطرقية المنافية للدين وللشريعة الإسلامية مما جعل عامة المجتمع يأخذ هذه الانتقادات على محمل الجد والاهتمام، في حين أن مثل هذه التصرفات المعادية كانت سابقا تعد جريمة نكراء في حق رجال الطرق الصوفية، لذا يمكن القول بأن الشبان الذين عادوا من فرنسا قد ضيعتهم المرابطية نهائيا.[2]

نجد مثلا "محمد سعيد بن زكري" الذي دعى إلى إصلاح الزوايا منذ بدايات القرن 20م وذلك من خلال كتابه "إصلاح الزوايا" في بلاد القبائل ودعى إلى التجديد في برامج الزوايا[3] لكن دعوته تلك لم تجد لها آذانا صاغية إلا بعد عقدين من الزمن، عندما حاول أحمد بن مصطفى بن عليوة شيخ الطريقة العلوية بمستغانم تحديث الطريقة التي أنشأها عام 1921م بعد استقلاله عن الطريقة الشاذلية مما جعل البعض يلقبونه بالطرقي الحديث أو المعصرن. [4]

ومن خلال هذا يتضح من أن شيوخ هذه الزوايا ومريديهم قد انكبوا على حياة دينية منزوية ومرتبطة في آن واحد على احترام مواقيت المواسم الدينية الخاصة بهم، ومحاولة تقنين نظام الزيارة والحد من التجمعات المشبوهة في أعين أعوان الإدارة الاستعمارية الذين تخصصوا في جمع الإحصائيات حول الموارد المالية لهؤلاء الشيوخ وعدد مريديهم، ذلك أنه لم تنقطع مراقبتهم رغم تقلص نشاطهم العدائي نحو فرنسا.

---

(1)- من صحف الإصلاحيين نجد: الشريعة، الصراط، السنة، المرصاد، المنتقد..

(2)- علي مراد، المرجع السابق، ص: 70.

(3)- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج: 07، ص: 163.

(4) -*Augustin Berque, **Un Mystique Moderniste le cheikh ben alioua**, in, R.A.N°79, année 1936, p-p : 671-776.*

فمثلا نجد أن الطريقة التجانية بعين ماضي بقيت وفية لعلاقتها مع الإدارة الاستعمارية على عهد "محمد الكبير بن البشير" (1864-1931م) واستمرت على نفس الوتيرة، ونفس الاتجاه سلكه شيوخ الفرع الثاني من زاوية تماسين في حسن علاقتهم بالإدارة الاستعمارية [1]، هذه الأخيرة التي تصف تقريرها الطريقة التجانية ومن ورائها شيوخها بالإخلاص والتسامح رغم تناقص تأثيرها وتراجعها في بعض المناطق مع مطلع سنة 1929م. [2]

وفي نفس الاتجاه تذكر المصادر الاستعمارية من أن الطريقة الهبرية موالية وصديقة للإدارة وهذا أثناء فترة الحرب العالمية الأولى والفترة التي تلتها، وبالتالي لم تشكل خطرا على التواجد الاستعماري إضافة إلى تأثيرها المحدود ما عدا على منطقة ندرومة ميدان نشاط هذه الطريقة.[3]

كذلك نجد أن الطريقة العيساوية خلال هذه الفترة لم يبدي أتباعها أي اهتمام بالأمور السياسية والأوضاع التي شهدتها الجزائر، لهذا تصفهم التقارير الفرنسية بأنهم لا يشكلون أي خطر على إدارة الاحتلال.[4]

ثم إن هذه المواقف لا تمثل معظم شيوخ الطرق الصوفية خلال هذه الفترة (1925- 1930م) إذ نجد على سبيل المثال الشيخ "محمد بن الحاج محمد غلام الله" (1880- 1942م) شيخ زاوية عدة غلام الله (العداوية-الدرقاوية) كان له نشاط واسع في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية بالقطر الجزائري عموما ومنطقة تيارت

---

(1) – ***A.N.O.M, 9X306**, Jacque Carret, le maraboutisme..Op, cit, p :27.*

(2) – ***A.N.O.M, 16H35**, Op, cit.*

(3) – ***A.N.O.M, 2H7**, Confréries religieuses habria (1887-1925), et 2U8, a et b, Op, cit.*

(4) – ***A.N.O.M, 9X306**, Jacque Carret, le maraboutisme…Op, cit, p :31.*

خصوصا، مما جعل أعوان الإدارة الاستعمارية يشتكون إلى الحاكم العام من تدخله في شؤون المجتمع ووقوفه في وجه هؤلاء الإداريين للدفاع عن مصالح سكان المنطقة وحتى المعمرين منهم.[1]

وهكذا ومنذ نهاية الحع1 لم تبق الهيمنة المرابطية هي القوة الدينية الوحيدة التي يجتمع حولها الجميع، فقد أفضى التطور الجديد للمجتمع الإسلامي في الجزائر إلى تكوين العديد من التيارات الفكرية والاجتماعية غير المواتية للحركة المرابطية، أدت إلى تراجع هيمنة المرابطية تدريجيا بسبب الدعايات القوية للتجديدين اللائكيين خريجي المدرسة الفرنسية وأنصار النهضة العربية الإسلامية في الجزائر [2]، وتصبح هذه التنظيمات السياسية والاجتماعية الجديدة تنافس جديا الزوايا في كسب الأتباع، لتفقد مع مرور الوقت مركزها المحوري ويقتصر عملها على التعليم والتربية والتي لا تقل أهمية عن النشاط السياسي، فقد ساهمت في الحفاظ على أصالة المجتمع الجزائري وعلى تراثه ودينه ولغته لتؤكد حضورها في الساحة الوطنية من خلال الدفاع عن مقومات المجتمع الجزائري. [3]

وفي هذا الصدد يشير محمد العربي الزبيري من أن أغلب شيوخ الطرق الصوفية والزوايا لم يعارضوا انضمام طلبتهم وأساتذتهم إلى النضال الوطني الذي كانت تخوضه مختلف التيارات الوطنية، حيث أوضح قائلا: «..أن الأغلبية من أساتذة وطلاب الزوايا في مختلف أنحاء القطر كانوا على مسمع ومرأى من الشيوخ يناضلون في صفوف الحركة الوطنية، وأن ذلك لم يكن سببا لا في حرمانهم من التعليم ولا في مضايقتهم واضطهادهم كما يقع بالنسبة لأساتذة الهيئات التعليمية

---

(1) – ***A.N.O.M, 2H8***, *Op, cit*.

(2)– محمد مجاود، المرجع السابق، ص: 320.

(3)– التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص: 245.

الأخرى» [1]، وهو يقصد بالهيئات الأخرى جمعية العلماء المسلمين التي ترى أن التعليم وممارسة السياسة لا يتلاءمان.

ثالثا– إزدياد نشاط الحركة الوطنية (من المريدين الى المناضلين):

كان مؤشر ضعف الطرق الصوفية هو ظهور الأحزاب وازدياد نشاطاتها السياسية والاجتماعية بعدما كانت في وقت سابق هذه الطرق متصلة بأوسع الفئات الاجتماعية والقوة المستقطبة لها والمؤثرة فيها، فأضحت تواجه منافسة خطيرة من قبل التشكيلات السياسية التي استفادت من عدة ظروف: كتغير العقليات والذهنيات .

– هجرة الكثير من سكان الأرياف إلى المدن وإلى فرنسا بعد الح ع1 وإفراغ الريف من محتواه بعدما كان يعتبر معقلا لنفوذها وتأثيراتها.

– ويضاف إلى ذلك دعاية بعض المهاجرين الذين عادوا من المشرق الإسلامي بأفكارهم الإصلاحية.

– موقف بعض الطرق الصوفية والزوايا المؤيد لفرنسا ضد الدولة العثمانية أثناء الح ع1 والذي كان له أثره السلبي في تردي شعبية هذه الطرق والزوايا. [2]

إذن لقد كان للحرب العالمية الأولى تأثير كبير في تفتح الذهن الجزائري ونشر الوعي القومي في أوساط الجزائريين، نتيجة لمشاركتهم في هذه الحرب عن طريق قانون التجنيد الإجباري الذي كان ذو نتائج سلبية كبيرة على الجزائريين إذ قتل فيها معظمهم، إلا أنه ومن ناحية أخرى كانت هناك نتائج ايجابية فقد استطاع الجزائريون من خلاله أن يطلعوا على ما كان يجري خارج الجزائر

(1)– محمد العربي الزبيري، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، قسنطينة: دار البعث، 1984، ط: 01، ص: 67.

(2)– رشيد بكاي، المرجع السابق، ص: 269.

من أحداث سياسية وفكرية في أوربا وفي العالم الإسلامي وإفريقيا، وكذا التأثر بالأفكار الليبرالية التي كانت نشيطة في هذه الفترة وخاصة في فرنسا، كما تسنى لكثير من هؤلاء الجنود والعمال الإطلاع بدون رقابة على أخبار المشرق العربي الثورية، وعن أهم ما عرفوه عن العالم الغربي من مبادئ "ولسن"(*Wilson*) [1] التي تدعوا إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها، وكذا أدركوا قيمة العمل السياسي واطلعوا على النهضة السياسية في مصر، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب[2]وغيرها من الأحداث الخارجية التي كان لها وقع كبير في أوساط الجزائريين وساهمت مساهمة كبيرة في يقظتهم، وسببا في تغيير أسلوب كفاحهم من العمل العسكري إلى العمل السياسي.

وإذا حاولنا أن نحدد ماهية العمل الوطني يمكننا أن نحصره في فئة النخبة الجزائرية التي قادت العملية السياسية وتصدت للاستعمار بطرق جديدة حملت معالم نهضة ثقافية واجتماعية جديدة، ونشير إلى أن هناك خطأ شائع في الكتابات الاستعمارية الفرنسية عندما حصر مفهوم النخبة في تلك الفئة القليلة التي ربطتها علاقة مميزة بالمستعمر، سواء بسبب نفوذها المالي أو بسبب تعاملها الإيجابي مع التواجد الاستعماري، والذي ساعدته على تثبيت أقدامه على أرض الجزائر، بالإضافة إلى تلك الفئة التي غلبت عليها الثقافة الفرنسية وجعلتها عدوا أساسيا للثقافة العربية الإسلامية بما تحمل من مقومات وركائز، وبهذا المعنى أصبح مفهوم النخبة في كل

---

(1)- مما جاء في تصريح "ولسن":«..إن العالم لا يمكن أن يعيش في سلام إلا إذا بنية حياة الشعوب على استقرار وليس هناك استقرار ما دامت الإرادة مفقودة حيث لا يوجد الهدوء النفسي ولا عدالة ولا حرية.. »، أنظر:

-*Mohamed Guenaneche et Mahfoud Kaddache,* ***Le partie du peuple Algérien (1937-1939)****, Documents et témoignages, Alger :o.p.u,1985,p :15.*

(2)- أحمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، الجزائر: م.و.ك، 1985، ص:38.

الكتابات حتى الجزائرية منها يحمل في جوهره فكرة التيار الاندماجي في الحركة الوطنية الجزائرية والذي تزعمته العناصر المفرنسة ثقافيا واجتماعيا. [1]

إذن ومن خلال هذا انتظم الجزائريون في أحزاب وتنظيمات وجمعيات ونوادي تعنى بالنشاط السياسي والثقافي والاجتماعي، وتبرز إلى الميدان مباشرة بعد عودة الجزائريين من مشـــاركتهم في الح ع1، ومن أهم هذه الأحزاب التي برزت خلال هذه الفترة نذكر حركة الأمير خالد، وحركة نجم شمال إفريقيا واتحادية المنتخبين المسلمين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- حركة الأمير خالد (دعاة المساواة):

تأسست هذه الحركة سنة 1919م بقيادة الأمير خالد[2] وضمت في تركيبتـــها إقطـــاعيين جزائريين وأعضاء الفئة الوسطى من المثقفين والمحامين والأطباء وبعض الموظفين في الإدارة الفرنسية المتمسكين بالهوية الإسلامية، وقد حظيت هذه الحركة بتأييد جماهيري بسبب خطابها الموجه لتلك الفئات الجزائرية والذي يعبر عن مطالبها الدينية والوطنية والاقتصادية والسياسية. [3]

---

(1)- أحمد طالب الإبراهيمي، **من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962-1972**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص: 18. وكذلك أنظر: عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 252.

(2)- هو خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر قائد المقاومة المسلحة ضد فرنسا، ولد في دمشق سنة 1875م وهناك تلقـــى دروس المرحلة الابتدائية وبعودة أبيه إلى الجزائر سنة 1892م واصل دراسته بها ثم أرسله أبوه الهاشمي إلى فرنسا حيـــث دخل الكلية العسكرية وتخرج منها برتبة نقيب وعمل في الجيش الفرنسي وقد شارك في أحداث الح ع1، ومن خلال ذلك اكتسب تجربة سياسية سمحت له أن يكون رائد النضال السياسي في الجزائر..أنظر: عبد الرحمن بن العقـــون، **الكفـــاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج:02، ص:75.

(3)- سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..ج:02،المرجع السابق، ص: 147.

لقد كان من أهم أسباب تكوين هذا الاتجاه هو التأثر بمبادئ الرئيس "ولسن" التي منحت للجزائريين أملا كبيرا في إمكانية استرداد الجزائر لحريتها من خلال مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، وسعى هذا الاتجاه إلى تبليغ صوت الشعب الجزائري إلى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر وفرنسا، أما أهدافه فتتلخص في المطالبة بالمساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المرحلة الأولى، على أمل تحقيق كافة مطامح الشعب الجزائري في مستقبل الأيام، وقد بعث الأمير خالد بمذكرة إلى الرئيس الأمريكي "ولسن" يشرح فيها القضية الجزائرية، وقد استوحى مطالبه من واقع تصريحات الرئيس "ولسن" سنة1917م حول حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وقد تضمنت جملة من المطالب تجعل من الأمير خالد أول شخصية جزائرية مثلت الاتجاه الاستقلالي باستعمال الوسائل السياسية[1]، وتتجلى أهداف هذا الاتجاه في المطالب المعروفة بمطالب الأمير خالد العشرة، والتي تتمثل في المطالبة بحصول الجزائريين على كامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها جميع الأوربيين والمطالبة بإلغاء قانون الأنديجينا وإيقاف هجرة الأجانب إلى الجزائر وتطبيق قانون التعليم العربي والعناية التامة بالإصلاح الاجتماعي.[2]

ونتيجة لهذه المواقف التي أزعجت السلطات الاستعمارية كثيرا، فقد قررت إبعاده عن الساحة السياسية الجزائرية نهائيا حيث نفته إلى فرنسا سنة 1923م وانقسم أنصاره إلى قسمين:

---

(1)- عبد الرحمن بن العقون، المرجع السابق، ص:76.

(2)- رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، الجزائر: م.و.ك، 2001 ط: 05، ص: 80.

القسم الأول: وقد اختار أعضاؤه طريق العمل الثوري[1] وهؤلاء هم الـــذين أســـهموا في إنجاح وتعضيد حزب نجم شمال إفريقيا كما سنرى.

القسم الثاني: أطلق عليه اسم "فدرالية نواب مسلمي الجزائر" (*F.E.M.A*) ومن أقطـــابها الدكتور بن جلول وفرحات عباس وكانت مطالبهم إصلاحية تدعو إلى الإدماج.

كانت جريدة "الإقدام" التي أصدرها الأمير خالد هي لسان حال هذا الاتجاه وكانت تصـــدر باللغتين العربية والفرنسية لتوجه إلى الجزائريين والفرنسيين عامة، أما توجهها إلى الجزائريين فبقصد إيقاظ شعورهم الوطني ورفع مستوى وعيهم السياسي ونزع الخوف والتردد من أذهـــانهم، أمـــا قصده من توجيهها إلى الفرنسيين فكان يهدف إلى إقناعهم بعدالة مطالب الجزائريين وضم الأحرار منهم إلى الوقوف بجانب حركته حتى تتغلب على معارضيه المستوطنين الذين شنوا عليـــه وعلـــى حركته حربا شعواء حتى تمكنوا من نفيه وحل حركته. [2]

2- حركة نجم شمال إفريقيا (الاتجاه الاستقلالي):

تكونت حركة نجم شمال إفريقيا في باريس عام 1926م بتأثير ثلاث عوامل أساسية وهـــي:

أولا: مناخ الحرية الذي ساد فرنسا بعد الح ع1 الذي تمكن فيه أصحاب هذا الحزب أن يعبروا فيه عن مطالبهم السياسية بكل حرية.

ثانيا: أفكار الأمير خالد الاستقلالية ونشاطه في فرنسا بعد نفيه إليها عام 1923م وهو مـــا يؤكد انتخابه رئيسا شرفيا للحزب عند تأسيسه، ولهذا تبنى "النجم" مـــن أول الأمـــر الخطـــوط

---

(1)– أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص: 81.

(2)– رابح تركي، المرجع السابق، ص: 81.

العريضة من برنامج الشباب الجزائري، حيث طالب بإلغاء الاندماج وبالمساواة في جميع الميادين بين المسلمين والفرنسيين، وبالحريات الأساسية والحقوق السياسية والنقابية والمساواة أمام التوظيف العمومي والتعليم والجيش. (1)

ثالثا: دور الحزب الشيوعي الفرنسي الذي رغب في إنشاء حركة تدافع عن مصالح المسلمين في شمال إفريقيا. (2)

وقد كانت هذه الحركة في بدايتها عبارة عن هيئة لإغاثة أبناء شمال إفريقيا ثم أصبحت عام 1926م جمعية سياسية تعمل للدفاع عن كيان المغرب العربي وتطالب بحقوقه السياسية والاجتماعية، وقد ساهم في تأسيس هذه الحركة السيد مصالي الحاج الذي أصبح في عام 1926م رئيسا لها ويساعده جماعة من الشبان الأحرار من الجزائريين والمراكشيين والتونسيين.

نادت هذه الحركة بمبدأ التحرير التام من الاستعمار الفرنسي وأعلنت حق شعوب المغرب العربي في الاستقلال والحرية، ومنذ ذلك التاريخ لم تزد دعوة الاستقلال إلا انتشارا وذيوعا حتى أصبحت العقيدة العلنية للشعب أدت به إلى الثورة ثم الاستقلال(3)، ورغم الاضطهاد الكبير الذي لقيته حركة نجم شمال إفريقيا من الحكومات الفرنسية المختلفة، فقد تمكنت من الاستمرار في

---

(1)– الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، **الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900– 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، الجزائر: م.و.ك، 1987، ص: 59.

(2)– أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص، ص: 45، 46.

(3)– أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (د.ت)، ص، ص: 111، 112.

كفاحها طوال اثني عشر عاما إلى أن حلتها حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا للمـــرة الثانيـــة في 02 جانفي سنة 1937م.[1]

وقد تشكل بعد حل نجم شمال إفريقيا تنظيم حزبي يسمى (حزب الشعب) في مارس 1937م وقد حافظ هذا الحزب – من الناحية الشكلية – على نفس التنظيم الهيكلي الذي كان متبعـــا في عهد النجم، أما من الناحية القانونية فقد مر بمرحلتين أساسيتين:

– المرحلة الشرعية وقد انتهج فيها سياسة انتخابية معتدلة ذات طابع إصلاحي.

– المرحلة السرية، وذلك بعد حله حيث واصل نشاطه وتنظيمه وتعاظم شأنه في الأوســـاط الشعبية وأنشأ إدارة جديدة سرية وقام بدعاية واسعة في أوساط المواطنين والمجندين الجزائـــريين في الجيش الفرنسي.

ومن الناحية الإيديولوجية أصبح حزب الشعب يركز في مطالبه على الإصـــلاحات الفوريـــة ويراعي عاملين اثنين هما الجو السياسي في الجزائر المغاير لجو فرنسا، ونشاط التشكيلات الوطنيـــة الأخرى. [2]

---

(1)– رابح تركي، المرجع السابق، ص: 83.

(2)– عبد الحميد زوزو، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919– 1939)**، الجزائـــر: م.و.ك 1985، ص: 75.

هذه الفترة ظهر حزب الشعب بمظهر المعبر والمترجم الحقيقي لإرادة كل الشعب الجزائري بمختلف فئاته وشرائحه وبهذا بدأ يميل إلى الوحدوية السياسية واستصغار القوى السياسية الأخرى وهو اتجاه استمر في التطور تدريجيا خلال كامل مراحل تطوره. [1]

ومع انتقال نشاط الحزب إلى داخل البلاد وسعيه للانتشار في أوساط الجماهير الشعبية سجل ذلك الانفتاح الذي تميز به هذا التيار نحو أبناء الطرق الصوفية، وفي هذا الصدد يشير محمد حربي أن الحركة الوطنية الشعبوية كانت تنطوي على أفكار اجتماعية وسياسية مختلفة المشارب والاتجاهات، وفيما يتعلق بالحركة المصالية أو الإسلام الشعبوي فإن مفهوم مصالي الحاج للعروبة والإسلام يختلف مع مفهوم العلماء ويقترب أكثر من إسلام الطرق الصوفية[2]، وهذا التقارب بين حزب الشعب والطرق الصوفية يعود بالأساس إلى كون مصالي الحاج قد نشأ وترعرع في هذا الوسط الديني، فقد اشتغل والده مقدما لضريح سيدي عبد القادر الجيلاني لمدة عشرين سنة تقريبا (1919- 1945م)، وانتمت عائلته إلى الزاوية الدرقاوية التي كانت في منطقة بني سناسان على الحدود الجزائرية المغربية والتي أسست لها ملحقة في مدينة تلمسان في نفس السنة التي ولد فيها مصالي الحاج (1898م). [3]

---

(1)– الأمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919– 1962)**، الجزائر: د.م.ج، 1998، ص: 15.

(2)– محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر: موفم للنشر، 2006 ص:127

(3)– يوسف حميطوش، **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس**، الجزائر: دار الأمة، 2013، ص: 51.

وعلى الرغم من إلتحاق مصالي الحاج بالمدرسة الفرنسية إلا أنه كان دائم التردد على الزاوية الدرقاوية، هذه الزاوية قد لعبت دورا كبيرا في تنشئة وصقل شخصيته، حيث تشبع بالقيم العربية الإسلامية ونشر الحرية والعدالة في المجتمع الجزائري، وأدرك أن الزوايا كانت ملجأ للروح اليائسة والمطمئنة في آن واحد، وحصنا للمجتمع الجزائري الذي حاصره البؤس وأنواع عديدة من مظاهر الإعتداء والتقهقر التي شجعها أو على الأقل ساعدها الاستعمار، فأصبحت الزوايا مركز لتعليم القيم الدينية الإسلامية من جهة، ولتنظيم كل المقاومات ضد الاستعمار الفرنسي من جهة أخرى وإن كانت هناك زوايا أخرى قد تواطئت مع المستعمر الفرنسي. [1]

ولا يمكن حصر تأثير الطريقة الدرقاوية لدى مصالي في الجوانب الرّوحية وحدها، فهناك الجانب التنظيمي الذي يكون إستفاده من تردده الدائم على الزاوية منذ صباه، الأمر الذي جعله- كما يقول جاك سيمون- "يسبح" في هذا الجو من الطهارة والجدّية، وجعله يتعلم أداء الصلوات يوميا ويتعلم دور الشيخ في تعليم مبادئ الطريقة لتلاميذه وليصبحوا إخوانا والتضامن بين المريدين والصرامة في سلوكهم وإحترام القواعد الأخلاقية[2]، وهذا هو "المكبوت" الذي —في رأينا- أثّر على مصالي خلال ممارسته للسياسية، وتجلى في تعامله فيما بعد مع "أتباعه" من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية مما أدى إلى أزمة داخلها عجلت باندلاع الثورة التحريرية.

---

(1)- يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص: 71.

(2) – *Jacque simon,* ***Messali hadj 1898-1974 la passion de l'Algérie libre****, editeur tirésias, p p :18-19*

ومن بين الشخصيات الطرقية التي تحسب على هذا التيار وأسهمت في بلورت أفكاره الاستقلالية نذكر الشيخ عبد البر البوعبدلي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للخلية الأولى لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ببطيوة في عمالة وهران سنة 1946م. (1)

إضافة إلى الشيخ عمر بلحملاوي الذي ربطته علاقة مع مصالي الحاج بعد أحداث 08 ماي 1945م أين تعمق الوعي الوطني التحرري حيث تثبت التقارير الفرنسية أن هذا التقارب اتضح أكثر خلال انتخابات المجلس الجزائري التي جرت يومي 04 و11 أفريل من سنة 1948م حيث ذكر في هذا التقرير أن بلحملاوي قد أعطى أمرا لأتباعه بانتخاب حركة انتصار للحريات الديمقراطية. (2)

كما برز الشيخ محمد بن كبير بن علي شيخ زاوية كرزاز بعين الصفراء بمواقفه المعادية لفرنسا ورحب في زاويته بالذين يقومون بالدعاية الانتخابية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية. (3)

3- اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين (التيار الإدماجي):

أنشئت هذه الحركة في عام 1927م بعد فشل الأمير خالد في حركته ونفيه إلى فرنسا عندها تبنى مجموعة من المنتخبين الجزائريين جزءا من سياسته، حيث أن بداية نشاط هؤلاء قد ارتبط أصلا بفكرة الإدماج، وذلك عن طريق تجمع بين النواب الجزائريين المنتخبين في المجالس

---

(1)- حمدادو بن عمر، **الزاوية البوعبدلية بأرزيو (عمالة وهران) رمزا للمقاومة والصمود**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 202.

(2)- رياض بودلاعة، المرجع السابق، ص: 76.

(3)- نفسه، ص: 77.

الفرنسية الثلاثة، وكان من زعمائها الدكتور ابن جلول[1] وفرحات عباس[2] وغيرهم من دعـــاة الاندماج في فرنسا، وتجسد ذلك من خلال الأفكار التي طرحها فرحات عباس زعيم النخبة من خلال مقالاته التي نشرها فيما بين سنتي 1926 و1930م[3]والتي جمعها فيما بعد في كتاب أطلق عليه "الشباب الجزائري" (*Le Jeune Algérien*)، وقد كان فرحات عباس وأنصـــاره تنحصر جل مطالبهم في المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية والاجتماعية، أي تحقيق الاندماج مع المحافظة على الشخصية الإسلامية المتمثلـــة في قـــانون الأحـــوال الشخصـــية الإسلامية المتمثلة في الزواج والطلاق والميراث[4]، ولقد اتخذت هذه الحركة من الصحافة الناطقـــة باللغة الفرنسية وسيلة أساسية لنشر مبادئها وبرنامجها.

---

(1)- ولد ابن جلول في منطقة الأوراس سنة 1894م وواصل تعليمه الثانوي بقسنطينة حيث كان يحصل باستمرار على منح دراسية، ثم تلقى تعليمه الجامعي في جامعة الجزائر حيث نال شهادة الدكتوراه في الطب حوالي سنة 1924م، وبعد ذلك قام ببعض النشاطات في الانتخابات المحلية والصحافة، وقد أعجب ابن جلول بالأمير خالد وهو ما جعله خلال الثلاثينات يقدم برنامجا شبيه بذلك الذي وضعه الأمير خالد خلال العشرينات..أنظر: سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..المرجـــع السابق، ج: 02، ص: 354.

(2)- ولد فرحات عباس سنة 1899م في بلدية الطاهير المختلطة ومارس تعليمه الابتدائي في مدينة جيجل وتعليمه الثانوي في قسنطينة والجامعي في العاصمة وقد تخرج منها صيدليا، وفي سنة 1926م انتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين وتحت الاسم المستعار "كمال ابن السراج" كتب سلسلة من المقالات خلال العشرينات كانت تعكس اتجاه الحزب الليبرالي هذه المقالات جمعها لاحقا في كتابه (الشباب الجزائري)..أنظر: سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..المرجع السابق، ج: 02، ص: 353.

(3)- سليمان قريري، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954**، بحث مقدم لنيـــل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر-باتنة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، 2011/2010، ص: 64.

(4)- رابح تركي، المرجع السابق، ص: 87.

هذا التيار لم يكن من أهدافه العمل على إعداد الجماهير الشعبية قصد إعدادها سياسيا، بل عمل على دمج النخبة المثقفة ثقافة فرنسية في المجتمع الفرنسي ولذلك وجدت نفسها مرفوضة من الطرفين، من طرف الشعب الجزائري لأنها لا تعبر عن مطالبه ومن طرف المستوطنين المعارضين لفكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين. (1)

وهذه المطالب في مجملها متواضعة إلى أبعد الحدود إذا ما قيست بالمطالب الاستقلالية التي نادى بها الأمير خالد من قبل، كذلك فقد اعتمد فرحات عباس على فكرة الإصلاحات المرحلية للوصول بالمجتمع الجزائري إلى المساواة الكاملة بين أفراده من مسلمين وأوروبيين. (2)

ولقد لقي هذا الحزب معارضة كبيرة في أوساط الجزائريين خاصة من خلال فكرة الاندماج التي كان يطالب بها السلطات الفرنسية ويسعى لتحقيقها، وهذا باعتبار أن الدعوة إلى الاندماج هي مقدمة لسلخ الأمة من مقوماتها الأساسية كالدين واللغة.

كان لهذا التيار من يساندة في الأوساط الطرقية خاصة في المواعيد الانتخابية التي شارك فيها من أمثال الشيخ محند بن محند السعيد شيخ زاوية اسحنونن بدوار "أومالو" حيث تقدم هذا الأخير ومعه المئات من الناخبين لمراكز التصويت خلال الانتخابات المحلية عام 1945م لإعطاء أصواتهم لحركة أحباب البيان والحرية (3)، كما لقي هذا الحزب نفس التأييد والدعم من قبل زوايا منطقة القبائل في انتخابات مجلس الجمهورية التي جرت في 08 ديسمبر 1946م، حيث ساند شيوخ

(1)- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**...المرجع السابق، ج:02، ص: 68.

(2)- سليمان قريري، المرجع السابق، ص: 64.

(3)- رياض بودلاعة، المرجع السابق، ص: 82.

زوايا هذه المنطقة قائمة الدكتور سعدان عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي أسسه فرحات عباس في نفس السنة. [1]

4- الحزب الشيوعي الجزائري:

لقد ظهر الحزب الشيوعي الجزائري في بداية الأمر كفرع تابع للحزب الشيوعي الفرنسي وذلك عام 1925م، حيث كان مكون من عمال جزائريين وأوربيين وقد دافع هذا الحزب عن حقوق الجزائريين في المهجر[2]، وكان هدف الحزب الشيوعي الفرنسي هو توحيد الطبقة العاملة من أوربيين وعرب في جبهة واحدة ضد الامبريالية[3]، وكان الشيوعيون في البداية يدعون إلى الاستقلال التام للجزائر حسب نداء المؤتمر الثاني للأممية الثالثة سنة 1922م الذي دعا إلى العمل على تحرير الجزائر وتونس والمغرب. [4]

---

(1)- رياض بودلاعة، المرجع السابق ، ص: 83.

(2)- *Claude Collot et Henri-Jean Robert,* ***Le Mouvement National Algérien textes (1912-1954), Alger*** *:o.p.u, édition 2, 1981, p :36.*

(3)- عبد الكريم أبو الصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: دار البعث 1981، ص: 242.

(4)- نفسه، ص: 243.

وأثناء انعقاد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الفرنسي في جانفي 1936م "بفليربان" (*Villeurbane*) بفرنسا[1] تقرر تحويل فرع الحزب الشيوعي الموجود بالجزائر إلى حزب مستقل عن فرنسا[2]، وكان عمار أوزقان[3] ممثلا لشيوعي الجزائر في هذا المؤتمر.[4]

وقد عقد هذا الحزب مؤتمره التأسيسي الأول في الجزائر العاصمة ما بين 17 و18 أكتوبر 1936م[5] لينتهي هذا المؤتمر ببيان أهم ما جاء فيه: « إن إنقاذ الجزائر من الانحطاط والدمار وذلك لا يكون إلا بتحرير العامل والفلاح من وطأة الكولون ومن ظلم قانون الأنديجينا الجائر وإن ذلك لا يتحقق إلا في إطار الحزب الشيوعي الجزائري النابع من صميم الشعب..» ويضيف البيان قائلا: «.. نحن الشيوعيون نستمد كثيرا من التقاليد الجماهيرية والثورية من الشعب الفرنسي..».[6]

---

(1)– *Mahfoud Kaddache,* ***Histoire du Nationalisme Algérien****...Op,cit, p :397.*

(2)– *Charles Rebert Ageron,* ***Histoire de l'Algérie Contemporaine****...Op,cit, p :352. et aussi :Benjamin Stora, Algérie :****Histoire Contemporaine (1830-1988)****, Alger : édition Casbah, 2004,p :79.*

(3)– عمار أوزقان، من مواليد عام 1910م من عائلة تنتمي إلى منطقة عزازقة بالقبائل، عمل كموظف بريد ثم شغل عدة مناصب نقابية، إلتحق بالحزب الشيوعي الجزائري ليتم تعيينه كاتبا ثم انتخب سكرتيرا للحزب عام 1943م، لكنه طرد منه سنة 1947م، كان أوزقان من دعاة مجتمع متعدد الأجناس ومن رواد تحرير المرأة، إلتحق عام 1958م بجبهة التحرير الوطني..أنظر: رشيد بن يوب، **دليل الجزائر السياسي**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1999، ط: 01 ص، ص: 109، 110.

(4)– *Hafid khatib,* ***Le 1er Juillet 1956, l'accord FLN-PCA et l'intégration des combattants de la libération dans l'Armée de libération nationale en Algérie****, Alger :o.p.u, 1999, p :14.*

(5)– *Mohammed Teguia,* ***L'Algérie en guerre,*** *Alger : office des publications universitaires, 2007, p :23.*

(6)– يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919– 1939)**، الجزائر: م.و.ك، 1989، ص: 75.

ومن هنا نستطيع أن نلمس وبسهولة مدى تبعية الحزب الشيوعي الجزائري إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، من خلال تمسكه بمبادئ الديمقراطية الفرنسية وفي ثورتها، وتجسد ذلك الارتباط كذلك من خلال برنامج الحزب الذي جاء فيه:

- المطالبة بالمساواة في الحقوق بين الجزائريين والفرنسيين في إطار الاتحاد الفرنسي مؤقتا.[1]

- المطالبة بجنسية مزدوجة (جزائرية – فرنسية).

- تكوين برلمان جزائري بمفهوم الحزب الشيوعي له حق التشريع ويتشكل بالتساوي من ستين نائبا جزائريا وستين نائبا فرنسيا.[2]

- المطالبة بحكومة يرأسها شخص منتخب من قبل البرلمان المحلي وأن يكون لفرنسا ممثل في الجزائر.

وهكذا فإننا نجد أن هذا الحزب لم يعرف تغيرا في توجهاته ومطالبه التي بقيت تصب في نفس الاتجاه الذي يخدم أساسا فكرة الارتباط مع فرنسا والمحافظة على مصالحها في الجزائر وهذا ربما ما جعل القاعدة الشعبية له ضيقة.

5- الاتجاه الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين):

يرجع أغلب المؤرخين فكرة تأسيس هيئة تجمع شمل علماء الدين المسلمين الجزائريين إلى سنوات الحرب العالمية الأولى وبالتحديد سنة 1913م وذلك حين إلتقى الشيخ عبد الحميد ابن

---

(1)– *Mahfoud Kaddache,* ***Histoire du Nationalisme Algérien****..Op,cit, p :398.*

(2)– مومن العمري، **الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926– 1954)** الجزائر: دار الطليعة، 2003، ص: 47.

باديس[1] بأرض الحجاز في موسم الحج بالشيخين الطيب العقبي[2] ومحمد البشير الإبراهيمي[3] فتباحث معهما في أوضاع الجزائر المزرية وكيفية إخراجها منها فكانت نتيجة تلك الاجتماعات المتوالية هو إدراك ضرورة القيام بنهضة شاملة وعامة تستهدف التغيير في الحياة السياسية والدينية والعقلية والاجتماعية، ومن هذا اعتبرت هذه الفترة مرحلة وضع الأساس، وهي كذلك مرحلة التخطيط والتنظيم والضبط، وعن هذه الفترة يقول الإبراهيمي:«..وأشهد الله أن تلك الليالي من عام 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين والتي لم تبرز للوجود إلا في عام 1931م..».[4]

---

(1)- عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تلقى تعليمه الأول بجامع الزيتونة وتأثر بالأستاذ الطاهر بن عاشور الذي أخذ عنه علما غزيرا في العلوم الشرعية وكذلك الأستاذ محمد الخضر بن حسين وعند رحلته إلى المدينة المنورة، كما تأثر بأفكار الشيخ أحمد حمدان الونيسي وأخذ عنه الأفكار الإصلاحية وعمل على بعث العروبة والإسلام في الجزائر وتجديدهما بعدما أصابهما من تشويهات من طرف الاستعمار الفرنسي والطرق الصوفية المنحرفة فكانت له نهضة علمية واسعة تمكن من خلالها من المحافظة على أصالة الجزائر وعروبتها..أنظر: رابح تركي، المرجع السابق، ص: 135.

(2)- هو الطيب بن محمد بن إبراهيم العقبي (1888-1960م) من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر وعضو مؤسس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، درس في جامع الزيتونة ومن المتأثرين بالحركة الإصلاحية في المشرق العربي وخاصة منها الحركة الوهابية، أسس جريدة الإصلاح ببسكرة، تعرض للسجن نتيجة اتهامه بمقتل المفتي كحول، وبعد خروجه انسحب من الجمعية بسبب اصطدامه ببعض رجالها، وعند انفجار الثورة وقف منها موقف المشكك بقدرتها على جلب الاستقلال..أنظر: بسام العسلي، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**..المرجع السابق، ص: 186.

(3)- محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م) من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي، وهو رفيق النضال لعبد الحميد ابن باديس وزميله في قيادة الحركة الإصلاحية في الجزائر ونائبه في رئاسة جمعية العلماء المسلمين في حياته ثم تولى قيادتها بعد وفاته، كان له دور مهم في محاربة الاستعمار وفي نهضة اللغة العربية، ترك آثار فكرية وثقافية منها جريدة البصائر التي كانت تمثل لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..أنظر: رابح تركي، المرجع السابق، ص: 169.

(4)- زوبير بن رحال، **عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889-1940**، الجزائر: دار الهدى 1997، ص: 51.

وقد كانت الاحتفالات المئوية التي استمرت ستة أشهر تمثل روح الاستعلاء للإدارة الفرنسية وكأنها أثبتت بما لا يدع مكانا للشك أن الجزائر صارت فرنسية ولن تعود مطلقا إلى ما كانت عليه من عروبة وإسلام، ولكن الإدارة الفرنسية لم تكن تدرك بأنّها بموقفها هذا أعادت نزف جرح الأهالي الجزائريين الذين استنكروا هذه الاحتفالات وعلى رأسهم علماء الدين الذين سعوا إلى إنشاء جمعية تناهض أهداف الإدارة الفرنسية، وتنمي روح الوعي القومي لدى الفرد الجزائري وجعلوا لها شعارا يعبر عن اتجاههم ومقاصدهم؛ هو "الإسلام ديننا.. العربية لغتنا.. والجزائر وطننا"، فكانت هذه الاحتفالات الاستفزازية التي قامت بها الحكومة الفرنسية عام 1930م في الجزائر احتفالا بمرور مائة عام على الاحتلال عاملا قويا في سرعة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م وإخراجها من حيز الأماني، حيث زادت الحالة سوءا في الجزائر من جراء السياسة الاستعمارية التي لم تعط أي حقوق للأهالي.[1]

وهكذا أسس العلماء الجزائريون جمعية رسمية في سنة 1931م لخدمة هذه الأغراض الدينية وقد كان من مؤسسي هذه الجمعية إضافة إلى عبد الحميد بن باديس الشيخ العربي التبسي والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي والشيخ الطيب العقبي وغيرهم..[2]، كما ضمت في عضويتها اتجاهات مختلفة كان بعضها إصلاحيا مجددا وكان البعض الآخر يمثل المحافظين، ذلك أن هذه الجمعية قد ضمت رؤساء ستة زوايا لطرق صوفية هامة في البلاد كأعضاء مساعدين في المجلس الإداري للجمعية، ورغم أن هذه الجمعية أعلنت في بيان تأسيسها أنها جمعية اجتماعية ثقافية وليس لها توجهات سياسية، إلا أن بعض مواقفها جعلت منها مكون سياسي بارز على الساحة السياسية وذلك بطريقة غير مباشرة بإتباع أسلوب التنوير والعودة بالمجتمع إلى أصوله العربية الإسلامية

(1)- عبد الكريم أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص، ص: 73، 74.

(2)- *Claude Collot et Henri-Jean Robert, Op,cit, p :44.*

والدفاع عن اللغة العربية والتقاليد ومحاربة الخرافات التي ساعد على انتشارها بعض رجال الطرقية بتشجيع من الاستعمار، كما وقفت الجمعية في وجه سياسة التجنيس والإدماج والتنصير وكل ما من شأنه أن يمس بالشخصية الإسلامية الجزائرية. (1)

ويؤكد هذا التوجه ما جاء في مجلة الشهاب على لسان رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس سنة 1937م قائلا: «..العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان لقضيتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا، فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفقهنا في الدين وتنيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية والفضيلة وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا العربية الإسلامية.. ».(2)

إذن فمنهجية ابن باديس دينية بحته في مجابهة العدو فهو يعوض السيف بالقلم(3) وفي آن واحد لا يختلف عن الأمير خالد في مقاومة الاستعمار، مقاومة تعتمد على ايديولوجية الخصم خاصة فكرة تحقيق مصير الشعوب التي تحمل في طياتها معان كثيرة مثل المطالبة باستقلالية المساجد والتعليم العربي والأوقاف، وهي عبارات كلها تدل على الحرية الروحية لكل جزائري يقبع في سجن الجزائر المحتلة. (4)

---

(1)- شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، تر: محمد مزالي وآخرين، الدار التونسية للنشر، 1976 ، ص: 135.

(2)- جريدة الشهاب، مجلد رقم: 13، سنة 1937، ص: 20.

(3) –*Joseph Disparment,* ***Contribution a l'histoire contemporaine de l'Algérie, la politique des oulémas Algériens 1911-1937****, in bulletin du comité d'Afrique française 1937, p :354.*

(4)- بشير بلمهدي علي، المرجع السابق، ص: 94.

وعلى كل فإن الجمعية قد لعبت دورا أساسيا في ترسيخ المبادئ العربية الإسلامية وكذا مكافحة الاستعمار بوسائل مختلفة من إنشاء المدارس إلى إلقاء الدروس في المساجد وكذا المقالات والمنشورات في الصحف والمجلات.[1]

ثم ما لبثت أن وجدت الجمعية نفسها بحكم السياسة الاستعمارية التي تدخلت في كل شأن من شؤون الجزائر مضطرة إلى الخروج عن برنامجها الديني البحت والخوض في مسائل سياسية وتتويجا منها لمختلف نشاطاتها على جميع المستويات فقد شاركت جمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، وهو أول مؤتمر يحاول أن يخرج بكلمة وطنية موحدة يواجه بها حكومة الجبهة الشعبية بفرنسا[2]، وقد مثل هذا المؤتمر أحد محطات جمعية العلماء لتأدية دورها في معالجة مشاكل المجتمع الدينية والثقافية والسياسية، وقد ألقى فيه عبد الحميد بن باديس خطابا أكد فيه على مبادئ الجمعية مع ضرورة إعطاء حقوق الجزائريين[3]، كما دعى الشيخ الطيب العقبي إلى التركيز على الأرضية الدينية دون الخوض في المسائل السياسية، إلا أن اتهامه باغتيال المفتي"ابن كحول" سنة

---

(1)- جريدة الشهاب، مجلد رقم: 10، سنة 1937، ص: 259.

(2)- استطاعت المعارضة في فرنسا من أن تصل إلى الحكم سنة 1935م وهي الحكومة التي كان قد أطلق عليها حكومة "الجبهة الشعبية"، وكان الجزائريون ينتظرون منها الكثير، وخاصة بعد الوعود التي أطلقتها هذه الحكومة بتفعيل الحريات الديمقراطية في المستعمرات الفرنسية، مما جعل الأوساط السياسية في الجزائر تتفاعل مع هذه الوعود وتعبر عن مطالب الجزائريين بغية تحقيقها من طرف هذه الحكومة..أنظر:

– *Mohamed Guenaneche et Mahfoud Kaddache, Op,cit, p :110.*

(3) – Collot Claude et Henri-Jean Robert, Op,cit, p :64.

1936م كان ضربة لأبرز رجال الجمعية[1]، والذي ستفقده هذه الجمعية بعد تبرئته من هذا الاغتيال من قبل المحكمة سنة 1939م وينفرد بنشاطه الديني في إطار الاتجاه المحافظ.[2]

وبالفعل فقد سافرت لجنة منبثقة عن المؤتمر إلى باريس تحمل مطالب إصلاحية تمثل الحل الأمثل لتحقيق الإخاء الجزائري-الفرنسي، ولكن ما يؤخذ على ممثلي الجمعية من أنها وافقت على بند يدعوا إلى إلحاق الجزائر رأسا بفرنسا، وهذا من أجل تطبيق سياسة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع احتفاظ كل طرف بهويته القومية[3]، ولعل هذه الموافقة من لدن الجمعية جاءت بضغط من دعاة التجنس والمساواة خاصة اتحادية المنتخبين الجزائريين.

وقد لعبت صحف الجمعية دورا كبيرا في الدفاع عن مواقفها مثل قضية التجنيس التي أصدرت فتوى بتكفير من يتجنس باعتباره مرتدا عن الإسلام[4]، فقد جاء في رد لعبد الحميد بن باديس على فرحات عباس في مقال حول قضية التجنيس والإدماج حول نفي هذا الأخير لوجود أمة جزائرية حيث يقول بن باديس: «..لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على أثر..إننا نحن فتشنا

---

(1)- بشير بلمهدي علي، **مقتل المفتي بن دالي عمر المدعو "كحول" وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مجلة المصادر ع: 16، السداسي الثاني، الجزائر: دار الكرامة، 2007، ص-ص: 45-62.

(2)- ***A.N.O.M, 10H88****, Exposés faits aux cycles d'études du centre d'information et d'études central (1936-1940).*

(3)- محمود قاسم، **عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية**، مصر: دار المعارف، 1968 ص: 55.

(4)- صحيفة البصائر، عدد 95، سنة 1938، ص: 02.

في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا..». [1]

وهكذا فإن الجمعية بأدوارها المختلفة قد لعبت دورا بارزا في تاريخ الجزائر من خلال تكوين جيل متمسك بعروبته وإسلامه، واستطاعت أن تعطي مفهوما عميقا للعروبة والإسلام عن طريق الدفاع عن الهوية الوطنية، فكان من نتيجة ذلك أن انصهر هذا الجيل في العمل السياسي وحركة التحرر الوطني، كما أسهم هؤلاء الإصلاحيين في إضفاء بعض التغييرات الذهنية على العقلية الجزائرية وزرعت فيهم يقظة جعلتهم ينتبهون إلى ضرورة تغيير أحوال الجزائر مدركين في ذلك أن مسعاهم لن يتحقق إلا إذا تغيرت الأسباب التي جعلت الجزائر تعيش تلك الحالة المزرية ولا يتأتى ذلك إلا بإصلاح الدين وتنقيته مما علق به من الشوائب التي شوهته وأزالت عنه وظيفته الاجتماعية. [2]

(1)- عمار طالبي، **بن باديس حياته وآثاره**، بيروت: دار اليقضة العربية للترجمة والنشر، 1968، ج:03، ص: 308.

(2)- زيلوخة بوقرة، **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا**- مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر-باتنة: كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، 2009/2008، ص، ص: 116، 117.

رابعا: الطرق الصوفية والحرب العالمية الثانية (1939– 1945م):

لقد شهد العالم خلال نهاية صيف عام 1939م اندلاع الحرب العالمية الثانية والتي كانت فيها فرنسا إلى جانب بريطانيا بإعلانهما الحرب على ألمانيا في 03 سبتمبر 1939م[1]، تلك الحرب التي وجدت الجزائر نفسها مقحمة فيها باعتبارها إحدى المستعمرات الفرنسية، فانعكس ذلك على الأوضاع العامة فيها خاصة وأن فرنسا كانت ضعيفة في بلادها وفي الجزائر، فلا حكومة قوية ولا جيش على أهبة الاستعداد معنويا، فرغم تحصيناتها على الحدود الشرقية وتحالفها مع بريطانيا لم تسعفها قوتها للتصدي لقوات هتلر الخاطفة. [2]

وعليه عملت فرنسا للحفاظ على الهدوء بالجزائر وذلك للتفرغ للحرب هناك في أوربا فقامت بتضييق الخناق على أحزاب الحركة الوطنية[3] واعتقال زعمائها ومصادرة صحفها خاصة تلك التي تشكل خطرا بمطالبها، فمثلا نجد من الأحزاب التي تعرضت لهذا القمع حزب الشعب الذي تم تأسيسه عام 1937م لتقوم إدارة الاحتلال بمناسبة الحرب ع2 بحله في 29 سبتمبر 1939م[4] وتعتقل مناضليه وعلى رأسهم زعيم الحزب مصالي الحاج الذي حكم عليه بـــ 16 سنة سجنا مع الأعمال الشاقة. [5]

---

(1) – *M'hamed Youcfi,* ***L'O.A.S et la fin de la guerre d'Algérie****, Alger : édition entreprise nationale du livre, 1985, p :132.*

(2)– أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج: 03، ص: 173.

(3)– صلاح العقاد، **المغرب العربي** (**الجزائر تونس والمغرب**)، **دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1966، ط: 02، ص: 328.

(4)– جلال يحي، **العالم العربي الحديث والمعاصر**، الإسكندرية: المكتب الجامعي، 1998، ص: 685.

(5) –*Mohamed Harbi,* ***Le FLN (Mirage et Réalité), des origines a la prise du pouvoir 1945-1962****, Alger : ENAL, 1993, p :23.*

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رغم أنه لم يصدر قرار بحلها- لأنها في الظاهر غير سياسية- فقد تعرضت هي الأخرى لأشد عمليات القمع، فأمعنت الإدارة الاستعمارية في إخماد أنشطتها وتشديد الرقابة عليها ووضعت رئيسها بن باديس تحت الإقامة الجبرية، ونفت نائبه الإبراهيمي إلى أفلو في أفريل 1940م. (1)

في حين أن الحزب الشيوعي وعلى الرغم من صدور قرار حله في بداية الحرب(2) واعتباره محظورا، إلا أن أعضائه لم يتم اعتقالهم وبالتالي بقي نشاطهم مستمرا وهو نفس الحال بالنسبة للتيار الإدماجي الذي كان يقوده فرحات عباس الذي لم يتم حله ولا تجميد نشاطه. (3)

وإذا تحدثنا عن مواقف الجزائريين من اندلاع الحرب العالمية الثانية نجدها متباينة بين رافض للانضمام إلى جانب فرنسا وبين مؤيد لذلك، فقد جاءت البرقيات بوحي من السلطة الفرنسية طبعا تعلن فتوى رجال الدين (المفتون، القضاة، العدول، المرابطون..إلخ) الرسميين بوجوب الحرب مع فرنسا شرعا، وكان هذا هو عربون الولاء الذي حصلت عليه فرنسا من الجزائر(4)، وما يهمنا في هذا الصدد هو موقف الطرق الصوفية والتي ستناول شخصيات تحسب عليها ونتتبع من خلالها موقفها من فرنسا ومشاركتها في الحع2.

إذن كان قد توجه الحاكم العام الفرنسي "لوبو" (*Lobau*) إلى أهالي الجزائر في سبتمبر 1939م يدعوهم إلى مساندة فرنسا والوقوف في صفها ضد النازية، فكان ممن استجاب له بعض

---

(1) – *Mohammed Teguia, Op, cit, p,p :35,36.*

(2) – *Emmanuel Sivan,* ***Communisme et Nationalisme en Algérie 1920- 1962****, paris : presses de sciences, 1976, p :109.*

(3) - *Agéron ,* ***Histoire de L'Algérie Contemporaine****...Op, cit, p : 599.*

(4)- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**..ج: 03، المرجع السابق، ص: 173.

رجال الدين الرسميين وبعض المرابطين وبعض شيوخ الزوايا نذكر منهم "قاسمي مصطفى" وبوعزيز بن قانة شيخ العرب والكثير من أئمة المساجد والشيخ " قدور بلحول" شيخ الطريقة القادرية بزاوية وادي الخير بمنطقة شلف الذي أبدى تضامنه وتأيده لحكومة "فيشي" الموالية للألمان. (1)

وبالرغم من عدم مشاركة أي دول إسلامية إلى جانب دول المحور على عكس ما كان عليه الأمر فترة (الح ع1) إلا أن الإدارة الاستعمارية قد سارعت في 31 ماي 1941م إلى تنظيم تجمع كبير في الجامع الأعظم جمع المرابطين وأتباعهم إضافة إلى الطيب العقبي وهو من الإصلاحيين، وكذلك السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية وذلك من أجل كسب تأييدهم والدعاء لها بالنصر ضد أعدائهم الألمان، مما أعطى لهذا الاجتماع طابع "الاتحاد المقدس" خاصة بعد الإعلان الذي نشره "الشيخ مصطفى القاسمي" لأتباع الزوايا وأنصارها، كما أقيمت دعوات مماثلة في جميع مساجد العمالات الثلاث في نفس اليوم. (2)

وتستثنى بعض المواقف خلال هذه الفترة ومن أمثلة ذلك نذكر الشيخ "محمد الأمين" شيخ القادرية بزاوية الرويسات القادرية الذي تصفه التقارير الفرنسية بالشخص المريب أثناء فترة (الح ع2) (1942-1943م) وحسب التقرير أنه كان أحد دعاة التحالف مع دول المحور. (3)

وفيما يتعلق بالطريقة التجانية فإنها لم تتغير في سياستها مع فرنسا منذ أكثر من مائة عام، ففي رسالة لأحمد التجاني شيخ زاوية تماسين الفرع الثاني للزاوية الأم مؤرخة في 23 ديسمبر 1942م

---

(1) – ***A.N.O.M, 9X306,*** *Jacques carret, le maraboutisme…* ***Op, cit, p,p :22,23.***

(2)– عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، قسنطينة: دار مداد 2009، ط: 02، ص: 260.

(3) – ***A.N.O.M, 16H39,*** *Territoire du Sud, étude sur les confréries religieuses (1895-1955).*

وموجهة للحاكم العام عنوانها "أحب فرنسا وأخدمها" يبين فيها مدى دعمه اللامحدود لفرنسا في حربها وأنه على ثقة بانتصارها فهي مدعومة بإرادة الله حسب تعبيره..وختمت الرسالة بتوقيع أحمد التجاني.[1]

ثم إن عددا كبيرا من الجنود كان منتسبا إلى هذه الجمعيات، فإن ممثلين عن الطرق الصوفية الكبرى كانوا يقومون بزيارة الجرحى في المستشفيات ويحتفلون معهم بالأعياد الإسلامية ويساهمون من خلال مواعظهم الدينية في الحفاظ على معنويات الجنود المسلمين إبان الح ع2، وقد بقي حضور الطرق الصوفية في أوساط المهاجرين محتفظا بكامل أهميته حتى بعد إنتهاء هذه الحرب.[2]

كما عملت الإدارة الاستعمارية خلال هذه الفترة على تفعيل مجموعة من الإصلاحات تهدف من خلالها استرضاء جزء من الشعب الجزائري، فمن خلال الخطاب الذي ألقاه ديغول في قسنطينة عام 1943م الذي طرح فيه فكرة القيام ببعض الإصلاحات موجهة للجزائريين المسلمين منها إعطاء حق المواطنة الفرنسية الكاملة لعدة عشرات الآلاف من المسلمين الفرنسيين في الجزائر دون شرط التخلي عن الأحوال الشخصية، والرفع من نسبة المسلمين الفرنسيين في الجزائر داخل الجمعيات التي تنظر في القضايا المحلية، وتنفيذا لهذه القرارات أصدرت اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني يوم 14 ديسمبر 1943م قرارا كلفت بموجبه المندوب السامي الجنرال "كاترو" بتشكيل لجنة تسند إليها مهمة وضع برنامج للإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لفائدة

(1) – ***A.N.O.M, 10H88,*** *Op, cit.*

(2)– صادق سلام، **فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895– 2005**...المرجع السابق، ص: 86.

المسلمين الجزائريين لتشرع هذه اللجنة في عملها في 21 ديسمبر 1943م وأخذت تستمع لآراء الزعماء السياسين والأعيان الجزائريين ومنهم شيخ الزاوية السنوسية. [1]

كما استمعت اللجنة إلى الموالين لفرنسا والمدافعين عن حق المواطنة الفرنسية دون التخلي عن الإطار الإسلامي للأحوال الشخصية، ومن بين هؤلاء شيخ العرب ابن قانة والشيخ ابن تكوك شيخ الزاوية السنوسية، والشيخ الساحلي أمقران الناطق باسم أعيان منطقة القبائل والأغا سليمان رئيس الفرع العربي للمندوبيات المالية، وكذلك الدكاترة عبد السلام طالب وابن جلول وخضري وعبد النور طامزالي وروني فضيل والشيخ الطيب العقبي وعمار أوزقان. [2]

وبرغم هذه الاستشارات الواسعة فإن هذه اللجنة التي عينها ديغول لم تستجب لا لمطالب الوطنيين ولا لمطالب رجال الدين الرسميين ورجال الطرق الصوفية الذين تمت استشارتهم والمتمثلة أساسا في حق المواطنة الفرنسية دون التخلي عن الإطار الإسلامي فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

إذن هذه أهم المواقف التي تم رصدها في هذه الفترة حول موقف الطرق الصوفية من (الح ع2)، أما فيما يتعلق بالفترة التي تلت الحرب (1945- 1954) شرعت فرنسا في إعادة بناء مؤسسات وهياكل الدولة الفرنسية، فأقرت العفو العام وبدأت في تنظيم الانتخابات في كل من الجزائر وفرنسا، مما نتج عنه إعادة بناء الحركة الوطنية وتجديد النشاط السياسي، وفيما يلي أهم المحطات التي يمكن من خلالها رصد مواقف الطرق الصوفية، إضافة إلى ذلك الصراع والتنافس الذي كان بين الطرق الصوفية وجمعية العلماء في مختلف المناسبات السياسية.

---

(1)- محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ج: 01، ص، ص: 37، 38.

(2)- نفسه، ص، ص: 38، 39.

- ففي النصف الأول من سنة 1945م قام والي قسنطينة بأربع زيارات للشيخ "عمر بلحملاوي"، كانت الأولى في 14 فيفري 1945م وكان قد وعده خلال هذه الزيارة بتحسين ظروف المسلمين الجزائريين بعد انتهاء الحرب، وجاءت الزيارة الثانية يوم 20 فيفري أي بعد أسبوع من الزيارة الأولى، أما الزيارة الثالثة فكانت يوم 11 ماي، والرابعة في الأول من جوان من نفس السنة، أي بعد انتفاضة 08 ماي 1945م في إقليم الشرق الجزائري والهدف من خلال هذه الزيارات المتكررة حسب الباحث "محمد شرقي" هو إقناع بعض الفاعلين من شيوخ الطرق الصوفية في الجزائر للقيام بزيارة رسمية إلى فرنسا وألمانيا للوقوف على حجم الدمار الهائل والخراب الذي تسببت فيه النازية، والواضح من أن الشيخ عمر قد قبل العرض وقام بزيارة فرنسا وألمانيا وتقابل مع عدة شخصيات سياسية في باريس ثم رجع إلى الجزائر في 08 أوت 1945م.[1]

- وفي خريف 1945م قامت الإدارة الاستعمارية ممثلة في الوزير المفوض "ايف شاثينو" (*Yves Chataigneau*) بزيارة إلى "أولاد شفاعة" أين قام هذا الأخير بتقليد شيخ السنوسية "عبد القادر بن طكوك" بقلادة "جوقة الشرف" عرفنا منها للولاء الذي قدمه شيوخ الطرق الصوفية لها، وفي ديسمبر 1945م رغب الجنرال "ديغول" رئيس الحكومة في تخصيص استقبال للشيخ طكوك في باريس للاستماع إليه فيما يتعلق بالمشكلة الجزائرية. [2]

---

(1)- رياض بودلاعة، المرجع السابق، ص، ص: 70، 71.

(2)- نفسه، ص: 71.

- وفي 08 ماي 1945م خرج الشعب الجزائري في مظاهرات بمثابة رد فعل عفوي لما قدمه من تضحيات أثناء الح ع 2 وتذكير فرنسا بوعودها، إلا أن رد فعل القوى الاستعمارية كان عنيفا وقويا على شعب أعزل، وهذا بارتكابها مجازر رهيبة في حق الشعب الجزائري.(1)

كانت تلك الحوادث دامية ومأسوية، ففي هذا الصدد يقول شارل أندري جوليان في كتابه "إفريقيا الشمالية تسير": «..لقد كان القمع ضاريا لا يرحم، وفي الحقيقة خال من الإنسانية لأنه كان فاقدا للتمييز..»، وقال صحافي آخر: «..أبدا في الحقيقة ..منذ عام 1842م ومنذ المارشال "سانت أرنو" لم تعرف الجزائر حتى في أيامها السوداء في تاريخها قمعا أكثر ضراوة ضد شعب لا يملك وسائل الدفاع في الطرقات، في الدروب، في الحقول، في الشعاب، في الأودية، ليس هناك إلا جثث مبقورة هنا وهناك قرى بكاملها سحقت، مبادئ الإنسانية انهارت تحت الرصاصات القاتلة..».(2)

وعلى إثر هذه الأحداث قام الحاكم العام بزيارة لمنطقة "بوسعادة" حيث أدى زيارة لزاوية الهامل وشيخها "مصطفى القاسمي" رئيس اتحاد الزوايا الدينية الجزائرية وهذا لإعطائه فرصة يجسد فيها ارتباطه بفرنسا ويقوم بتهدئة العامة عقب أحداث 08 ماي 1945م.(3)

- كما لا يفوتنا أن نذكر بموقف زوايا منطقة القبائل التي انقسمت بين مؤيد ومحايد لانتفاضة 08 ماي 1945م فالزاوية الرحمانية "سيدي عمار الشريف" ببلدية "أبوو" (سيدي داود حاليا)

---

(1)- عامر رخيلة، **08 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1995م، ص: 60.

(2)- محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية**.. المرجع السابق، ص، ص: 208، 209.

(3) – ***A.N.O.M, 16H81,*** *Services des Liaisons Nord Africaines (G.C), bulletin mensuel des questions islamiques (1945-1953).*

جعلت المنطقة تشهد تأجيجا للأمن العام في 10 أوت 1945م، مما عرض هذه الزاوية لحجز أملاكها ومصادرتها من طرف سلطات الاحتلال. [1]

أما زوايا الرحمانية بمنطقة "أزفون"، "تميزار" وغيرها فإن سلطات الاحتلال لم تتخذ اتجاهها أي إجراء ردعي نظرا لموقفها المسالم من أحداث 08 ماي 1945م.

وبعد عودة النشاط السياسي في الجزائر بعد انتهاء (الح ع2) تطلع شيوخ الزوايا والطرق الصوفية على غرار قادة ومناضلي التيارت الوطنية إلى لعب دور في هذا النشط السياسي، حيث ترشح بعضهم لانتخابات بعض المجالس، ومنهم من ساند مترشحين من تيارات وأحزاب مختلفة ومنهم من ساند ممثلين مستقلين عرفوا بولائهم للإدارة الاستعمارية.

- ففي الانتخابات العامة التي جرت في 10 نوفمبر 1946م وانتخابات مجلس الجمهورية الفرنسية في ديسمبر 1946م وقفت الطرق الصوفية منها موقف المؤيد للقوائم المعتدلة وذلك حسب التقارير الفرنسية. [2]

- وعلى نفس المبدأ ساند شيوخ الطرق والزوايا القوائم المعتدلة خلال الانتخابات المحلية لعام 1947م، لكن هذه القوائم قد فشلت أمام قوائم الأحزاب الوطنية، ومن بين هؤلاء الشيوخ نجد شيخ زاوية الهامل مصطفى القاسمي الذي تصفه التقارير الفرنسية بأنه أصيب بخيبة أمل بسبب فشل القائمة التي ساندها على مستوى منطقة بوسعادة. [3]

---

(1) – ***A.N.O.M, 93/4491,*** *G.G.A, S.L.N.A, les confréries religieuses en Algérie, 1951.*

(2)- رياض بودلاعة، المرجع السابق، ص: 85.

(3)- نفسه، ص: 85.

- بعد صدور دستور 1947م القاضي بفصل الدين المسيحي أو الكنيسة عن الدولة، وأثناء انعقاد مؤتمر الزوايا والطرق الصوفية في مارس 1948م أجمع المؤتمرون على أن مسألة فصل الدين عن الحكومة العامة مسألة منافية للعادات والتقاليد الإسلامية، كما دعوا إلى إسناد ممتلكات الوقف إلى هيئة رجال الدين الرسمين (المفتين) حتى لا تقع في يد علماء الجمعية.[1]

- في 15 مارس 1948م "تأسست جامعة الزوايا للشمال الإفريقي" نتيجة للتطورات التي شهدتها الساحة السياسية في الجزائر بعد أحداث 08 ماي 1945م، وكان هدف هذه الجمعية التي ترأسها " مصطفى قاسمي"[2] هو إعطاء حركية جديدة للجمعيات الدينية، واسترجاع المكانة الحقيقية للزوايا وشيوخها بعد فترة الصراع المرير ضد جمعية العلماء المسلمين، حيث اجتمع حوالي (120) من شيوخ الزوايا في زاوية "محمد بن عبد الرحمن الأزهري"[3]، ليتفق المجتمعون على النقاط التالية:

- العمل على تمتين الروابط الداخلية بين رؤساء الزوايا وبينهم وبين مريديهم.

- الالتزام بمنهج القرآن الكريم وحث المسلمين على حفظه وخدمته والاهتداء بهديه لأنه المنهج الوحيد لهذه الأمة.

- الحث على التعليم العربي الإسلامي في الزوايا والمعاهد الدينية وتشجيع المسلمين على ذلك.

---

(1)- بشير بلمهدي علي، **الخطاب الديني في الجزائر**...المرجع السابق، ص: 185.

(2) – ***A.N.O.M, 16H81,****Op, cit.*

(3)- مصطفى عبيد، **جامعة الزوايا للشمال الإفريقي 15 مارس 1948م تركيبتها الإدارية ومشاريعها**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 06، 2013، ص: 57.

- إلتزام الجامعة بعدم الدخول في القضايا السياسية ما عدا تلك التي لها علاقة بالدين الإسلامي. (1)

إذن لقد كانت المصالح الفرنسية تشكك كثيرا وبصريح العبارة في مدى وجدية ومصداقية الحياد التي كان يبديها شيوخ بعض الزوايا، وهم وإن كانوا يختلفون مع الحركة الإصلاحية في توجهاتها وكذا دعوة أتباعهم ومريديهم إلى الالتزام بالهدوء، إلا أن ذلك لم يمنع من تخوف الإدارة من أن هؤلاء يبدون نوعا من التعاطف وربما الرغبة في الانضمام إلى صفوف الحركة الوطنية، ومن أن الموقف الحالي المهادن منها ما هو إلا إستراتجية مؤقتة أملتها ظروف الاحتلال الحاصل في ميزان القوى بين أجنبي قوي وأهالي ضعفاء. (2)

وهكذا يتضح لنا امتداد نشاط شيوخ الطرق الصوفية من الميدان الديني والتعليمي والاجتماعي إلى الميدان السياسي خدمة لمصالحهم الشخصية، وكذلك مواجهة منافسيهم من الإصلاحيين، ذلك أنهم قد حصلوا على عهدات انتخابية في مختلف المجالس، وتميزت مواقفهم بالتباين بين الوقوف في وجه مختلف التيارات الوطنية وبين المساندة والانضمام إليها خاصة منها التيار الاستقلالي.

(1)- مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص: 63.

(2)- ودان بوغفالة، **تقارير سرية عن مؤسسة الزوايا والطقوس الدينية عشية الثورة الجزائرية- قراءة في وثائق الأرشيف الفرنسي لمنطقة تيارت**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد خاص، أفريل 2008، ص: 349.

خامسا: الطرق الصوفية وموقفها من الثورة التحريرية 1954م:

إنّ اندلاع الثورة التحررية في الفاتح من نوفمبر 1954م، لم يكن إلا تتويجا لمجهودات نضالية طويلة، ولمخاض عسير ظلت الساحة السياسية الجزائرية تعانيه لفترة طويلة، وكانت مجازر الثامن ماي 1945م إحدى زفراته الحادة، بل هي المرحلة الحاسمة في بلورة النهج الثوري وإعلان ميلاد الحالة الثورية، كحالة لا بد منها للعملية الثورية، التي كان حدوثها حتميا وإن تأخر لقرابة عقد من الزمن.

وتعتبر سلسلة العمليات العسكرية وشبه العسكرية –التخريبية- التي انفجرت ليلة الأول من نوفمبر 1954م عبر كامل التراب الجزائري أول قضية كان المطلوب فيها من الجزائريين تحديد موقفهم وإبداء رأيهم بشأنها خلال فترة الكفاح التحرري، فما هو الموقف الذي أبداه شيوخ الطرق الصوفية من اندلاع الثورة؟ وهل كانت تلك المواقف في مستوى تطلعات هؤلاء المفجرين؟

إذن ومع بداية الثورة وانتشار أخبارها وتوسيع رقعتها وتسجيل عدة أحداث تحولت اللجنة الثورية للوحدة والعمل إلى منظمة جديدة تدعى "جبهة التحرير الوطني" و"جيش التحرير الوطني" فأصدرت هذه الأخيرة بيانا هاما يوضح طبيعة الأحداث التي شهدتها الجزائر في تلك الليلة ومن كان ورائها، وفي صبيحة أول نوفمبر وزع البيان على الجزائريين وأذيع على العالم من طرف إذاعة القاهرة، حيث استهل البيان الثوري بتقديم لمحة تاريخية عن المقاومات المتتالية ضد الاحتلال والكفاح الذي خاضه الجزائريون منذ بداية الاحتلال الظالم الذي حكم على المقاومة بالفشل في تحقيق هدفها الجماهيري، وموضحا هذا البيان أن الجبهة باب مفتوح لانخراط جميع المواطنين والأحزاب والمنظمات الجزائرية الراغبة في الكفاح المسلح ضد الاستعمار.[1]

(1)- مخلوف صادقي، **وقفة تذكير بتاريخ الثورة**، الجزائر: منشورات الحياة الصحافة، 2012، ط: 01، ص: 09.

وفي هذا الظرف الحساس وجد شيوخ الطرق الصوفية أنفسهم أمام أمر حاسم، إما الانضمام إلى الهبة الشعبية والدخول تحت لواء جيش التحرير، وإما مواصلة المشوار في ظل الإدارة الفرنسية أو الحياد والعزلة وإلا الهجرة والابتعاد عن ميدان الثورة، ومن هنا يتجلى موقف كل طرف فالثورة انطلقت ولا مجال للرجوع إلى الخلف، وحتمية رفع السلاح ضد فرنسا أمر لا مفر منه. (1)

وأما عن رجال الطرق الصوفية فلم يكن موقفهم هو الآخر موحدا فمنهم من اتخذ موقفا معاديا للثورة منذ الوهلة الأولى، ومنهم من كان موقفه إلى جانبها مدعما إياها بالمال والطلبة فبعد اندلاع الثورة أصدرت قيادتها أمرا يقضي بمحاربة بعض المرابطين الذين عرف عنهم خدمة الاستعمار، محملة إياهم مسؤولية تخلف وذهاب اليقظة في أوساط الشعب الجزائري وتقديم الدعم للإدارة الاستعمارية ، وعليه انعكس ذلك سلبا على استمرار هذه الزوايا في شكلها الطبيعي قبل اندلاع الثورة، وجعل شيوخ هذه الزوايا يواجهون صعوبات كبيرة أهمها نقص الموارد المالية التي كانت المصدر الأساسي في تمويلها نتيجة عزوف زيارها الذين أصبح عددهم قليلا بسبب أحداث الثورة (2)، وهكذا لم يبق للشيوخ شيء من الامتيازات اللهم إلا توزيع الصدقات وإيواء البؤساء والمحتاجين، ما يدل على أن وضعيتهم المادية أصبحت حرجة وصعبة جدا. (3)

ومن هنا قد جاءت المواقف الأولية لبعض شيوخ الطرق والزوايا مؤيدا لفرنسا ورافضا لعمليات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م التي عرفتها الجزائر، حيث نجد في برقية أرسلها شيوخ

---

(1)- عبد القادر ولد أحمد، **الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية في منطقة تلمسان 1901- 1954**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجيلالي ليابس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2018/2017، ص: 232.

(2)- عزيز خثير، **قضايا في الحركة الوطنية من خلال نشرية القضايا الإسلامية سنوات 1954- 1955- 1956** الجزائر: دار الخليل، (د.ت)، ص:153.

(3)- بشير بلمهدي علي، **الخطاب الديني في الجزائر**..المرجع السابق، ص: 259.

طرق وزوايا عمالة قسنطينة عشية العمليات إلى السلطات الاستعمارية ما يلي:«..إن شيوخ الطرق الدينية الإسلامية لمقاطعة قسنطينة هم في حالة تأثر وسخط من الحوادث الدموية التي تعرفها الجزائر حاليا وهم يحيون بإجلال الضحايا الأبرياء وينحنون بألم أمام جثث الموتى..إننا نعبر لكم من جديد عن عواطفنا العميقة لوفاء المسلمين وارتباطهم العميق بالوطن الأم، وندعوا الله العظيم أن يعود السلم والأمن للبلاد وإلى قلوب وعقول كل السكان..». [1]

لكن للأمانة لا بد عند الحكم على مثل هذه الأمثلة أن نضعها في إطارها الزماني فاندلاع الثورة وقيادتها في بدايتها كان أمرا مجهولا وغامضا بالنسبة لهؤلاء، وهو أمر لا ينفك عن باقي الأحداث التي شهدتها الجزائر قبلا، وربما هي حيطة وحذر من هؤلاء الشيوخ إتقاءا للانتقام الفرنسي منهم، وهي مواقف لا تعبر إلا عن أصحابها، ولا تعبر لا عن الطرق التي ينتمون إليها ولا عن مريديهم، ذلك أن بعض المريدين راسلوا شيوخهم على مستوى الزوايا يهنئونهم باندلاع الثورة التي يقودها جيش التحرير ويطالبونهم بواجب الصمت وأن لا يصدروا أحكاما أو نقدا للأحداث حتى لا يتعرضوا لسوء.[2]

وفي نفس السياق أورد الباحث "مولود قاسم نايت بلقاسم" في كتابه "ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر" قائلا: «..إن الباشاغوات والأغوات والقياد والشنابط والمفتون

---

(1)- الشيوخ الذين أمضوا على البرقية هم: الشيخ بلحملاوي عمر شيخ الطريقة الرحمانية، الشيخ زواني شيخ الطريقة العمارية، الشيخ أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية، الشيخ عثماني حاج عبد الرحمن شيخ الرحمانية في الجنوب، الشيخ حافظي لمين شيخ الطريقة الرحمانية في الأوراس وخنشلة..أنظر:

-***A.N.O.M, 16H80,*** *préfecture de Constantine, SLNA, bulletin mensuel des question islamiques, mois d'octobre et novembre 1954, p :02*

(2)- بشير بلمهدي علي، **الخطاب الديني في الجزائر**..المرجع السابق، ص: 242، وأيضا: عزيز خثير، المرجع السابق ص: 156.

وشيوخ الطرق الصوفية وقدماء المحاربين والنواب في المجلس المسمى بالجزائري وفي البرلمان الفرنسي..قد أغرقوا الحكومة الفرنسية بالبرقيات طمعا في طول البقاء والترقيات..مجددين لها التعبير عن ولائهم . »[1]، وذكر أيضا أن شيوخا مثل بالحملاوي وزواني وعثماني والتيجاني والأمين الحافظي ومفتي قسنطينة قد أرسلوا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ورؤساء المجالس الكبرى في فرنسا ببرقيات يؤكدون فيها ولائهم لفرنسا وتعلقهم بها ويطلبون العقاب الصارم للمتمردين ».[2]

وعلى إثر زيارة قام بها الحاكم العام للجزائر "روجي ليونار" (*Roger Léonard*) إلى الجنوب الجزائري في منتصف شهر ديسمبر 1954م حيث صرح قائلا: «..إن الفوضى قد توقفت عند أبواب الصحراء..»، وعبر عن ثقته في سكان الصحراء وعن كامل عرفانه لأحمد التجاني الذي قال فيه أنه عرف كيف يكون في آن واحد مسلم عظيم وفرنسي عظيم، وذلك لإرشاداته التي قدمها للسكان..وأضاف قائلا: «..وأريد أيضا أن أشكر كل من هو مع سي أحمد يمثل في هذا البلد العادات الأصيلة للإسلام، كل من يريد إبقاء نقاوة الجماهير المسلمة من شيوخ زوايا القادرية، الرحمانية، التجانية..الذين أكدوا في الحال بعفوية تقصي كل تحفظ ثقتهم في فرنسا إنهم يعرفون جيدا هؤلاء العقلاء ذوي المكانة المميزة أن فرنسا هي أفضل حامي للإسلام، وأنها جعلت من حرية المعتقد واحدا من مبادئ عقائدها الأساسية وأنها لن تسمح أبدا بالمساس بالدين الذي اختاره سكان هذا البلد بحرية وأنها تريد أن نكون كلنا متحدين في ظل المحبة الأخوية..».[3]

إذن أصبح الوضع يغلب عليه الترقب والحيطة والحذر خصوصا لدى شيوخ الزوايا، فقد أحدثت الثورة خللا في نظام عمل الزوايا، وتعرض البعض من شيوخها للقتل والخطف والتهديد

---

(1)- مولود قاسم نايت بلقاسم، **ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر**، قسنطينة: دار البعث، 1984 ص: 91.

(2)- نفسه، ص: 95.

(3) – *La dépêche de Constantine, 17 décembre 1954.*

من طرف الجبهة، وعلى سبيل المثال ما تعرض له كل من شيخ زاوية "بوجليل" وأحد المرابطين بدوار "مهنة" (بلزمة) لعملية التصفية الجسدية، بالإضافة إلى "الشيخ لعرج" شيخ الزاوية الزيانية بالقنادسة فقد تعرضت سيارته هو الآخر للحرق [1]، وقامت بإعدام مفتي مدينة بجاية وإمام مدينة بوسعادة وجرح إمام البليدة الذي تعرض لمحاولة إغتيال، واستقالة إمام "زمورة" خوفا من التهديدات التي تعرض لها من قبل جبهة التحرير، أما مثل هؤلاء فتصفهم تقارير الإدارة الفرنسية بأنهم دفعوا حياتهم لأجل فرنسا نتيجة شجاعتهم وارتباطهم بفرنسا فأصبحوا هدفا للثوار. [2]

ويضيف "جاك كاريت" (*Jaques Carret*) أنه منذ نوفمبر 1954م أظهر قادة الزوايا صدقهم ونزاهتهم تجاه فرنسا، حيث أن حوالي عشرين منهم قد دفعوا أرواحهم بفعل مواقفهم الشجاعة. [3]

وتأكيدا منه لما تعرض له هؤلاء الشيوخ نتيجة مواقفهم المؤيدة لفرنسا يذكر النقيب "زوبيس" (*Zoppis*) مساعد رئيس الشعبة السياسية بعمالة قسنطينة بأنه: «..إذا كانت الثورة قد فاجأت الطرق الدينية بصفة كاملة فيمكننا أن نسجل بأن النداءات للجهاد الواردة من العناصر الإصلاحية بالقاهرة والشرق الأوسط بقيت دون تأثير، وأن الحركات الجماعية التي كنا نعتقد بوقوعها في وقت معين لم تقع بفضل موقف شيوخ الطرق، فغالبيتهم أبقوا على ولائهم والكثير منهم دفعوا

---

(1)- بشير بلمهدي علي، **موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى 1954- 1956**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 264.

(2)- نفسه، ص، ص: 268، 269.

(3)- *Jaques Carret, le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes... Op,cit, p:16.*

أرواحهم مقابل مواقفهم الشجاعة وأن دائرة بجاية قد عرفت العديد من اعتداءات الثوار حيث كانت الطريقة الرحمانية هي الأكثر تأثيرا..». [1]

ومن هؤلاء الشيوخ كذلك من بات لا يتجرأ حتى على الخروج من بيته، ومنهم من أصبح يفكر جديا في الهروب من الجزائر وإلحاق زوايته بدول شقيقة مثل ما فعل "شيخ لعرج" بالقنادسة سالف الذكر عندما طالب بإلحاق زاويته بالمغرب الأقصى.[2]

لكن هذه المواقف لا تعكس نفس توجهات الطرق الصوفية الأخرى فقد كان من هؤلاء الشيوخ من اتخذ موقفا إلى جانب الثورة وأصبح مدعما إياها بالمال والسلاح والرجال، ومن هؤلاء الشيوخ من قد تطورت مواقفهم لصالح الثورة خاصة بعدما اتضحت الرؤيا بعد هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955م فكانت لهم ولزواياهم ومريديهم إسهامات كبيرة فيها.

وفي هذا الصدد يتحدث أحد مفجري الثورة "حسين آيت أحمد" أيضا عن إسلام الطرق الصوفية الذي كان الأفضل بالنسبة لهم، والذي كون فيهم الوعي الشخصي، وروح المسؤولية والتضامن الاجتماعي، ويختم مذكراته بالحديث عن بدء سبيل الثورة والذي كان يتضح أمامه بالآمال التي تتنامى في شعب مقاوم من أجل استقلاله. [3]

ثم إن مصطلح الجهاد والمجاهد والشهيد وحب الاستشهاد قد استعملت من قبل شيوخ الزوايا وعلمائها لدفع أتباعها للقتال والدفاع عن الأرض، وتداولتها ثورة أول نوفمبر مستلهمة من التجربة التاريخية لنضال الشعب الجزائري ضد الوجود الاستعماري طوال فترة الاحتلال انطلاقا

---

(1) –***A.N.O.M, 93/4491,*** *point de vue sur les confréries et zaouïas de l'est algérien 18 juin 1958, p :06.*

(2)– عزيز خثير، المرجع السابق، ص، ص: 153، 154.

(3) –*Hocin Ait-Ahmed,* ***Mémoire d'un Combattant l'esprit d'indépendance 1942-1952*** *Alger, édition barzakh, , 2009, p,p :7,10,227.*

من أن للثورة الجزائرية بعدا شعبيا، ذلك البعد الذي أعطاها القوة المحركة المتواصلة، باعتبار أن القواعد الشعبية هي المحرك الرئيس لها، فالتف الجزائريون باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والعقائدية، فنجد العدد الكبير من أعضاء الزوايا ومعلميها ومحبّيها وأساتذتها وطلبتها قد شاركوا في الكفاح المسلح، وفي هذا رد صريح وواضح على ادعاءات السلطات الاستعمارية وتخبطها في تحديد هوية الثورة الجزائرية بوصفها تمرد، عصيان، غليان، أعمال شغب...، ولو جاءت جبهة التحرير الوطني بغير هذا لما اجتمع الناس حولها، واعتبروها ضربا من ضروب التنافس السياسي العقيم الذي طبع الحركة الوطنية في تلك الفترة. (1)

ومن أهم ما يجب ذكره هنا أن الكثير من مناضلي الحركة الوطنية والثورة الجزائرية قد تعلموا في مدارس الزوايا أبجديات القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم قبل الالتحاق بمدارس جمعية العلماء أو المدارس الفرنسية، ألم ينتسب مصالي الحاج إلى الطريقة الدرقاوية في شبابه؟ ألم يعش آيت أحمد في بيئة دينية تقليدية، فقد كان جده الشيخ محمد الحسني المتوفى سنة 1901م مرابطا وأحد شيوخ الطريقة الرحمانية، ألم يترعرع الرئيس السابق أحمد بن بلة في وسط ديني محافظ، فقد كان والده مقدم الطريقة المكاحلية في مدينة مغنية، كما أنه يقول عن نفسه في إشارة إلى اعتزازه بانتمائه الطرقي أن الأوراد والذكر لا يزال رنينها في أذنيه وكذلك الشأن بالنسبة للعقيد لطفي وغيرهم كثير(2)، ذلك أن أتباع الزوايا لم يترددوا في الالتحاق بالثورة وتدعيمها بكل الإمكانات المتاحة لديهم، ومن المواقف المشرفة لأفراد وأسرة الهاشمي شيخ الطريقة القادرية بواد سوف ما قام

(1)- الهادي أحمد تمام درواز، **صقور الصحراء**، الجزائر: دار هومة، 2006، ص، ص: 13، 14.

(2)- محمد مكحلي، **دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 281.

به أحد الأبناء حين تبرع بقصر الباي بتونس الذي اشتراه عام 1946م إلى الثورة التحريرية حيث رفع فيه علم الجزائر ونصبت فيه أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية. (1)

والمتتبع لبعض مواقف هؤلاء الشيوخ يقف على هذه الحقيقة، من الذين أجبرتهم الثورة مع تطورها وانضمام الجماهير إليها على تغيير مواقفهم وإلتزموا بالاعتدال في مواقفهم من هؤلاء نذكر بعض شيوخ زوايا القبائل الصغرى كالشيخ "مقران محمد السعيد" شيخ زاوية إسحنون (بفور ناسيونال) "الأربعاء نايت إيراثن" والشيخ "آيت عيسى محمد الطاهر" شيخ زاوية (تومنين) بتقزيرت والشيخ "الضاوي محمد شريف" شيخ زاوية سيدي منصور، الذين أرسلوا رسالة إلى رئيس المجلس الجزائري والوزير المقيم في الجزائر يرفضون فيها سياسة الإدماج والحفاظ على الهوية الوطنية ويطالبون بالاعتراف بالهوية الجزائرية. (2)

ويضاف إلى هذا مبادرة الشيخ أحمد بن محمد (المدعو حمة) بن محمد العيد شيخ زاوية "تماسين" والذي كان من المؤيدين للإدارة الاستعمارية عشية اندلاع الثورة، نجده لاحقا يعارض بصفة جلية تلك الإصلاحات التي طرحها الحاكم العام"جاك سوستال" (*Jaques Soustelle*) (3) التي تمس بقانون الأحوال الشخصية حيث

---

(1)- محمد مجاود، المرجع السابق، ص: 324.

(2)- بشير بلمهدي علي، **الخطاب الديني في الجزائر**..المرجع السابق، ص: 257.

(3)- جاك سوستال (*Jaques Soustelle*) تولى مهامه كحاكم عام على الجزائر في 15 فيفري 1955م في حكومة "إدغار فور" (*Edgar Faure*) ومن المبادئ التي اتخذها في سياسته أن اعتبر الجزائر مقاطعة فرنسية لها طابعها الخاص وتقدم بمجموعة من الإصلاحات من أبرزها إصلاح نظام البلديات كاملة الصلاحيات المنافي لمبدأ المساواة، واعتماد مبدأ المساواة بين الهيئتين المسلمة والأوربية وترقية الدواوير إلى بلديات مصغرة ذات طابع محلي لإشراك الفعاليات المحلية في حل مشاكلها اليومية وفتح مجال التوظيف أمام المسلمين الجزائريين، وكذا الموافقة على استقلالية الدين الإسلامي عن الإدارة الاستعمارية وقد وافق على مشروعه هذا البرلمان الفرنسي في 26 جوان 1955م.. أنظر: لغالي غربي، **فرنسا والثورة الجزائرية 1954– 1958**، الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع، 2009، ص: 207.

أمضى بصفته زعيم ديني خلال سبتمبر 1955م على مقترح ضد الإدماج الذي يهـــدد حريـــة ممارسة الدين الإسلامي وقانون الشخصية الإسلامية[1]، كما أدان بشدة سياسة القمـــع الأعمـــى الذي كان يضرب الأبرياء بسبب تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية على إثـــر هجومـــات الشـــمال القسنطيني وطالبوا بالوقف الفوري لهذا القمع.

كما بعث شيخ الزاوية الرحمانية في (واد سقان) "عمر بلحملاوي" برسالة إلى الحاكم العـــام "جاك سوستال" خلال شهر أكتوبر 1955م أكد فيها على ضرورة أن تأخذ الحكومة الفرنسية بعين الاعتبار التقاليد الدينية الإسلامية في الإصلاحات التي تريد القيام بها، وعدم المساس بأي حال من الأحوال قانون أحوالنا الشخصية بصيغة الإدماج..كما أدان أعمال العنف المنافيـــة لتعـــاليم الإسلام.[2]

وعلى نفس المنوال أرسل "الشيخ لعرج عبد الرحمن" شيخ الزاوية الزيانية في القنادسة ببشـــار رسالة مطولة إلى رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي" (*Guy Mollet*)[3]، شرح مـــن خلالهـــا طبيعة الأزمة في الجزائر، ثم إقترح جملة من الإجراءات لحل المشكل الجزائري، مؤكدا بأن القضـــية سياسية وقد طرحت منذ سنة 1919م، ولكن لا أحد من رؤساء الحكومات الفرنسية شـــخص

---

(1) – ***A.N.O.M, 93/4409,*** *préfecture de Constantine. S.L.N.A ,R.M ,mois d'octobre et novembre 1954, p :19.*

(2) –***A.N.O.M, 16H80,*** *préfecture de Constantine, SLNA, bulletin mensuel des question islamiques, mois octobre 1955, p :02.*

(3)– تولى "غي مولي" (*Guy Mollet*) رئاسة الحكومة الفرنسية يوم 01 فيفري 1956م بعد أن فازت الجبهة الجمهورية التي شكلها الاشتراكيون والراديكاليون في انتخابات 02 جانفي 1956م، والتي نادى اليسار أثناء حملتـــها الانتخابيـــة بالسلم في الجزائر..أنظر:

–*Benjamin Stora,* ***Algérie Histoire Contemporaine 1830 - 1988****, Alger : casbah éditions,2006 p,p : 137,138.*

المشكلة، وأوضح أن سياسة الإدماج قد تجاوزته الأحداث بصفة كلية وأيد الاعتراف بالشخصية الجزائرية، كما ندد بسياسة القمع الوحشي ودعى إلى خلق جو من السلم والحوار.[1]

إذن ورغم النشاط الديني الذي إلتزم به هؤلاء الشيوخ إلا أننا نجدهم قد أسهموا بمواقفهم ومبادراتهم في الحياة السياسية على أمل إيجاد حل للمشكلة الجزائرية، غير أن التعنت والرفض الذي واجهته مطالب هؤلاء الشيوخ دفع بهم إلى مساندة الثورة وإلتحاق بعضهم بصفوفها.

كما برزت في ميدان الثورة بعض الزوايا على غرار "زاوية الهامل" التي لم تنتظر وصول الثورة إليها لتبدأ العمل، فقد بدأ التحضير والاستعداد منذ إعلان انطلاق الثورة، وأصبحت دروس الفقه ممزوجة بالحديث عن فضائل الجهاد وفضل المجاهدين، وبذل شيوخ الزاوية جهدهم في شحذ النفوس الطلبة وإلهاب الروح الثورية والوطنية فيهم، فكان لهذا العمل أثره البالغ فيما بعد على خريجي الزاوية وطلبتها الذين التحقوا بالثورة.[2]

ففي منتصف سنة 1955م بدأت طلائع النظام الثوري تدب في أنحاء الهامل، حيث قام الحاج خليل رفقة "أحمد القاسمي" بتأسيس أول خلية ثورية التي تولى الإشراف عليها القائد "سي زيان عاشور" وضمت الشيخ مصطفى وبعض شباب الأسرة القاسمية، وبدأت اللجنة نشاطها في تنظيم خلايا العمل الثوري وشراء الأسلحة والذخيرة وإعداد اللباس للمجاهدين ونقل المساعدات إلى قيادة المراكز السرية في الزاوية.[3]

---

(1) –***A.N.O.M, 16H59,*** *Zaouïa ziania de kenadsa, lettre de laaredj si Abderrahmane au président Guy Mollet, 13 février 1956.*

(2)– وفاء بن علية، **زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، جامعة الجزائر–بوزريعة: المدرسة العليا للأساتذة– قسم التاريخ، 2008/2007، ص: 158.

(3)– نفسه، ص: 160.

وعليه نستنتج من هذه المواقف أن وضع الزوايا وأهلها من أصحاب الطرق الصوفية كانوا في امتحان عصيب وتحت ظروف استثنائية لا ترحم، العنف الاستعماري من جهة والعنف الثوري من جهة أخرى، وصولا إلى إعلان بداية الكفاح المسلح ضد العدو الغاشم، وإن وضعها في امتحـــان كهذا أبان على أن هذه المؤسسات العتيدة كانت جديرة بالمسؤولية التي أنشئت من أجلها، والتي من بينها حماية مقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية، إذ ومنذ الوهلة الأولى لاندلاع ثورة الفاتح المباركة كانت الزوايا وطلبتها ومريديها، ومن قبلهم شيوخها قد وهبوا أنفسهم فداءا لهذا الوطن، وإن تعددت طرق المشاركة وتعددت المواقف فقد أوصل هذا الجهد المعتبر إلى اســـتقلال الجزائر.

خـــاتمـــة

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة التي تناولت موضوع الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار الفرنسي (1830- 1954م) من تتبع ورصد مواقف الطرق الصوفية وتطور علاقتها بالاستعمار الفرنسي عبر فترات المقاومات الشعبية والحركة الوطنية مع مطلع القرن العشرين إلى غاية إندلاع الثورة التحريرية عام 1954م، مما مكننا أن نستخلص من هذه الدراسة النقاط التالية:

- يعتبر التصوف علما قائما بذاته كغيره من العلوم، تعرض لتغيرات وتأثر بمؤثرات عبر الزمن فقد كان مفهوم التصوف في البداية عبارة عن زهد وتقشف ثم ظهر ما يسمى بالطرق الصوفية، حيث اتخذ كل شيخ صوفي طريقته الخاصة به، لها مبادئها وأتباعها وشيئا فشيئا أسست الطرق الصوفية لنفسها مراكز اتخذتها منطلقا لنشر مبادئها، كما اعتبرت مكانا للتعليم ومساعدة المحتاجين، فجمعت بذلك بين الدور الاجتماعي والدور العلمي الذي هو في خدمة المجتمع.

- تعتبر الزوايا والطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية جديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، حيث تحظى بقدر لا بأس به من المداخلات في المناقشات العلمية، خاصة في تاريخ الجزائر الاجتماعي والثقافي وحتى السياسي، فقد كانت من المواضيع الملفتة للانتباه منذ بداية ظهورها، فكثرتها وامتدادها وانتشارها في المدن والأرياف والجبال والصحاري الواسعة وإقبال الناس عليها لأخذ العلم من مشايخها، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانتها في المجتمع، وقد ظل النقاش قائما حولها بين القبول والرفض.

- عرفت الجزائر وعلى غرار جميع الدول العربية والإسلامية انتشارا واسعا للزوايا والطرق الصوفية، حيث كثرت بالأرياف والقرى ومنذ العهد التركي الأضرحة والقباب والزوايا، التي كانت تؤدي أدوارا اجتماعية وسياسية وثقافية، وكانت السلطة العثمانية قد اعتمدت على

الشعور الديني، وقوة الرباط الروحي لفرض وجودها بتلقائية، كما اعتمدت أيضا على القوى المحلية الممثلة في عائلات رجال الدين، بالإضافة إلى الشيوخ الوسطاء على مستوى كل قبيلة أو قرية.

– تدهورت العلاقة تدريجيا بين السلطة والطرق الصوفية في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، فبمجرد استرجاع وهران من الإسبان وزوال مبرر التحالف وهو الجهاد ضد العدو مما تسبب في فتور العلاقة بين الطرفين، أو إحداث القطيعة بين العثمانيين والطرق الصوفية، فقد اندلعت ثورات بزعامة هذه الطرق كالدرقاوية والتجانية، وقد جاءت كرد فعل لتصرفات الحكام الجائرة، والتي أثقلت كاهل السكان بالضرائب، وكانت هذه الثورات تعبيرا لغضب الرعية بسبب الظروف المعيشة التي كانت تعاني منها.

– حاول الاستعمار الأجنبي الأوربي وفي مقدمته الاحتلال الفرنسي وعلى مر قرون من الزمن بسط سيطرته على دول الغرب العربي ومنها الجزائر بدوافع اقتصادية وسياسية ودينية وغيرها وباستغلاله لقوته وضعف هذه الدول، وبعد تخطيط وجملة من المشاريع واختلاق للذرائع والأسباب الواهية استطاعت فرنسا أن تحتل الجزائر عام 1830م، وبعد فشل المقاومة الرسمية لجيش الداي في معركة اسطاوالي واستسلامها لقوات الاحتلال، قامت عدة مقاومات شعبية كرد فعل طبيعي لإيقاف زحفه ومحاولة طرده بقيادة شيوخ الطرق الصوفية وأتباعها.

– اختلفت مواقف الطرق الصوفية من الاحتلال الفرنسي، فقد ظهرت مقاومات شعبية بزعامة شيوخ طرق صوفية كالقادرية والرحمانية، تميزت بعفويتها وقلة تنظيمها في غالب الأحيان واعتمادها على حرب العصابات وعلى العنصر المحلي وبشكل خاص القبلي الريفي، كما كان لفارق القوة العسكرية بينها وبين جيش الاحتلال وسياسته القمعية الانتقامية من الشعب (الأرض المحروقة) وغياب الدعم الخارجي الذي طال انتظاره من الباب العالي، إضافة إلى بروز

طائفة من المتعاونين مع الاحتلال من الطرق الصوفية وشيوخها (التجانية) الذين سيطرت على بعضهم الصراعات والحسابات الشخصية التي حالت دون تحقيق الانتصار على العدو.

- إن ولاء بعض الطرق الصوفية للاستعمار –سواء في سلبيتها تجاهه عند دخوله البلاد أو تواطئها معه أثناء ذلك أو تعاملها معه فيما بعد- قد أساء إلى سمعتها وورط بعض مشائخها الذين وقفوا إلى جانب قواته في الوقت الذي كانت فيه هذه الأخيرة تبيد المقاومين، فخالفوا بذلك التوجه العام للبلاد وأفقدوا أنفسهم صفة الوطنية.

- إن الإدارة الاستعمارية ورغم إحصائياتها المتعددة ودراساتها الميدانية المتنوعة والإمكانيات التي تملكها لتحديد القوى الفاعلة والخطيرة عليها في هذه البلاد ظلت تعتبر الطرق الصوفية مصدر كل خطر متوقع، لذلك مارست ضد مشائخها سياسة كانت من أهم العوامل في إضعافها وفقدانها لوزنها على الساحة، وذلك رغم قابلية شيوخ هذه الطرق للتوظيف من قبل الإدارة الاستعمارية والخدمات التي قدمها بعض مشائخها كما مر بنا في هذا البحث، والإدارة الاستعمارية بهذا كله قد أضرت من خلال ذلك بالعديد من حلفائها من بين المشائخ وساهمت من حيث لا تدري في تحطيم الانغلاق الفكري الذي كرسته بعض الطرق الصوفية، وفتحت المجال أمام تنامي الوعي الذي كان من أكبر المكاسب التي استفادت منها الحركة الوطنية على حساب الاستعمار.

- إن هذا التوجه من الطرق الصوفية اتجاه المقاومة واتجاه الإدارة الاستعمارية من جهة أخرى كان له انعكاس واضح على علاقة الطرق الصوفية وشيوخها، فقد عمل الاحتلال في إطار سياسة فرق تسد بين المهادنة والاحتواء على توسيع هوة الاختلاف والخلاف بينهم من جهة، وتغذية الطموحات الفردية من جهة أخرى بتحريك المكاتب العربية وشيوخ العرب وأرمادة الضباط الذين يجيدون اللغة العربية واللهجات المحلية وتخصصوا في الطرق الصوفية والزوايا قصد تدجينها من جهة وكسر العائلات الكبيرة والزوايا من جهة أخرى.

– ظلت الطرق الصوفية مع مطلع القرن العشرين تشكل قوة بشرية واقتصادية لها وزنها وأهميتها في البلاد، وهو ما دفع بالاستعمار للعمل على كسب العديد منها، وتوظيفها والاستفادة من قوتها تلك، خاصة في فترة التجنيد العسكري وفي كسب التأييد الجماهيري لها باقتراب الحرب العالمية الأولى عام 1914م، مما دفع بتلك الطرق على لسان بعض شيوخا بتوجيه نداءات للوقوف مع فرنسا ومؤازرتها في حربها ضد ألمانيا والدولة العثمانية.

– رغم أن الطرق الصوفية فشلت في تحقيق الهدف الرئيسي وهو طرد الاحتلال أو إيقاف زحفه على الأقل، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على بقاء الضمير الوطني وبقاء كيانه العربي الإسلامي من خلال حفاظها على اللغة العربية والشخصية الإسلامية، كما ساعدت في الحفاظ على الروح الثورية وترسيخ معاني الجهاد وتدعيم الفكر الرافض للاحتلال وللوجود الأجنبي بجميع أشكاله ومظاهره ونبذ الروح الانهزامية، وهذا ما استثمرت فيه لاحقا أحزاب الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية بعد ذلك مما مكنها تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية.

– إن عدم قدرة الاستعمار على تشخيص عدوه الحقيقي والفعلي جعله يركز اهتمامه على مراقبة هذه الطرق والانشغال بالقضاء عليها تدريجيا باعتبارها مصدر الخطر الحقيقي، ففسحت بذلك المجال لنشأة الأحزاب وتطورها، فما إن حلّ مطلع العقد الثاني من القرن العشرين حتى أخذت الطرق الصوفية تضعف وتفقد شعبيتها بالمقارنة مع ما كانت عليه في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وفي المقابل كانت الأحزاب والتنظيمات النقابية تتنامى شيئا فشيئا حتى نمت وتطورت، فعملت الإدارة الاستعمارية على تدارك الوضع، لكن يبدوا أن ما قامت به جاء متأخرا فلم يجدها نفعا.

– ورغم كل مظاهر المرونة والاحترام والتشريف التي أبداها الاستعمار تجاه الطرق الصوفية في هذه الفترة، إلا أنه قد مارس على هذه الطرق خلال هذه المرحلة عنفا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، استأصل به جزءا هاما من جذورها بالبلاد، فضرب بكل نجاعة استقلاليتها وهدم

هيكليا قاعدتها الاجتماعية، وخرب بذلك شرعيتها التاريخية والحضارية وجعل منها مؤسسات طفيلية ومهمشة لا تملك السيطرة على مصيرها، في حين رأينا الحركة الوطنية تستوعب انطلاقا من ثلاثينات القرن العشرين بصفة مكثفة هذه الفئات التي همشها الاستعمار وهمش أطرها الدينية الطرقية، لتستوعبها الحركة الوطنية وتؤطر إيديولوجيا تلك البسيكولوجية العريقة وتوظف ما لدى المجتمع العميق من تقاليد الرفض الاستعماري.

– تميزت مواقف العديد من الطرق الصوفية بالسلبية من مختلف مظاهر صراع التيارات الوطنية مع الاستعمار الفرنسي، كمسألة فصل الدين عن الدولة ومسألة الأوقاف ومسألة التجنيس وجعلتهم يبرزون كفئة معادية لطموحات الجماهير وحقها في الحرية والكرامة ورفض الاحتلال الأجنبي.

– لقد أضفت تلك المواقف على بعض المشائخ (الصفة الرسمية) الواقفة إلى جانب الاستعمار مما أحرج أتباعها وفسح المجال للأحزاب السياسية لتنمو على حسابها بعد أن ملكت زمام المبادرة الميدانية، خاصة بعد اقتحامها للأوساط المسجدية التي ظلت طويلا غير فاعلة في النضال الوطني كما ينبغي، وبذلك بدأ تدريجيا انحصار آفاق العمل الطرقي بعد أن أصبح عاجزا على مسك الواقع الذي صار التحكم فيه موكلا في الأغلب للأحزاب السياسية.

– إن طول الحقبة الاستعمارية التي ربت على القرن والثلث، لم يكن لها كبير تأثير في تغيير عقلية الجزائريين القائمة على احترام الآخر، وفي الوقت نفسه الرافضة للظلم، وكانت الأجيال المتوالية تتناقل أخبار الأجداد بحوادثها التاريخية ومرجعيتها الفكرية، وهذا ما حافظ على النسق الدائم لهذا التفكير، بل ساهم وبشكل كبير في إحياء الوعي لدى الكثيرين، خاصة في النصف الثالث من القرن العشرين الذي عرف تحولات كبيرة دوليا وإقليميا، ولقد تأثرت الجزائر بهذه التحولات لاسيما الجانب السياسي، وإعادة بناء الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية ومرة أخرى كان شيوخ الطرق الصوفية والزوايا في الموعد، إذ أن زعماء الوعي السياسي في الجزائر قد تخرجوا من رحم هذه المؤسسات الدينية، وأفضى ذلك إلى ظهور التيار الاستقلالي الذي كان اللبنة

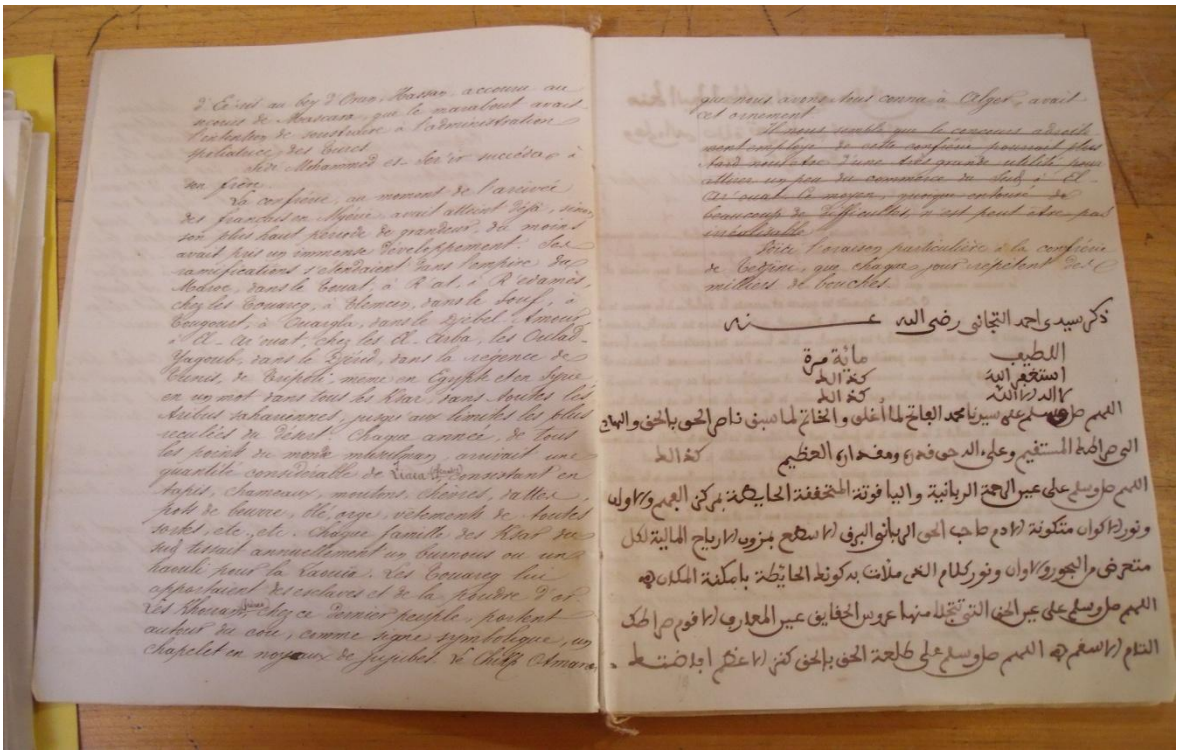
الأولى في تشكل الهيئات والهياكل المشرفة على اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر المباركة من عام 1954م.

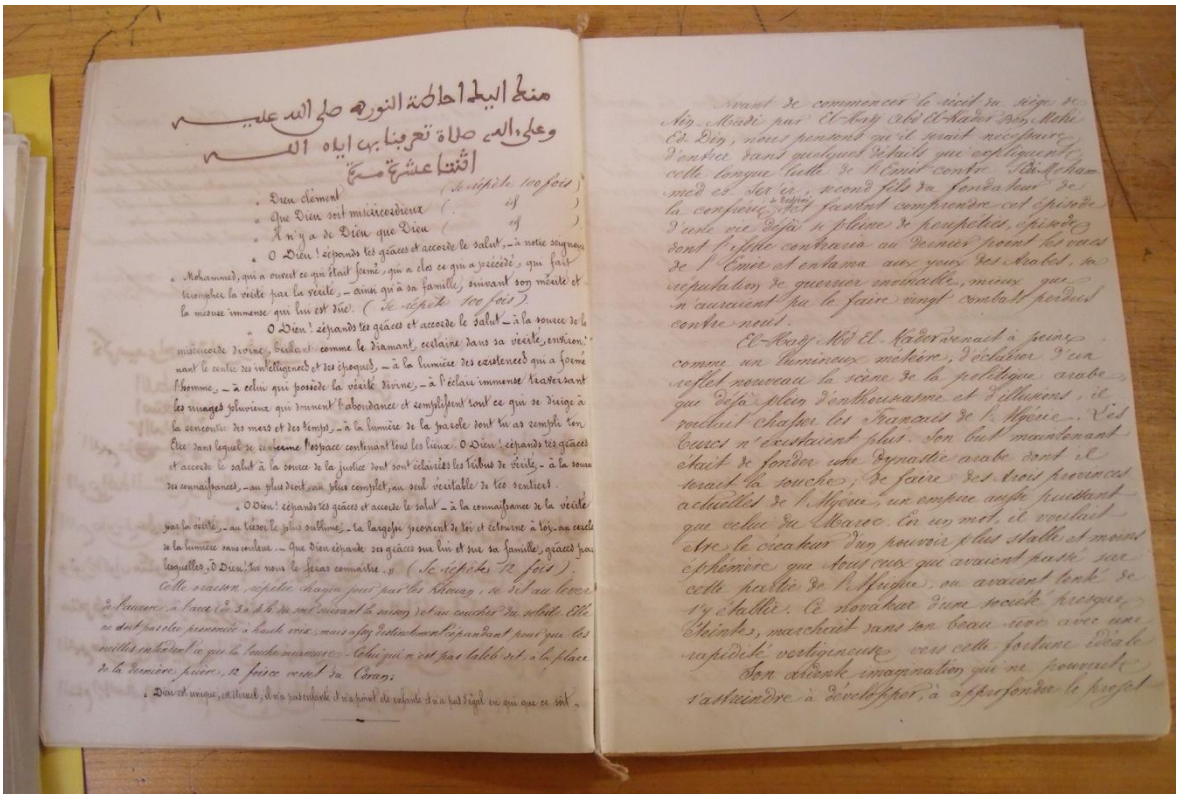
– لقد اتسم شعار الثورة التحريرية بالشمولية إذ أنها قامت على أساس انتزاع الاستقلال من غاصبيه، وإقامة دولة جزائرية على أسس المبادئ الإسلامية، وكان شعار جيش تحرير الوطني على أرض المعركة لفظتي: "الله أكبر"، و"تحيا الجزائر"، ولم تتوقف الزوايا عن عطائها الروحي المعنوي والمادي الممول للثورة والداعم لها بالمال والرجال، فلقد كانت ملاذا للمجاهدين وقواعدا لهم وكان شيوخها ومريدوها وقودا للثورة من حيث التذكير برفعة شأن الشهيد، وكذا ما أبلاه الطلبة من بلاء حسن في سبيل الله والوطن، لذا فإن استقلال الجزائر من أيدي أخبث استعمار شهده التاريخ الحديث والمعاصر لم يأتي من العدم، وإنما أسهمت فيه مجموعة من العوامل كانت للزوايا ومشائخها من أصحاب الطرق الصوفية دور كبير في تشكيل أهم عامل، ألا وهو رفع لواء الجهاد والدفاع والذود عن الدين والناس والوطن.

– ما يجب الإشارة إليه في ختام هذه الدراسة هو أنه من خلال استعراضنا لمواقف بعض الطرق الصوفية في بعض القضايا التي أثرناها، كثيرا ما كانت تعبر عن مواقف بعض شيوخها أو موقف بعض الزوايا، أكثر مما تعبر عن وجهة نظر أتباعهم الذين غالبا ما تكون مواقفهم منسجمة مع الرأي العام ومناهضة لمواقف العديد من الشيوخ المخالفين، ولا تعكس التوجه العام للطرق الصوفية في الجزائر كما أشرنا لذلك على سبيل المثال عند تعرضنا لمختلف المواقف من الثورة التحريرية الكبرى.

الملاحق

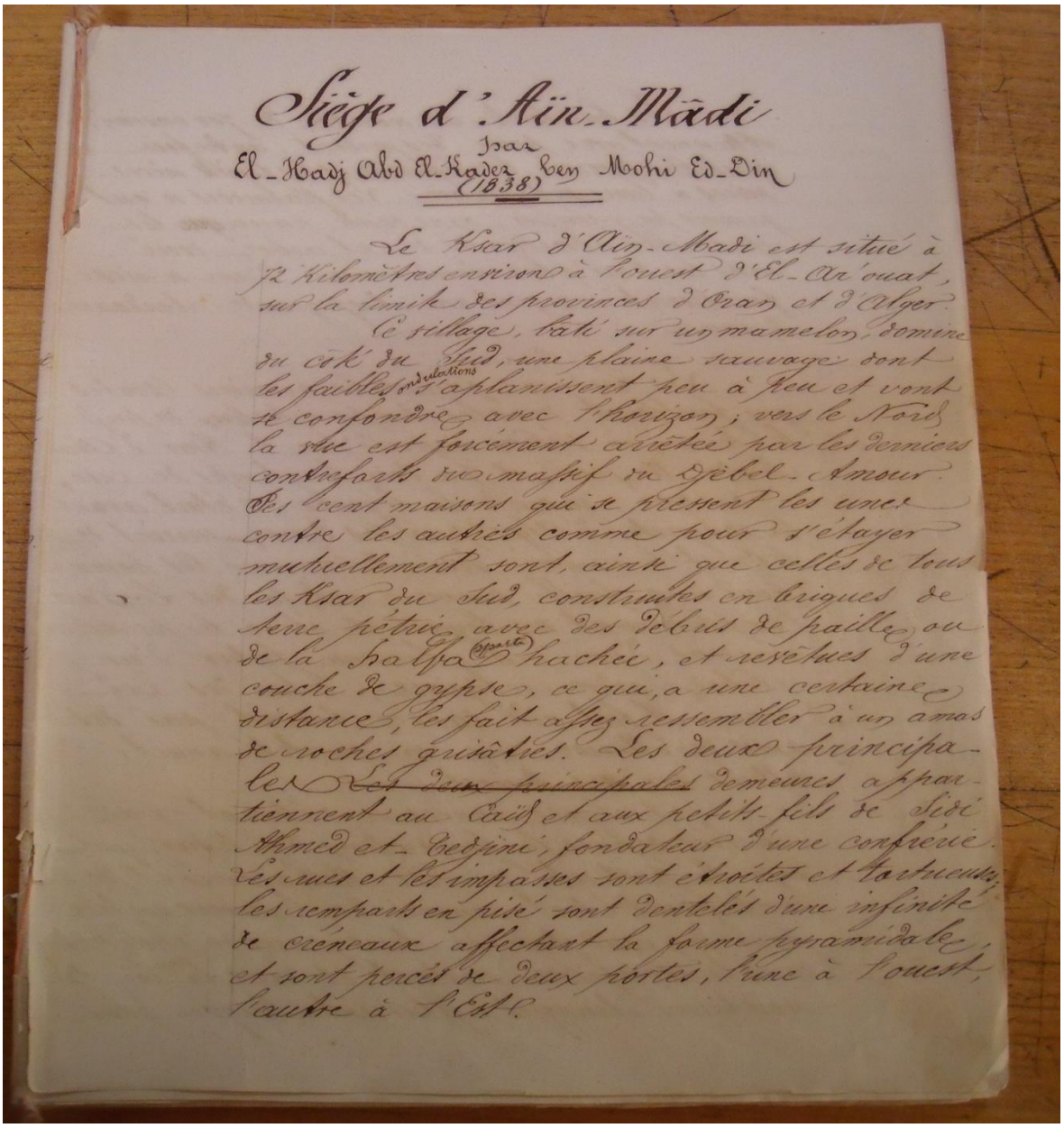
الملحق رقم (01): ورد الطريقة التجانية





– *A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44*

الملحق رقم (02): وصف عام ومفصل لعين ماضي يشمل طريقة البنـــاء والأزقـــة أثنـــاء حصارها من طرف الأمير عبد القادر من عام 1838م.

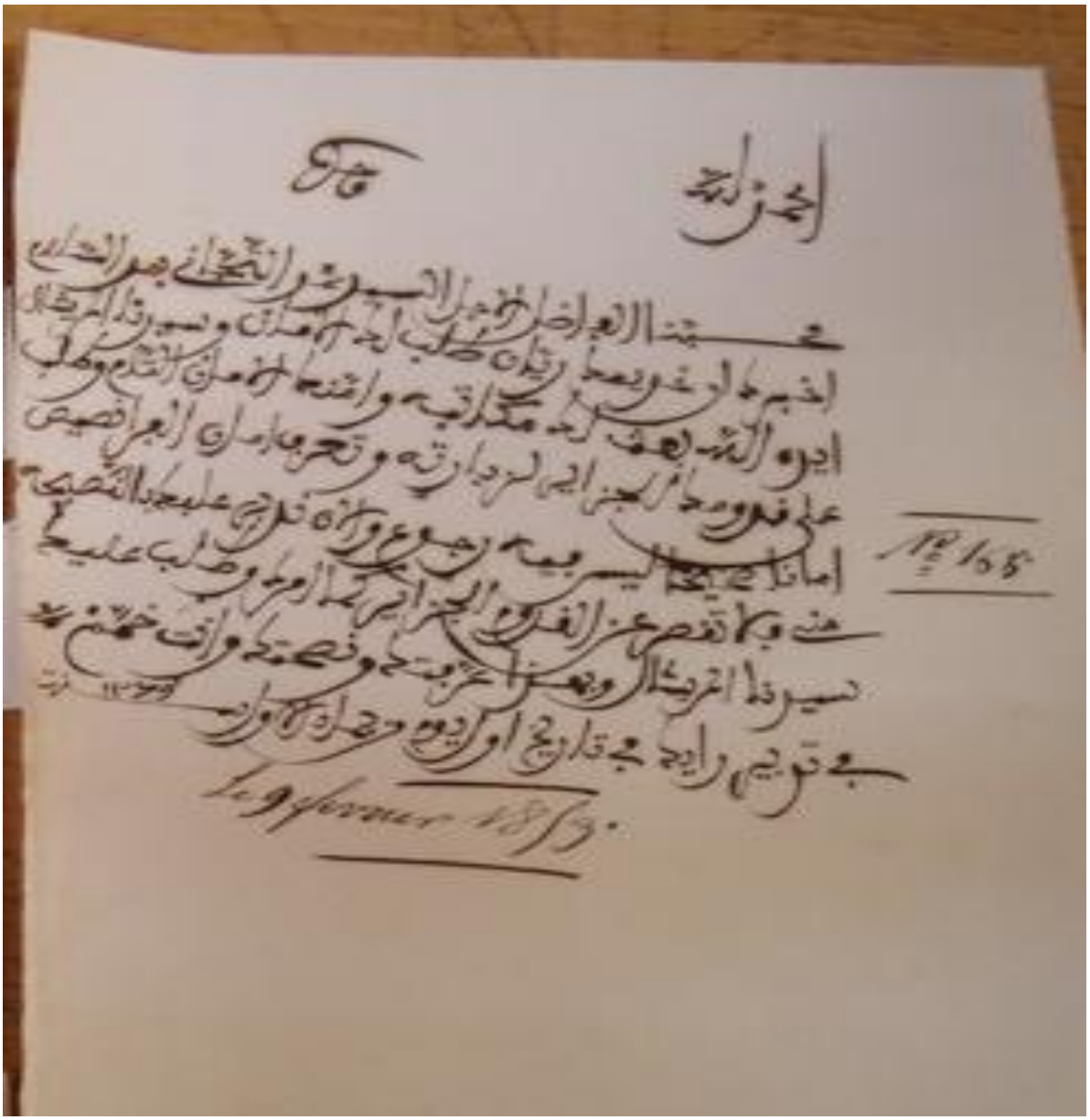


Siège d'Aïn Mâdi
par
El-Hadj Abd El-Kader ben Mohi Ed-Din
(1838)

Le Ksar d'Aïn-Madi est situé à 72 kilomètres environ à l'ouest d'El-Aïouat, sur la limite des provinces d'Oran et d'Alger.
Ce village, bâti sur un mamelon, domine du côté du Sud, une plaine sauvage dont les faibles ondulations s'aplanissent peu à peu et vont se confondre avec l'horizon; vers le Nord la vue est forcément arrêtée par les derniers contreforts du massif du Djebel-Amour.
Des cent maisons qui se pressent les unes contre les autres comme pour s'étayer mutuellement sont, ainsi que celles de tous les Ksar du Sud, construites en briques de terre pétrie avec des débris de paille, ou de la halfa (pourte) hachée, et revêtues d'une couche de gypse, ce qui, à une certaine distance, les fait assez ressembler à un amas de roches grisâtres. Les deux principales ~~Les deux principales~~ demeures appartiennent au Caïd et aux petits-fils de Sidi Ahmed et-Tedjini, fondateur d'une confrérie.
Les rues et les impasses sont étroites et tortueuses; les remparts en pisé sont dentelés d'une infinité de créneaux affectant la forme pyramidale et sont percés de deux portes, l'une à l'ouest, l'autre à l'Est.

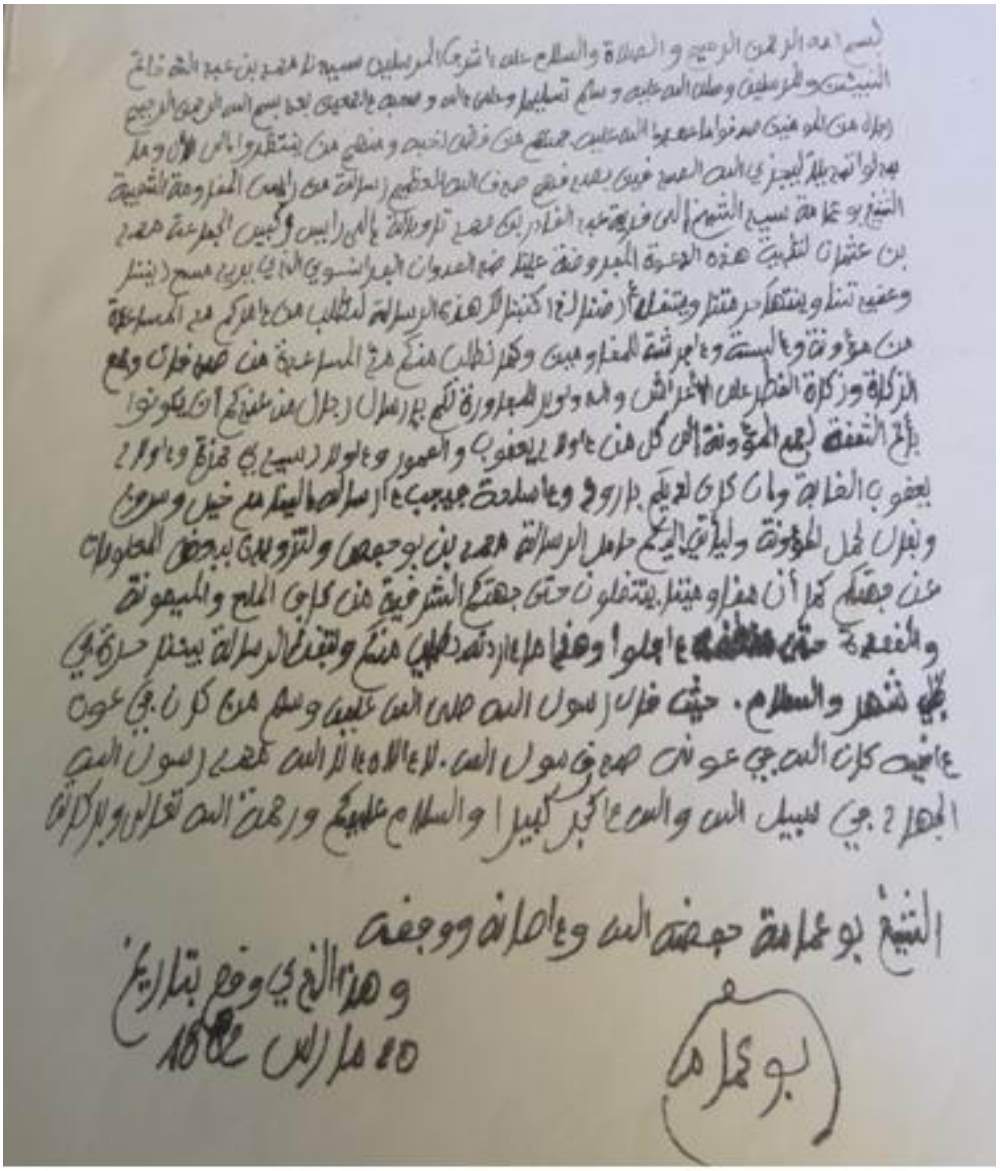
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (03): رسالة مؤرخة في فيفري 1853م من الحاكم العام إلى الشيخ محمد الصغير التجاني تتضمن دعوة له لزيارته في العاصمة والتعرف على إمارة الفرنسيين بها.



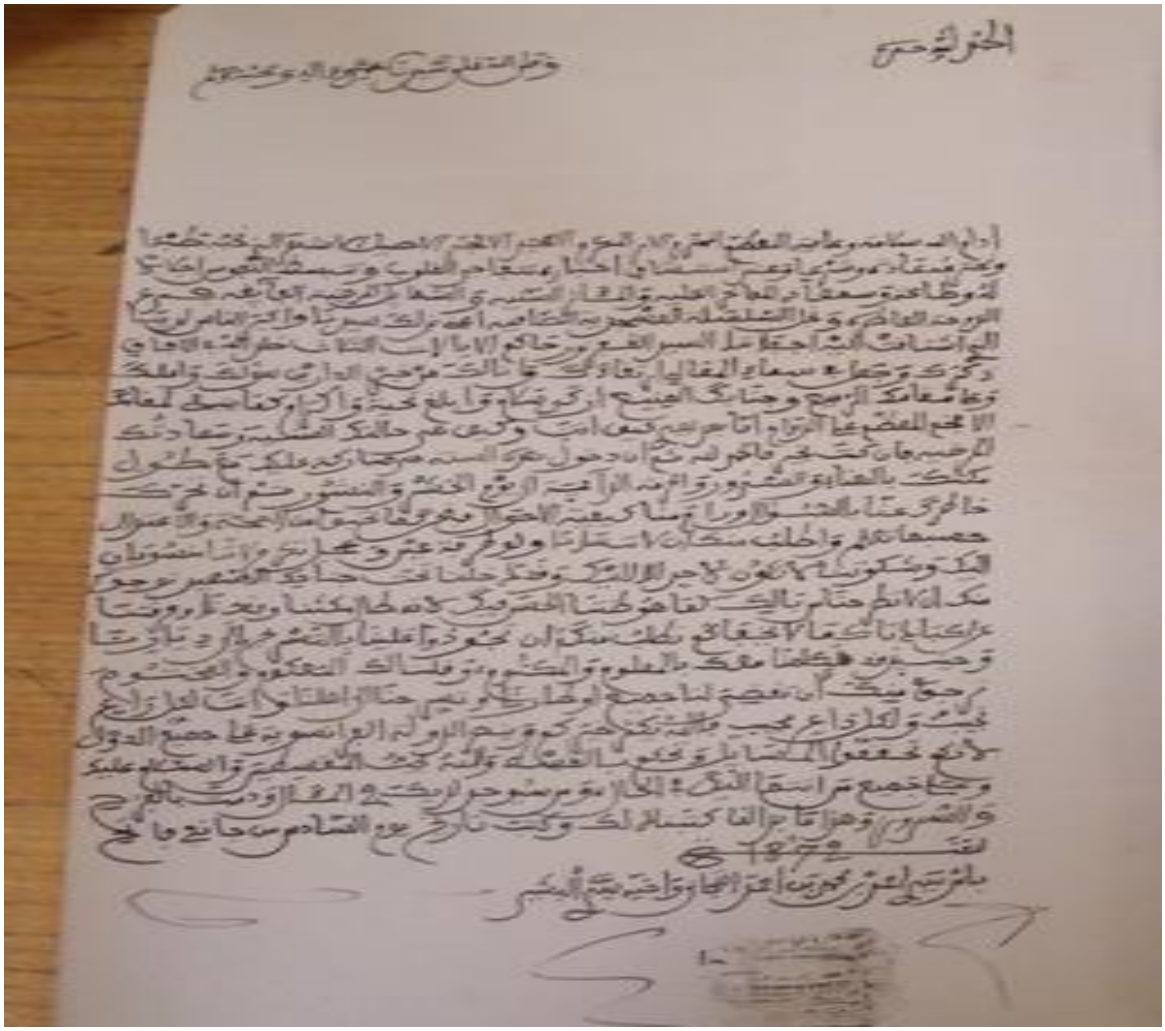
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (04): رسالة من الشيخ بوعمامة مؤرخة في 20 مارس 1882م يستنهض فيها بعض الأعراش للمقاومة وتقديم المؤونة والمساعدة المالية له.



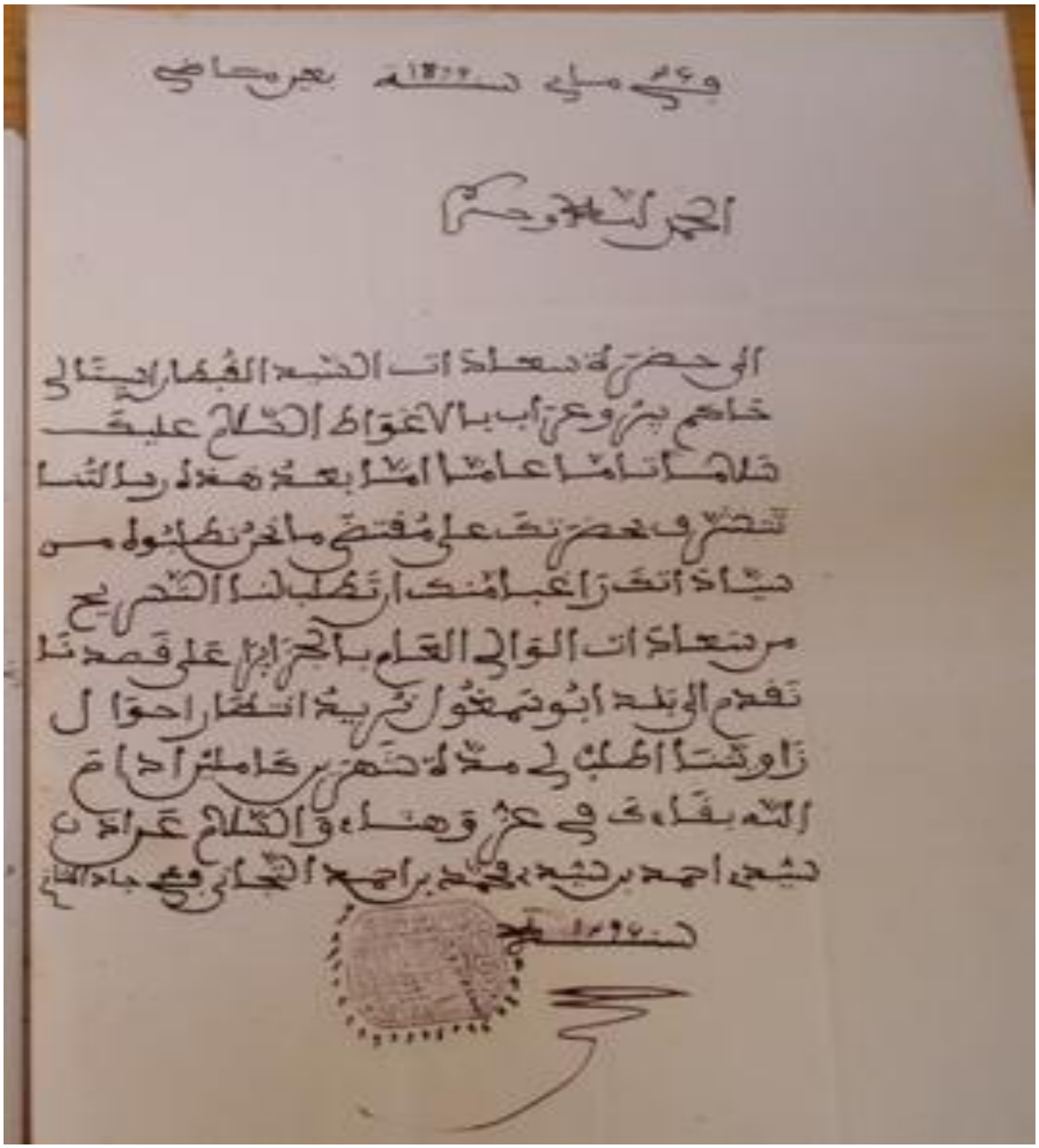
المصدر: وثيقة منشورة على شبكة الأنترنت.

الملحق رقم (05): رسالة مؤرخة في جانفي 1872م من الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد التجاني وأخيه سي البشير إلى الحاكم العام يهنئه فيها بحلول العام الميلادي ويلتمس فيها العفو والصفح ويطلب منه السفر إلى أهله..بعد رد فعل الادارة الاستعمارية نتيجة مشاركة زاوية عين ماضي إلى جانب ثوار أولاد سيدي الشيخ عام 1864م.



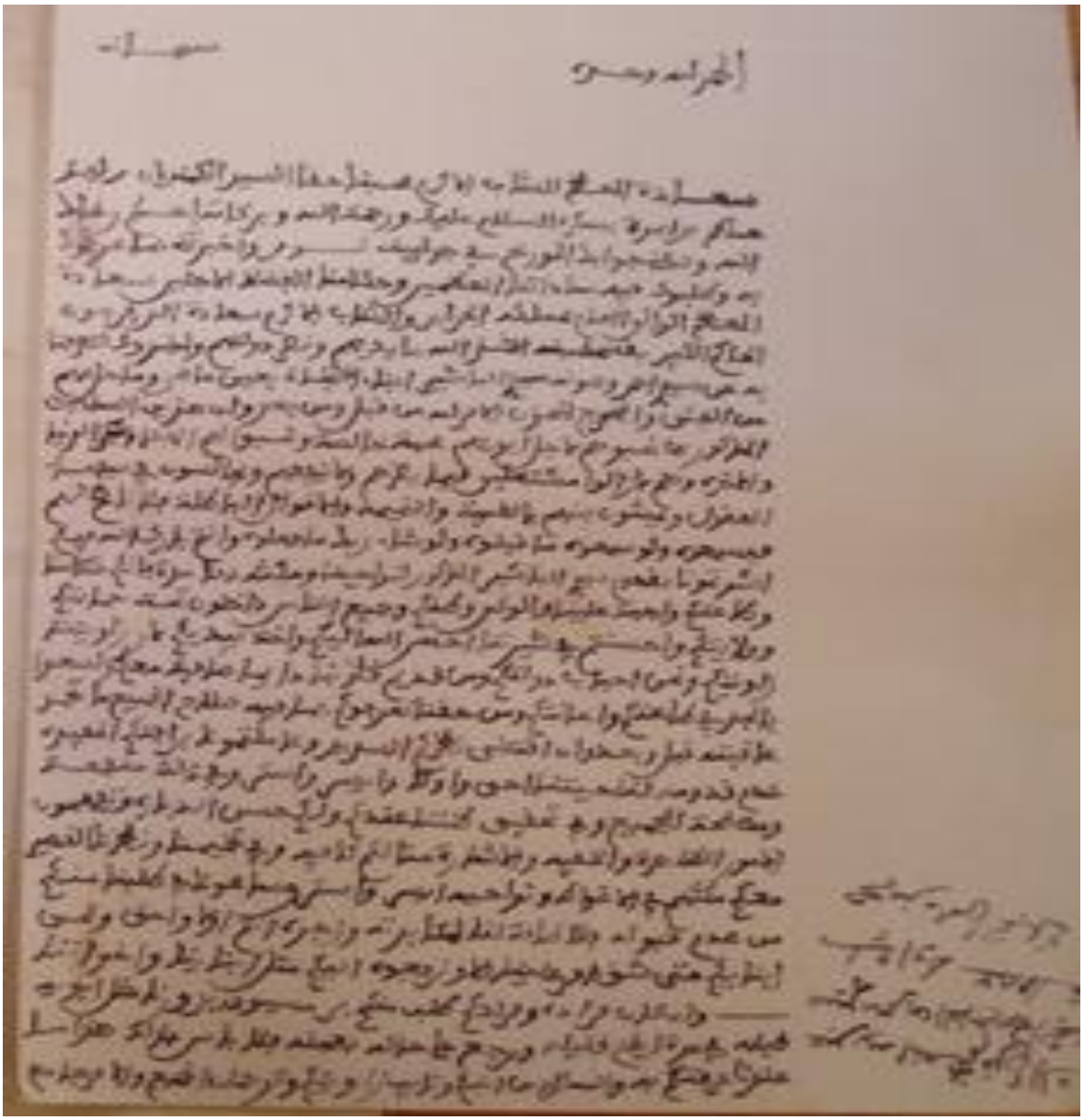
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (06): رسالة مؤرخة في ماي 1879م من أحمد بن محمد بن أحمد التجـــاني إلى حاكم المكتب العربي بالأغواط يطلب فيها التسريح بالسفر إلى بوسمغـــون مـــدة شـــهرين للإطلاع على شؤون زاويته هناك.



– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (07): رسالة من الشيخ سي معمر بن الحاج علي التماسيني مؤرخـــة في أوت 1882م إلى حاكم بسكرة يعلمه بأنه لايجبذ زيارة سي البشير ابن أحمد التجاني إلى ناحيتـــه بسبب الخلاف والتنافس الذي كان بين الزاويتين (زاوية عين ماضي وزاوية تماسين).



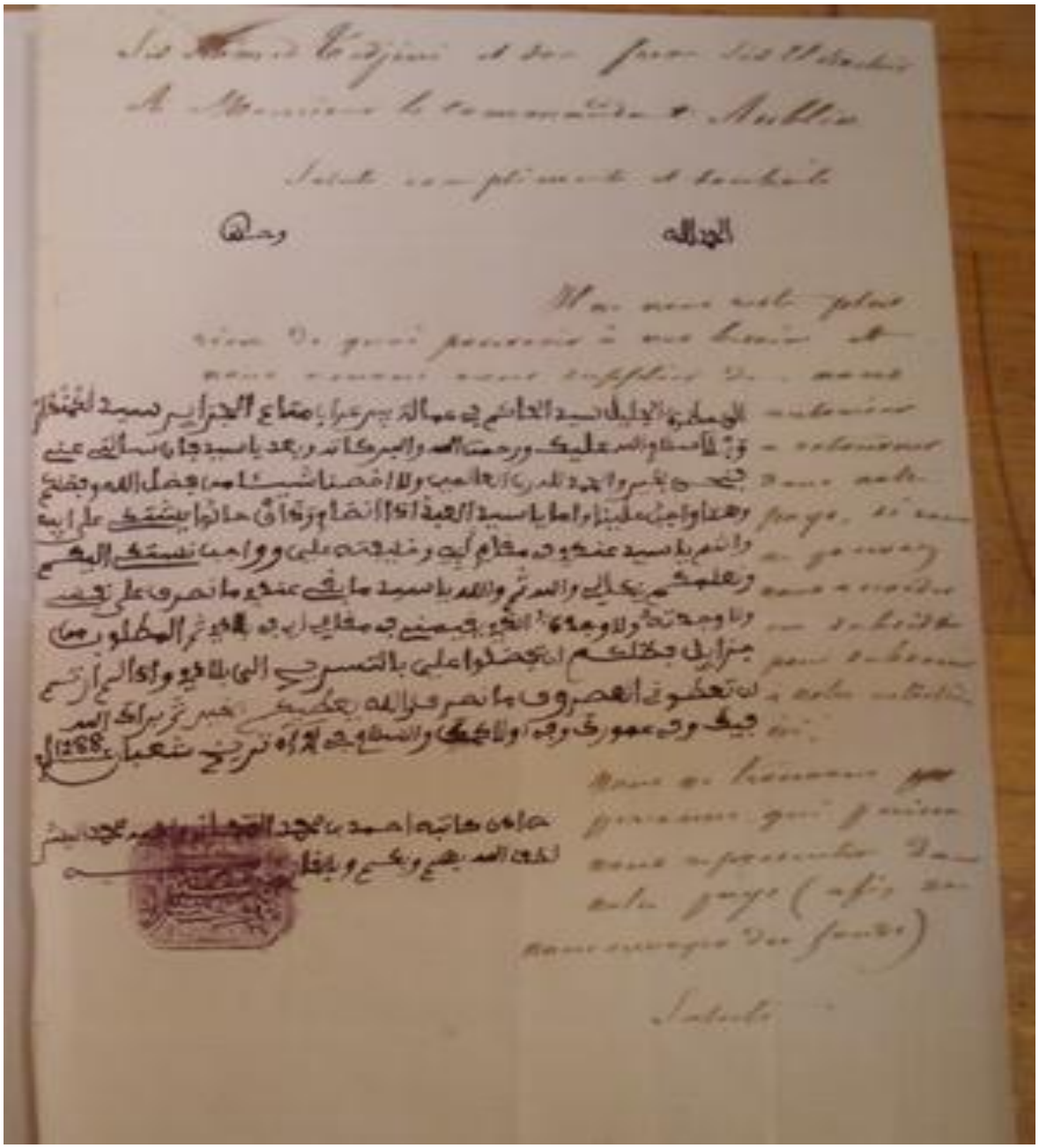
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (08): رسالة مؤرخة في أفريل 1889م من أحمد بن محمد بن أحمد التجاني إلى الوالي العام بولاية الجزائر يحمل ابن التجاني وأمه يشتكي فيها سوء الأحوال ويطلب منـــه الصفح وتجديد الولاء للدولة الفرنسوية ويستأذنه بالسفر رفقة أسرته ومحبيه.



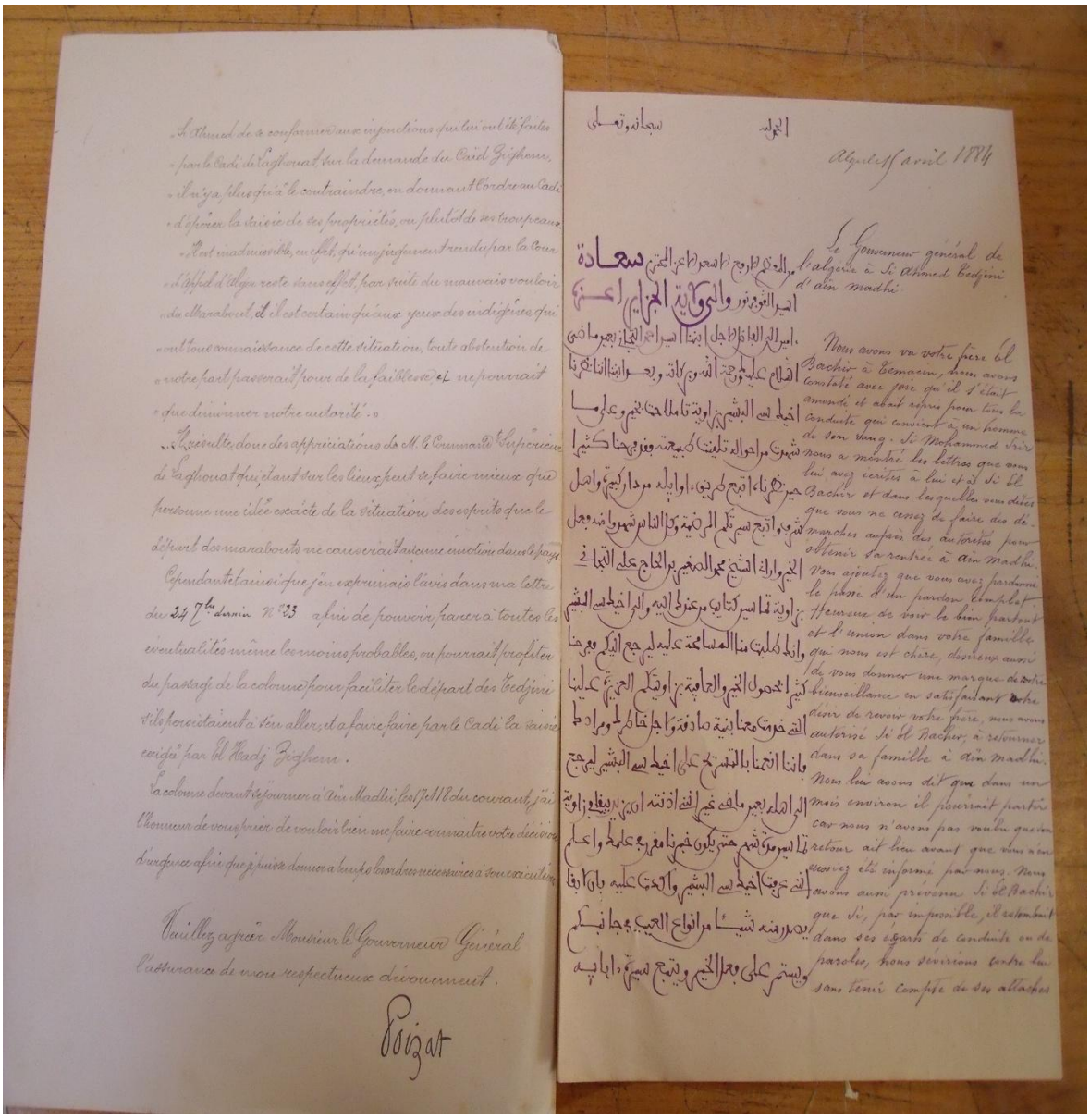
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

الملحق رقم (09): رسالة مؤرخة في شهر شعبان 1288هـ من أحمد بن محمد التجاني وأخيه محمد البشير إلى حاكم المكتب العربي بالجزائر يشتكي له فيها عن الضائقة المالية التي يمر بها ويرجوا منه تقديم المساعدة المالية له ولأهله.



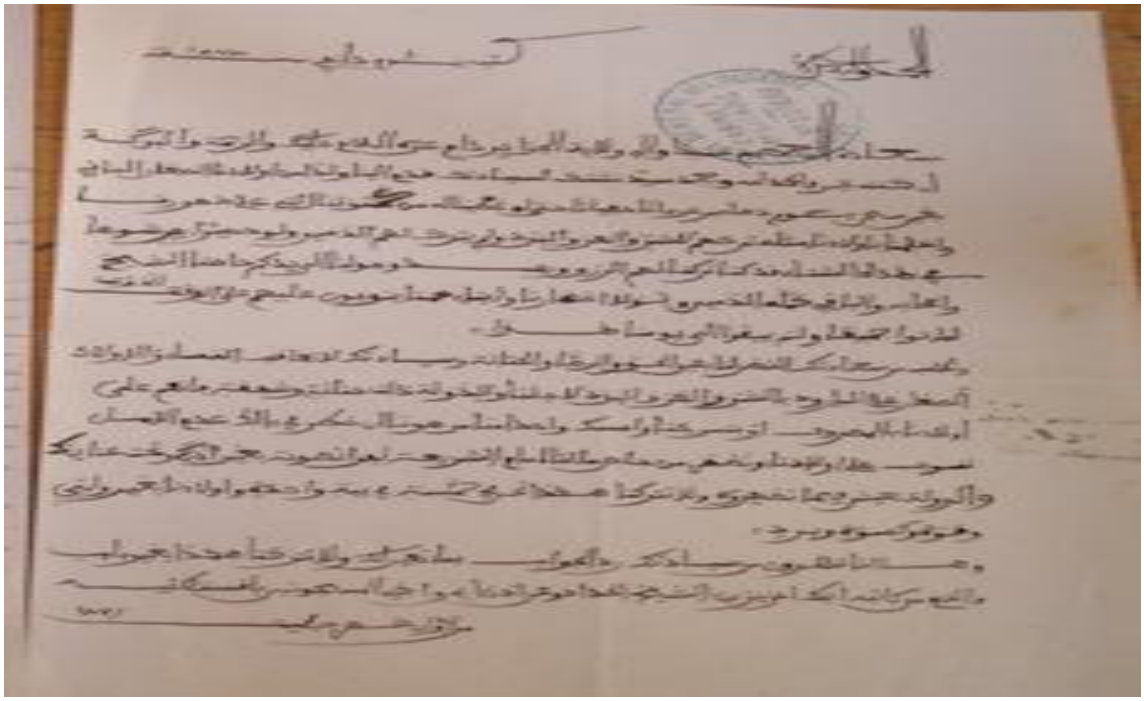
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

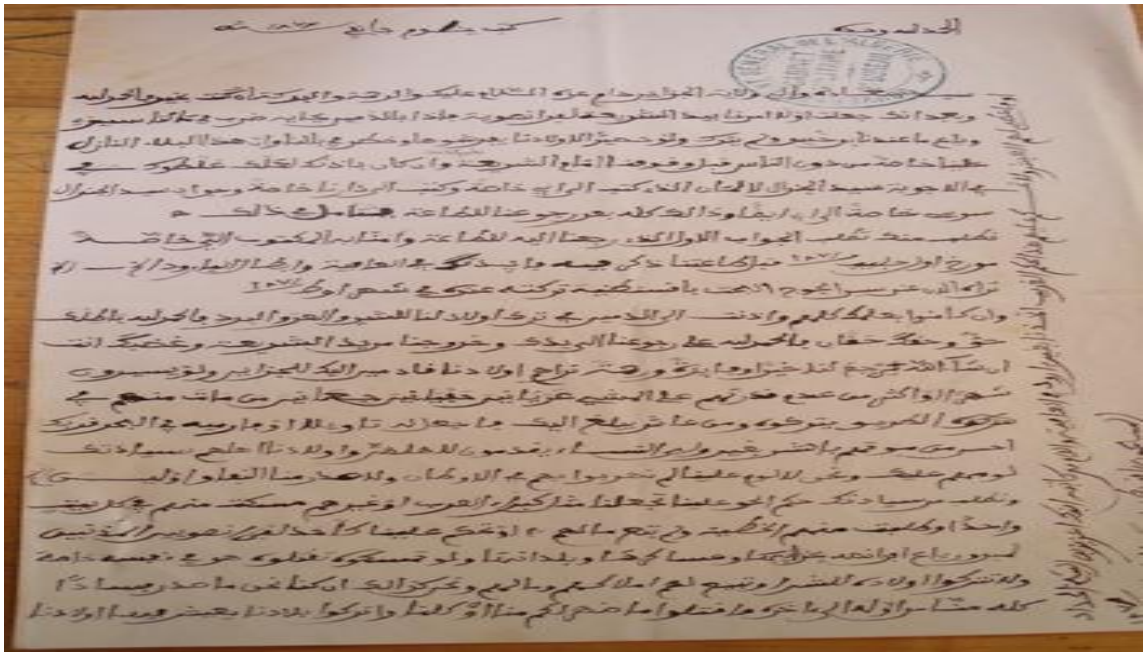
الملحق رقم (10): رسالة مؤرخة في أفريل 1884م من الحاكم العام والي ولاية الجزائر إلى الشيخ أحمد التجاني بعين ماضي يعلمه بقبول اعتذاره والصفح عن أخيه سي البشير ليعـــود إلى أهله وناصحا له باتباع سيرة آبائه في خدمة الدولة الفرنسية.



– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H44

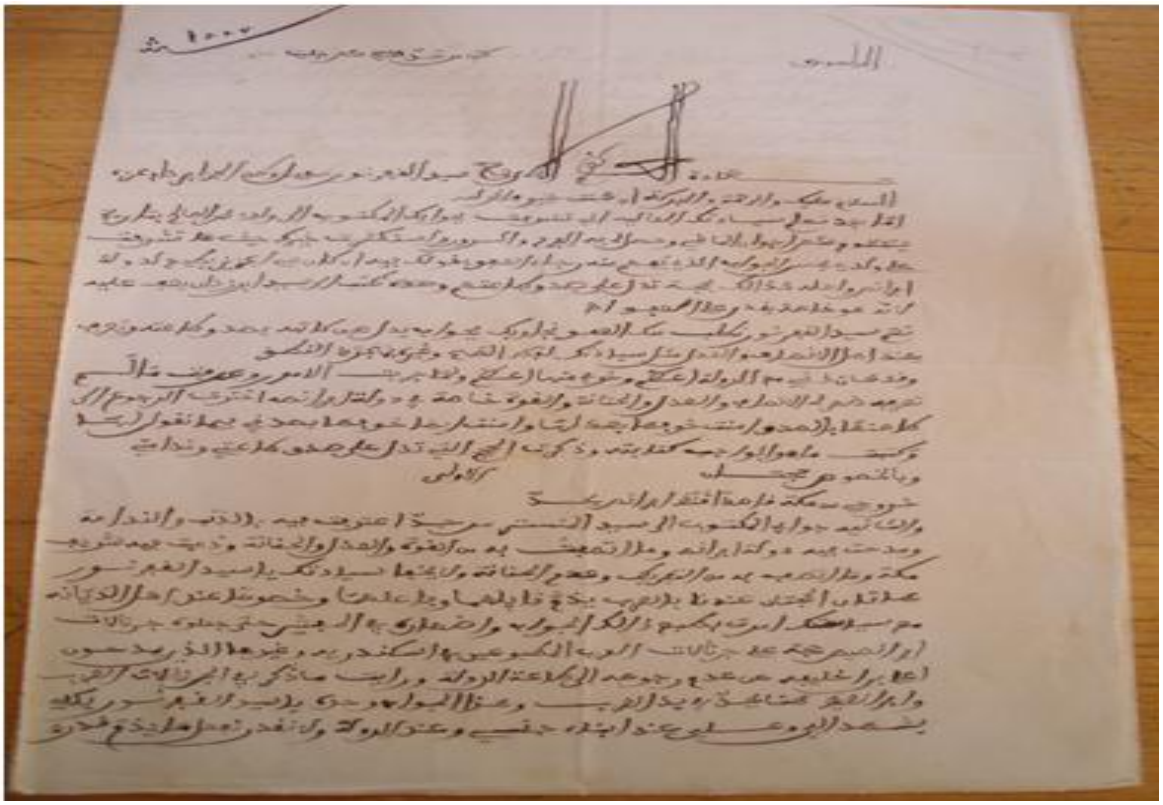
الملحق رقم (11): رسالتين من أعزيز بن الشيخ الحداد مؤرخة في جانفي والأخرى في جويلية 1872م المسجون في سجن قسنطينة إلى والي ولاية الجزائر يشتكي له من الحالة المزرية التي يعيش فيها نساؤه وأبنائه من الفقر والبؤس بعد حجز ممتلكاتهم من طرف "الدومين" بعد سجنه كل من أبيه وأخيه في قسنطينة.

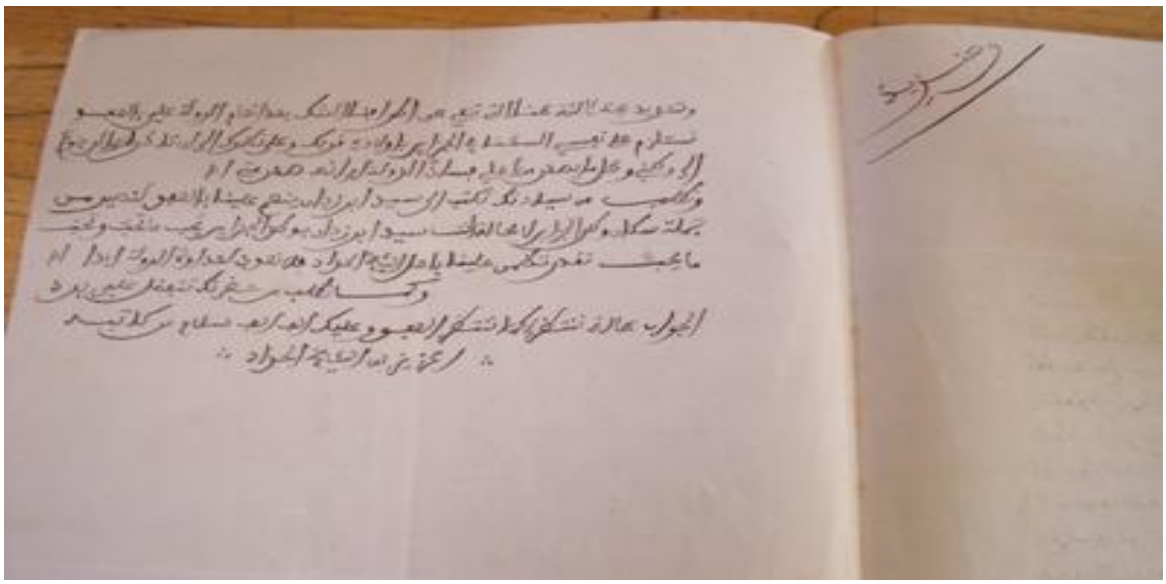




– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H62

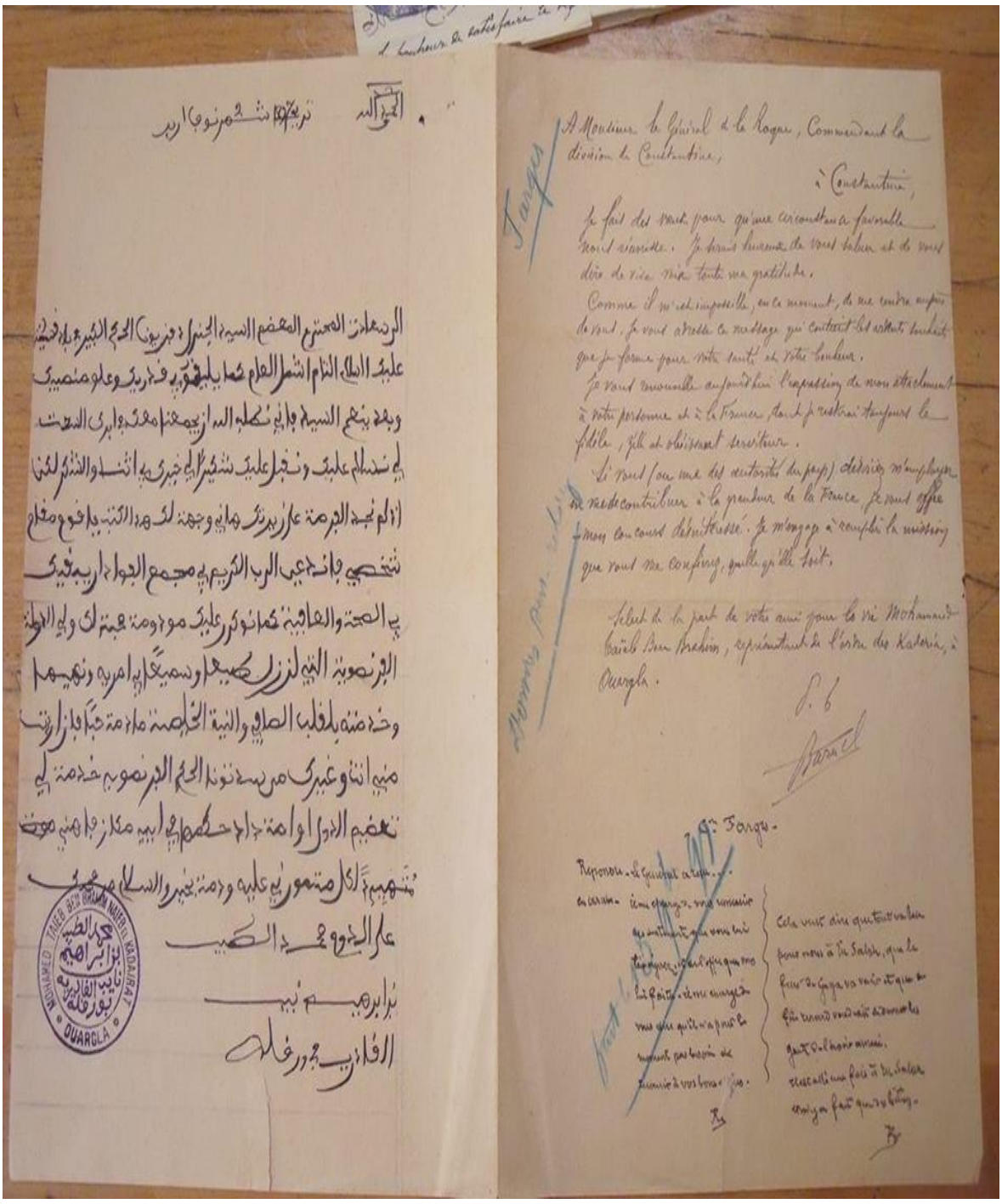
الملحق رقم (12): رسالة مؤرخة في جويلية 1882م من أعزيز ابن الشـــيخ الحـــداد إلى الحاكم العام يلتمس فيها العفو والإذن بالرجوع إلى الجزائر بعدما تم العفو عن إبنه محمـــد الصالح.





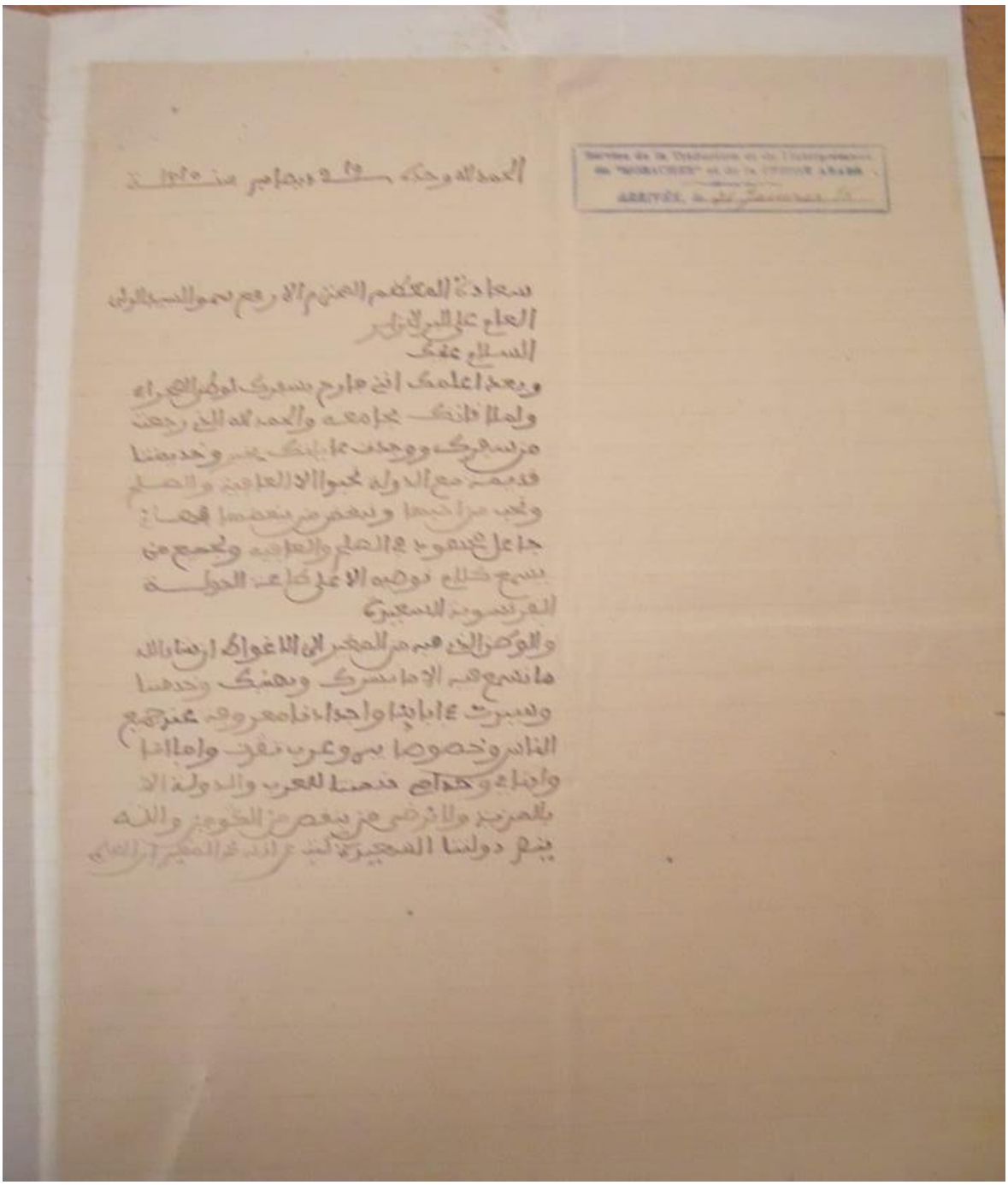
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H62

الملحق رقم (13): رسالة ثناء وتجديد للولاء من محمد الطيب بن براهيم شيخ القادريـــة في ورقلة إلى حاكم قسنطينة.



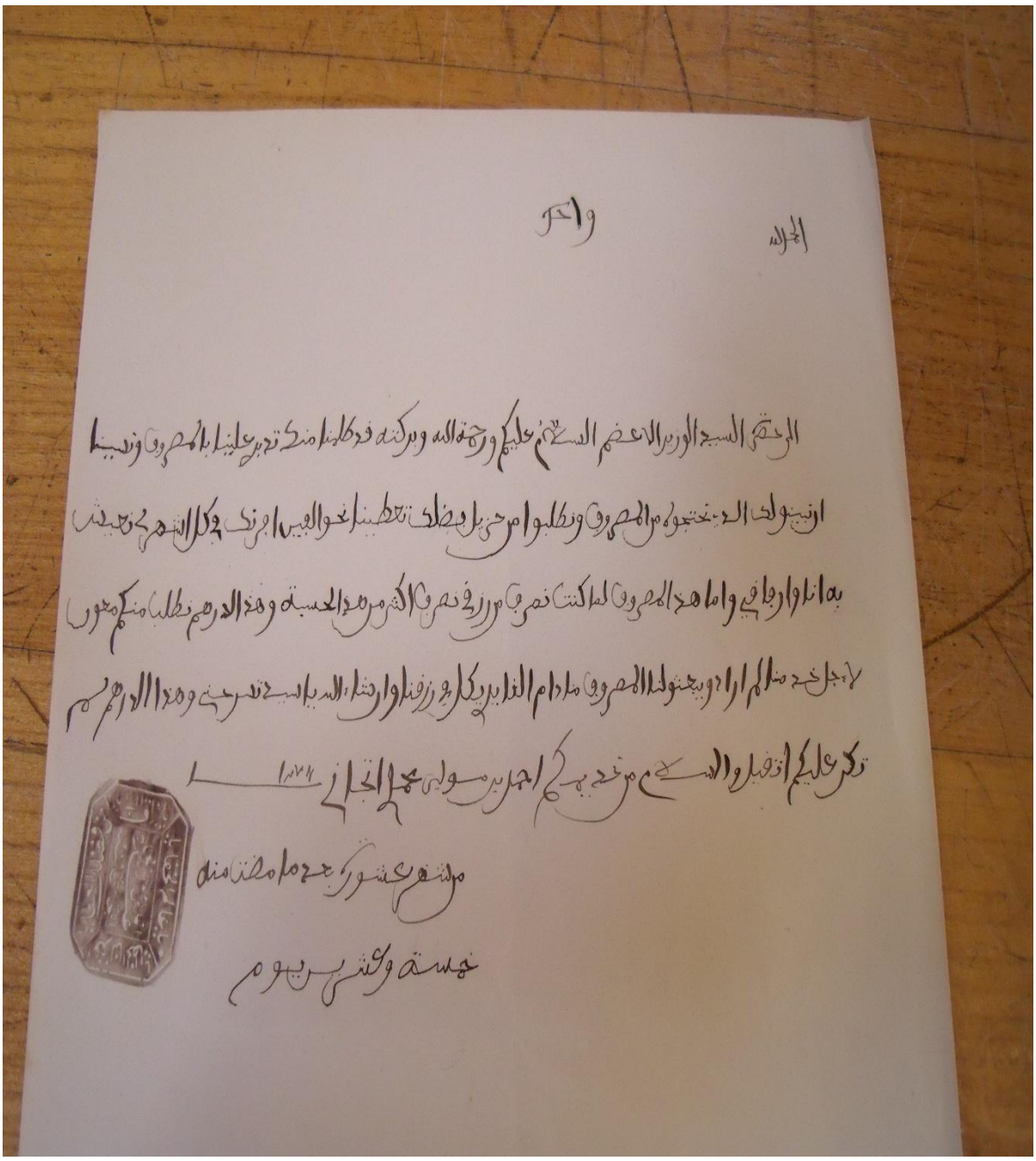
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

الملحق رقم (14): رسالة من أحمد بن محمد الصغير ابن التجاني يقدم فيها الشكر والثنـــاء على اثر زيارة للوالي العام على الجزائر ويختمها بتجديد للولاء والمساندة للدولة الفرنسوية.



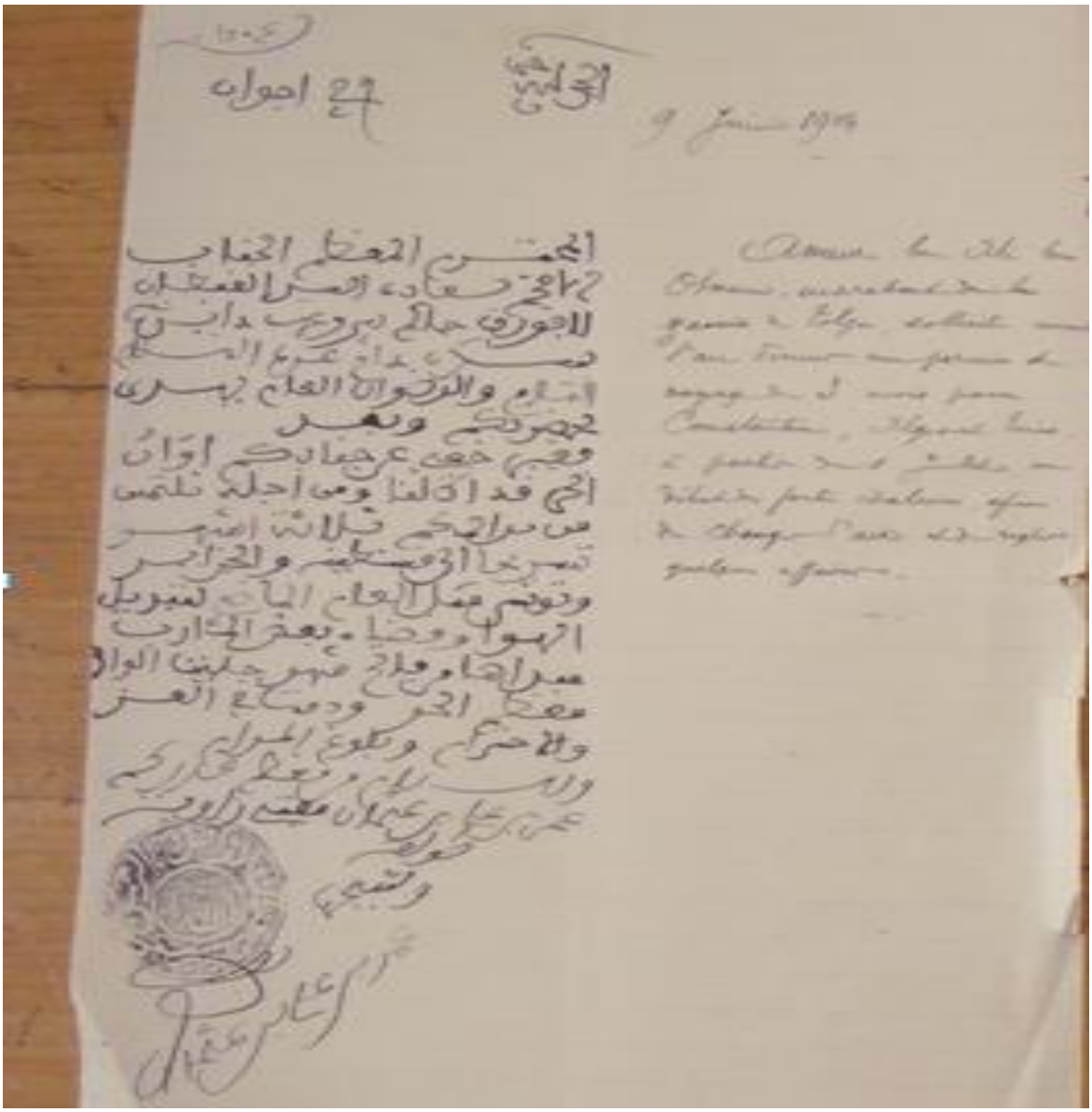
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

الملحق رقم (15): رسالة لطلب إعانة مالية شهرية مقدرة بألفين فرنك من طرف أحمد بـــن مولى محمد التجاني الذي يشتكي فيها من ضائقة مالية تمر بها زاويته إلى أحد الوزراء.



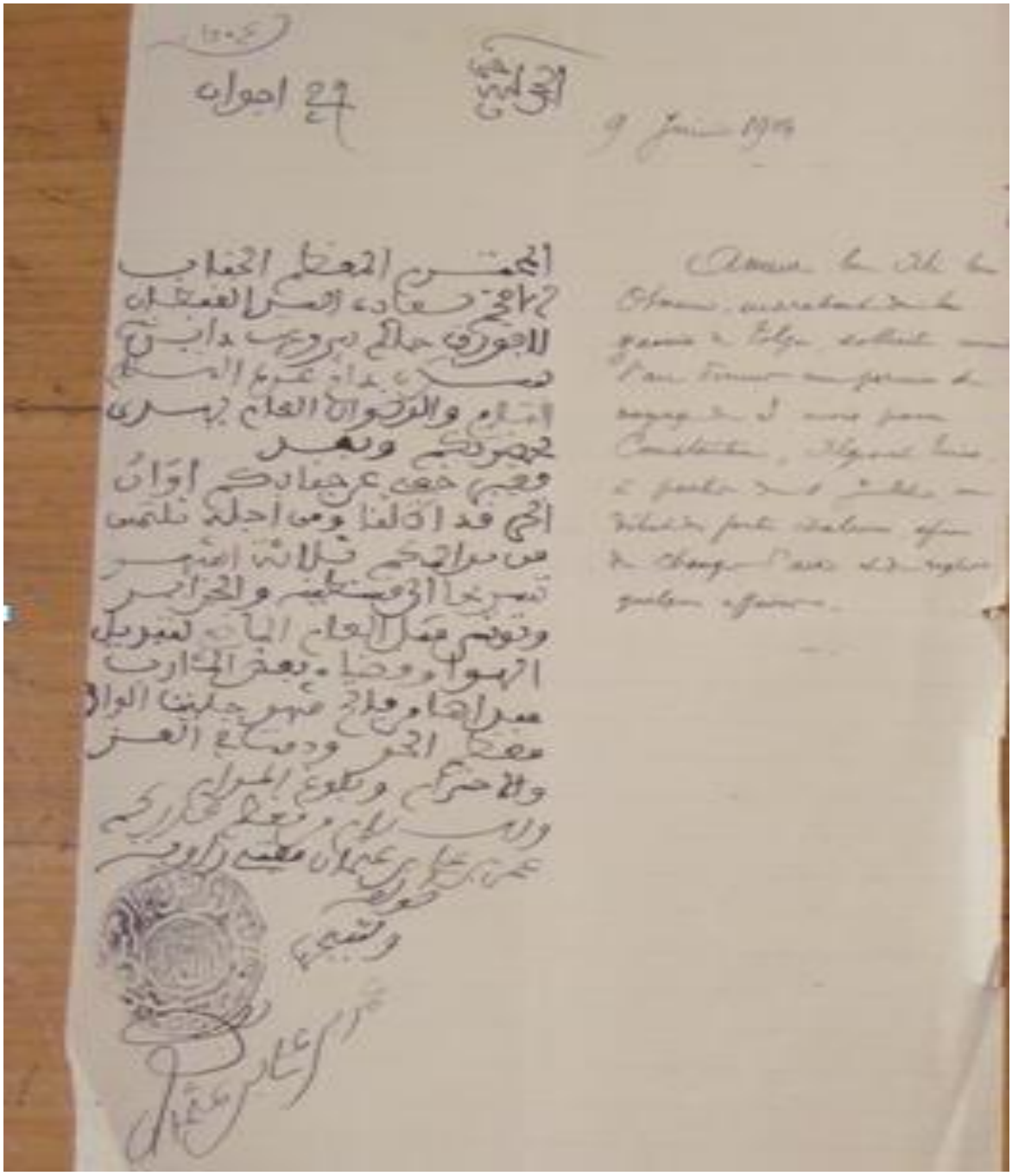
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

الملحق رقم (16): رسالة من عمر بن علي ابن عثمان مرابط ومفتي زاوية طولقة إلى حاكم دائرة بسكرة يطلب فيها إذنا بالاجتماع ببعض المقدمين من زوايا أولاد نايل والجلفة والأغواط وأبي سعادة (بوسعادة).



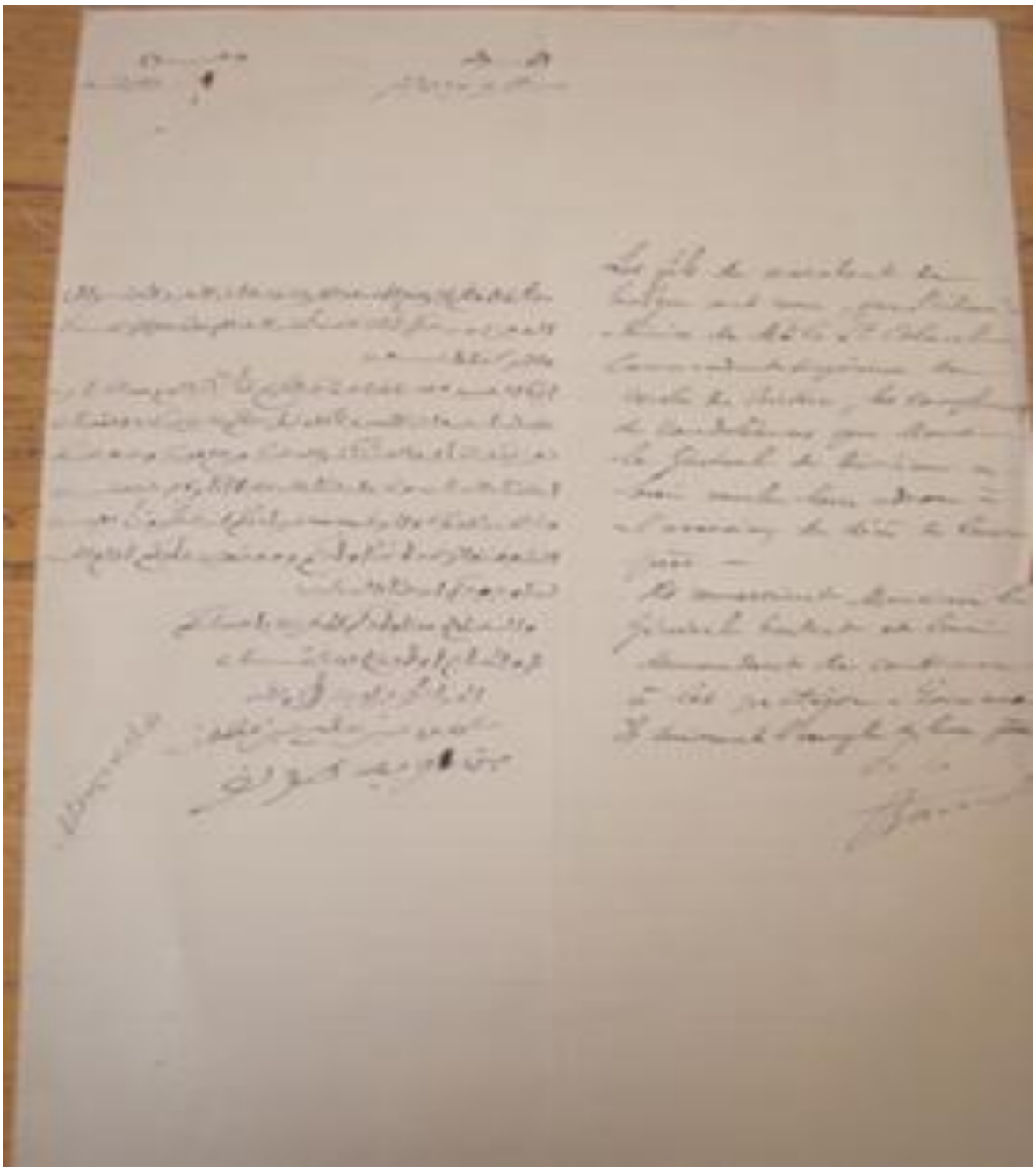
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

الملحق رقم (17): طلب رخصة تنقل لفائدة عمر بن علي ابن عثمان مرابط ومفتي زاوية طولقة من المكتب العربي ببسكرة.



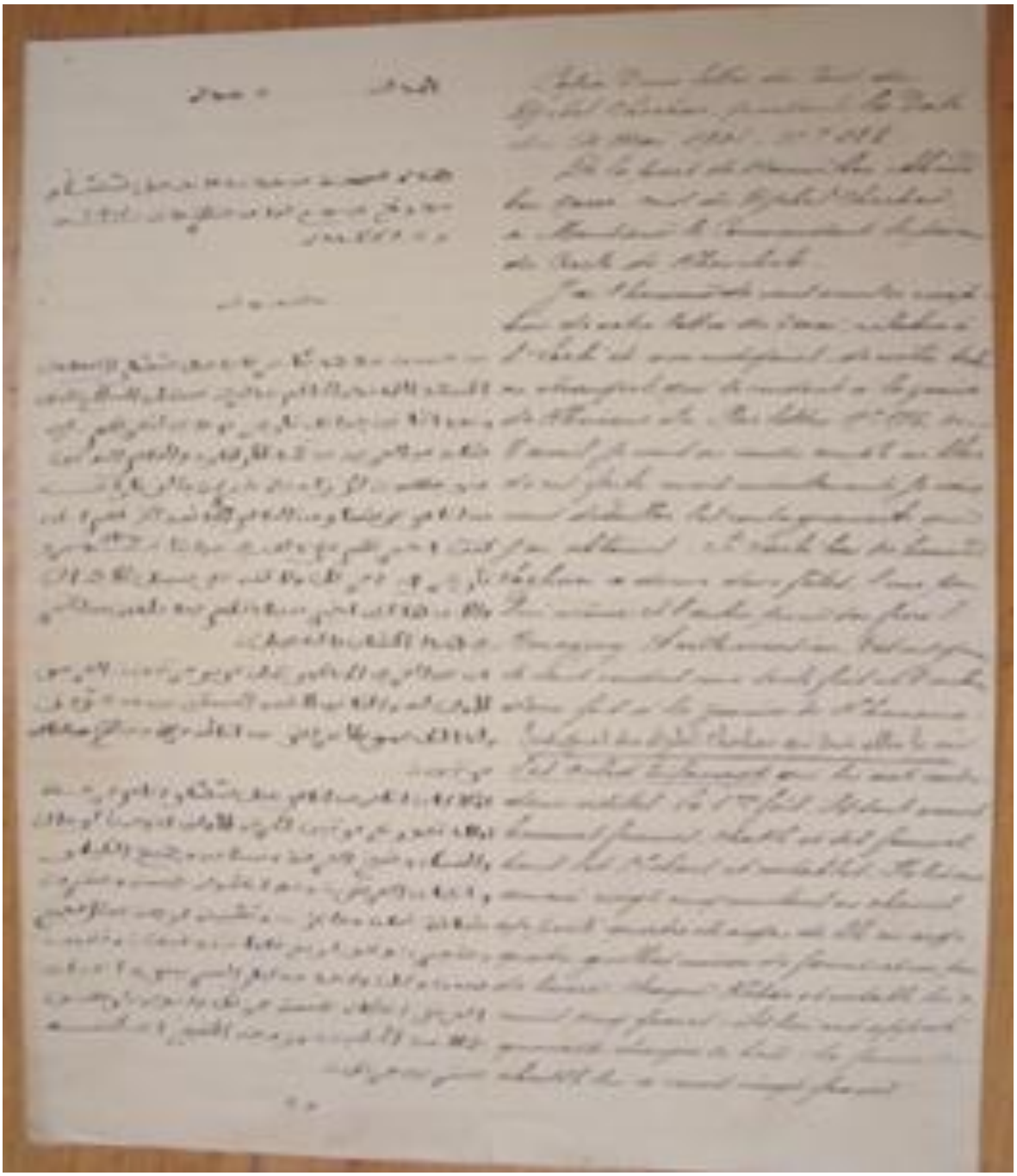
– A.N.O.M , département d'Alger, 2 U3

الملحق رقم (18): رسالة من عثمان بن عمر شيخ زاوية طولقة بدائرة بسكرة إلى حاكم عمالة قسنطينة يعلمه فيها بإتباع سيرة والده بعدما وافته المنية.



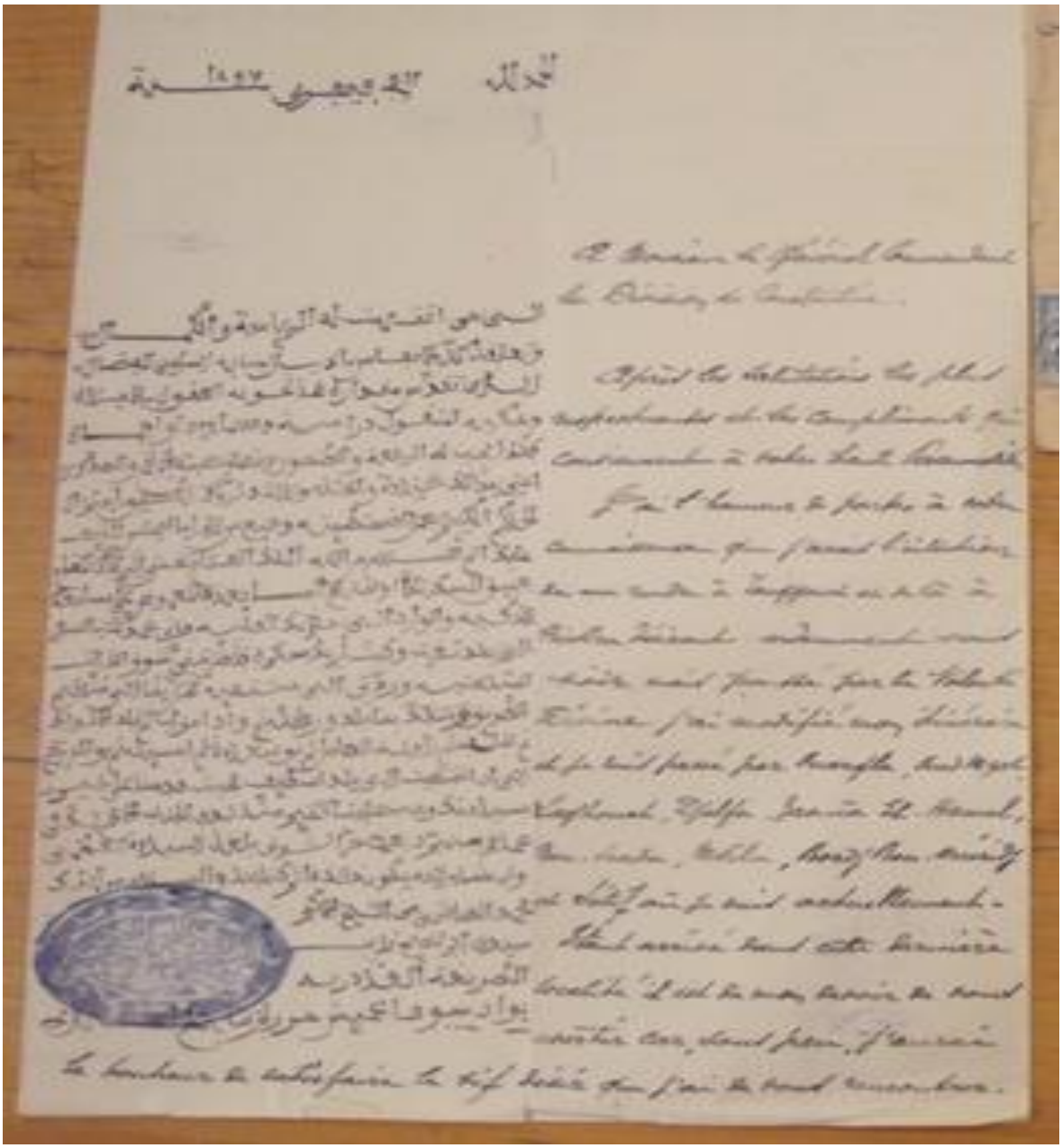
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35

الملحق رقم (19): استفسار إدري لمداخيل مشبوهة لإحدى الزوايا بدائرة خنشلة.



– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

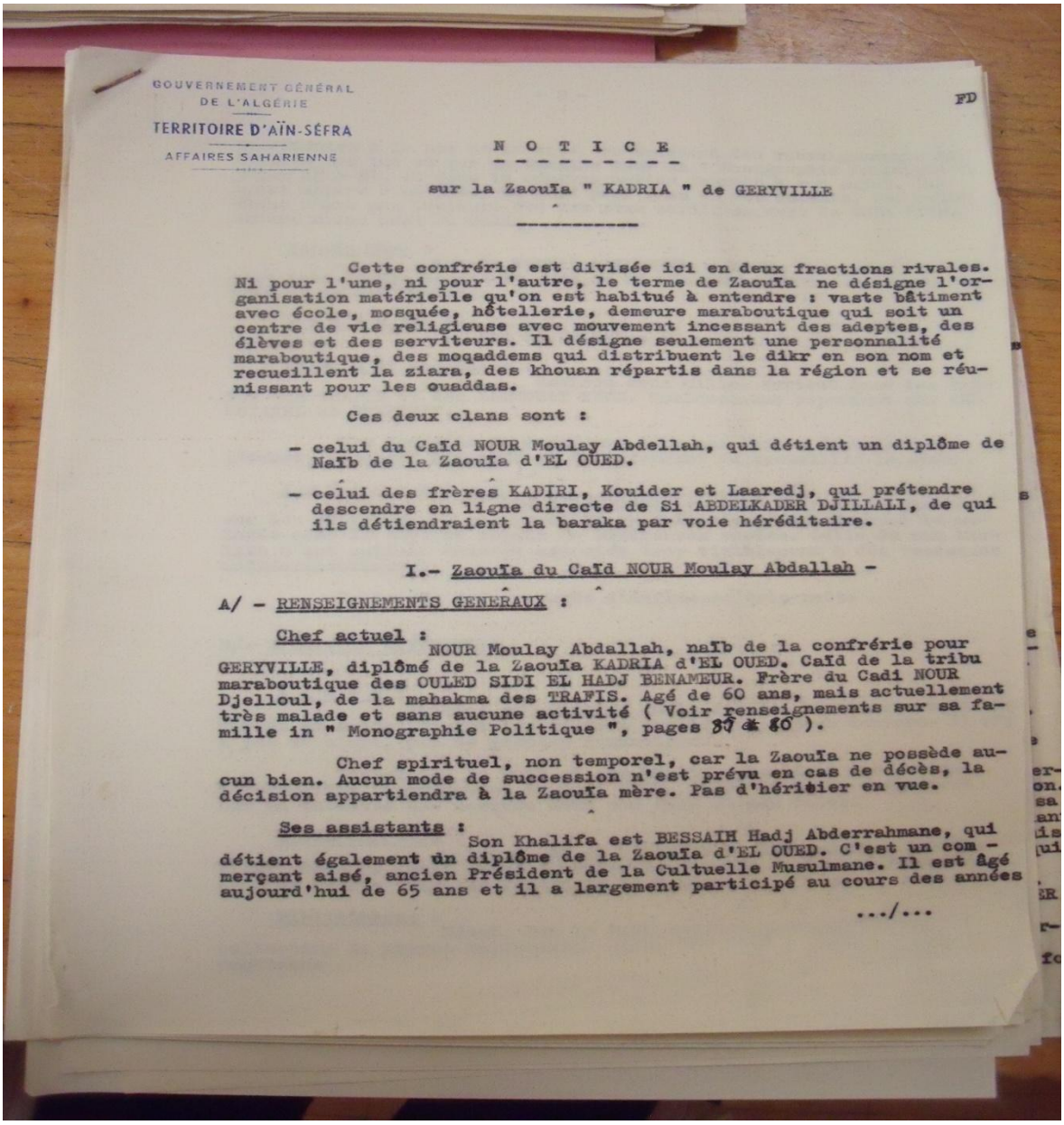
الملحق رقم (20): رسالة مؤرخة في فيفري عام 1897م من محمد الهاشمي شيخ الطريقة القادرية بواد سوف (زاوية عميش) موجهة إلى حاكم عمالة قسنطينة يعمله فيها بتفاصيل زيارته التي قادته إلى بعض زوايا تقرت وبسكرة وورقلة وبني ميزاب والجلفة والأغواط.



– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H3

الملحق رقم (21): نموذج لتقرير تفصيلي للإدارة الاستعمارية مكون من 06 صفحات لإحدى الزوايا القادرية في منطقة جرفيل (البيض)، تعرض لمختلف جوانب هذه الزاوية من حيث الانتماء الطرقي وعدد الاتباع والزوايا والمداخيل المالية ومميزات علاقتها بالزاوية الام والزوايا الأخرى وموقف الادارة منها.

-01-



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

TERRITOIRE D'AÏN-SÉFRA

AFFAIRES SAHARIENNE

FD

N O T I C E

sur la Zaouïa " KADRIA " de GERYVILLE

Cette confrérie est divisée ici en deux fractions rivales. Ni pour l'une, ni pour l'autre, le terme de Zaouïa ne désigne l'organisation matérielle qu'on est habitué à entendre : vaste bâtiment avec école, mosquée, hôtellerie, demeure maraboutique qui soit un centre de vie religieuse avec mouvement incessant des adeptes, des élèves et des serviteurs. Il désigne seulement une personnalité maraboutique, des moqaddems qui distribuent le dikr en son nom et recueillent la ziara, des khouan répartis dans la région et se réunissant pour les ouaddas.

Ces deux clans sont :

- celui du Caïd NOUR Moulay Abdellah, qui détient un diplôme de Naïb de la Zaouïa d'EL OUED.
- celui des frères KADIRI, Kouider et Laaredj, qui prétendre descendre en ligne directe de Si ABDELKADER DJILLALI, de qui ils détiendraient la baraka par voie héréditaire.

I.- Zaouïa du Caïd NOUR Moulay Abdallah -

A/ - RENSEIGNEMENTS GENERAUX :

Chef actuel : NOUR Moulay Abdallah, naïb de la confrérie pour GERYVILLE, diplômé de la Zaouïa KADRIA d'EL OUED. Caïd de la tribu maraboutique des OULED SIDI EL HADJ BENAMEUR. Frère du Cadi NOUR Djelloul, de la mahakma des TRAFIS. Agé de 60 ans, mais actuellement très malade et sans aucune activité (Voir renseignements sur sa famille in " Monographie Politique ", pages 57 & 60).

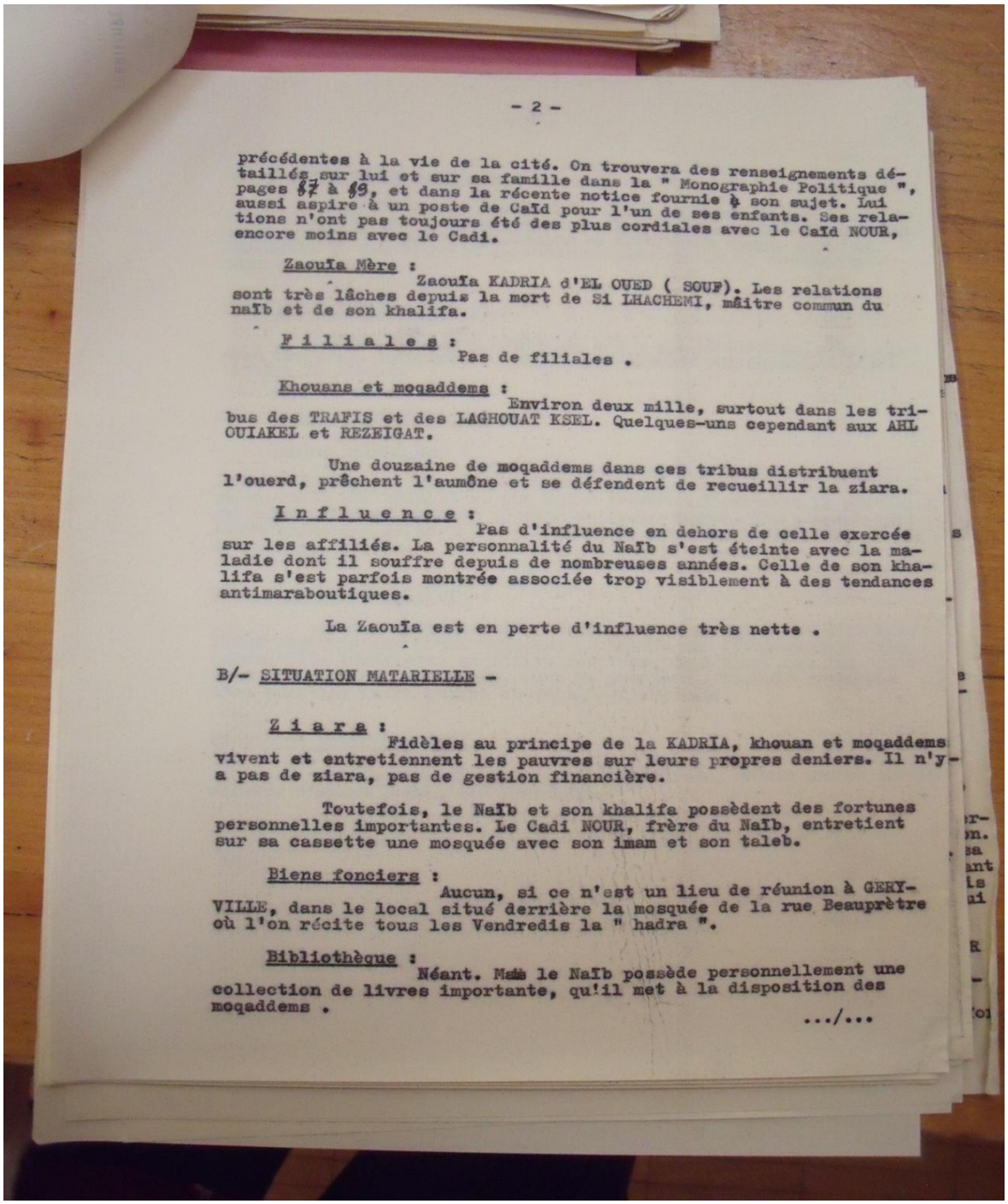
Chef spirituel, non temporel, car la Zaouïa ne possède aucun bien. Aucun mode de succession n'est prévu en cas de décès, la décision appartiendra à la Zaouïa mère. Pas d'héritier en vue.

Ses assistants : Son Khalifa est BESSAIH Hadj Abderrahmane, qui détient également un diplôme de la Zaouïa d'EL OUED. C'est un commerçant aisé, ancien Président de la Cultuelle Musulmane. Il est âgé aujourd'hui de 65 ans et il a largement participé au cours des années

.../...

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35

–02–



- 2 -

précédentes à la vie de la cité. On trouvera des renseignements détaillés sur lui et sur sa famille dans la " Monographie Politique ", pages 87 à 89, et dans la récente notice fournie à son sujet. Lui aussi aspire à un poste de Caïd pour l'un de ses enfants. Ses relations n'ont pas toujours été des plus cordiales avec le Caïd NOUR, encore moins avec le Cadi.

Zaouïa Mère :

Zaouïa KADRIA d'EL OUED (SOUF). Les relations sont très lâches depuis la mort de Si LHACHEMI, maître commun du naïb et de son khalifa.

F i l i a l e s :

Pas de filiales .

Khouans et moqaddems :

Environ deux mille, surtout dans les tribus des TRAFIS et des LAGHOUAT KSEL. Quelques-uns cependant aux AHL OUIAKEL et REZEIGAT.

Une douzaine de moqaddems dans ces tribus distribuent l'ouerd, prêchent l'aumône et se défendent de recueillir la ziara.

I n f l u e n c e :

Pas d'influence en dehors de celle exercée sur les affiliés. La personnalité du Naïb s'est éteinte avec la maladie dont il souffre depuis de nombreuses années. Celle de son khalifa s'est parfois montrée associée trop visiblement à des tendances antimaraboutiques.

La Zaouïa est en perte d'influence très nette .

B/- SITUATION MATARIELLE -

Z i a r a :

Fidèles au principe de la KADRIA, khouan et moqaddems vivent et entretiennent les pauvres sur leurs propres deniers. Il n'y a pas de ziara, pas de gestion financière.

Toutefois, le Naïb et son khalifa possèdent des fortunes personnelles importantes. Le Cadi NOUR, frère du Naïb, entretient sur sa cassette une mosquée avec son imam et son taleb.

Biens fonciers :

Aucun, si ce n'est un lieu de réunion à GERYVILLE, dans le local situé derrière la mosquée de la rue Beauprètre où l'on récite tous les Vendredis la " hadra ".

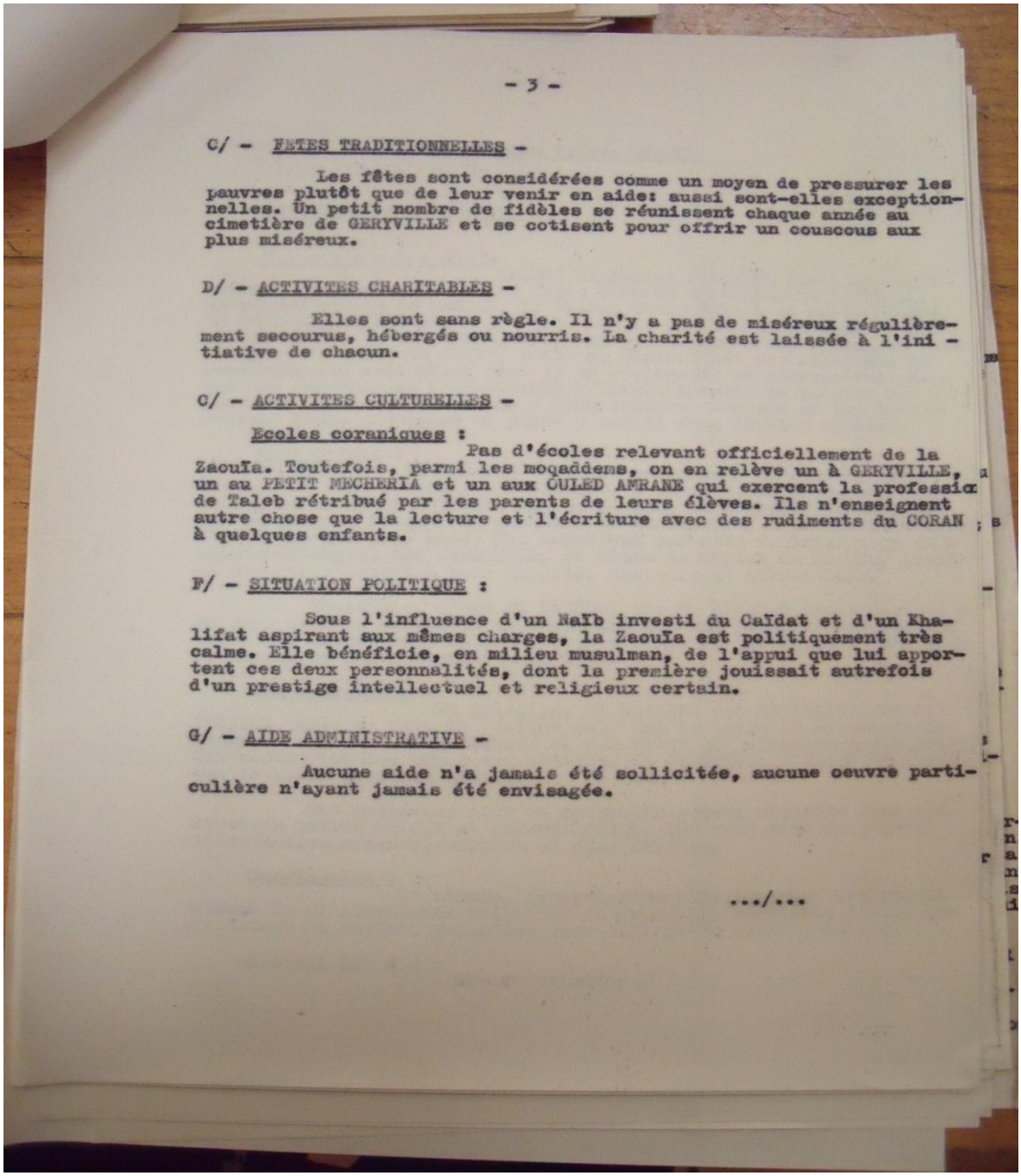
Bibliothèque :

Néant. Mais le Naïb possède personnellement une collection de livres importante, qu'il met à la disposition des moqaddems .

.../...

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35..Op, cit

–03–



- 3 -

C/ - FETES TRADITIONNELLES -

Les fêtes sont considérées comme un moyen de pressurer les pauvres plutôt que de leur venir en aide: aussi sont-elles exceptionnelles. Un petit nombre de fidèles se réunissent chaque année au cimetière de GERYVILLE et se cotisent pour offrir un couscous aux plus miséreux.

D/ - ACTIVITES CHARITABLES -

Elles sont sans règle. Il n'y a pas de miséreux régulièrement secourus, hébergés ou nourris. La charité est laissée à l'initiative de chacun.

C/ - ACTIVITES CULTURELLES -

Ecoles coraniques :

Pas d'écoles relevant officiellement de la Zaouïa. Toutefois, parmi les moqaddems, on en relève un à GERYVILLE, un au PETIT MECHERIA et un aux OULED AMRANE qui exercent la professio de Taleb rétribué par les parents de leurs élèves. Ils n'enseignent autre chose que la lecture et l'écriture avec des rudiments du CORAN à quelques enfants.

F/ - SITUATION POLITIQUE :

Sous l'influence d'un Naïb investi du Caïdat et d'un Khalifat aspirant aux mêmes charges, la Zaouïa est politiquement très calme. Elle bénéficie, en milieu musulman, de l'appui que lui apportent ces deux personnalités, dont la première jouissait autrefois d'un prestige intellectuel et religieux certain.

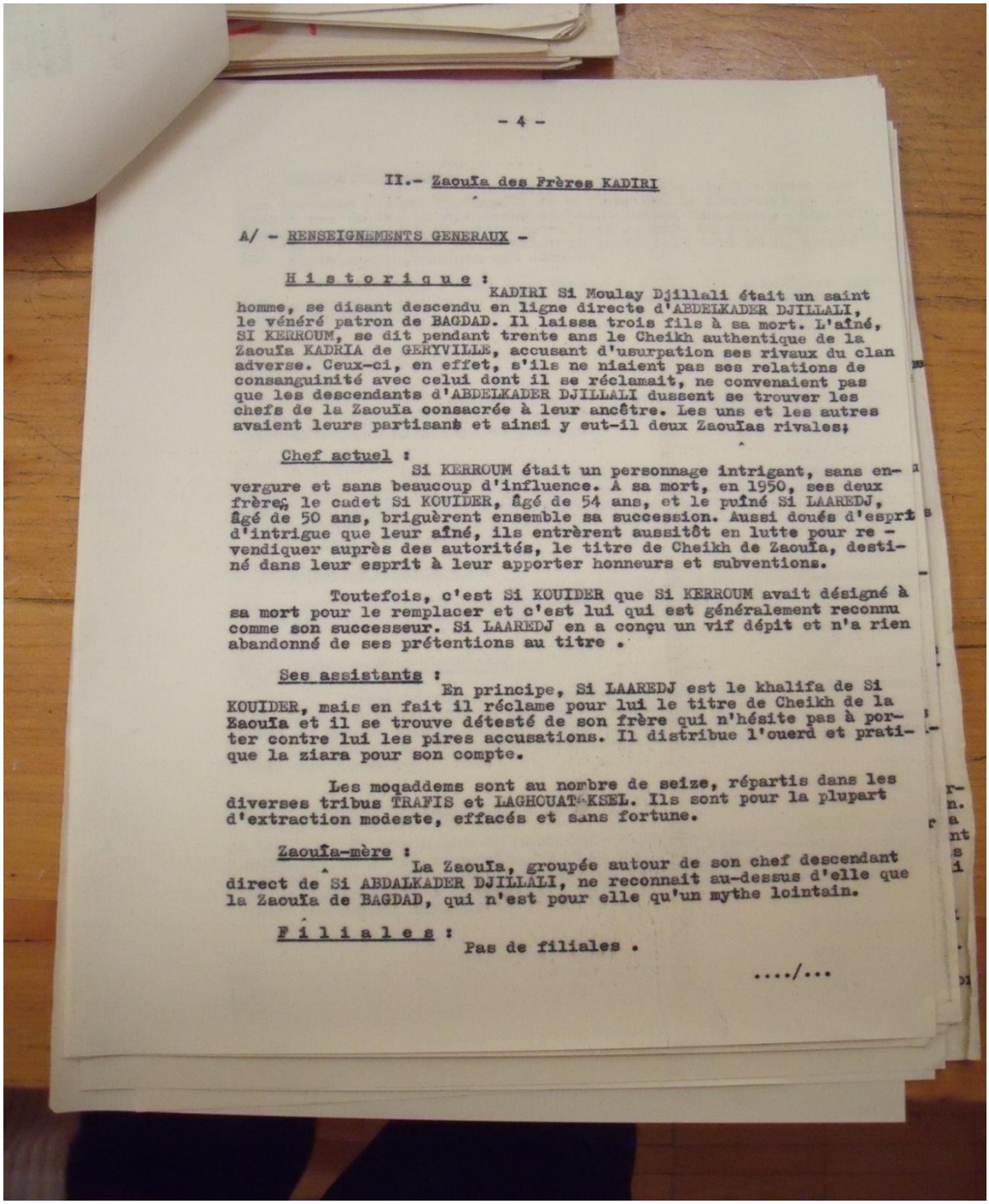
G/ - AIDE ADMINISTRATIVE -

Aucune aide n'a jamais été sollicitée, aucune oeuvre particulière n'ayant jamais été envisagée.

.../...

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35..Op, cit

–04–



- 4 -

II.- Zaouïa des Frères KADIRI

A/ - RENSEIGNEMENTS GENERAUX -

H i s t o r i q u e :

KADIRI Si Moulay Djillali était un saint homme, se disant descendu en ligne directe d'ABDELKADER DJILLALI, le vénéré patron de BAGDAD. Il laissa trois fils à sa mort. L'aîné, SI KERROUM, se dit pendant trente ans le Cheikh authentique de la Zaouïa KADRIA de GERYVILLE, accusant d'usurpation ses rivaux du clan adverse. Ceux-ci, en effet, s'ils ne niaient pas ses relations de consanguinité avec celui dont il se réclamait, ne convenaient pas que les descendants d'ABDELKADER DJILLALI dussent se trouver les chefs de la Zaouïa consacrée à leur ancêtre. Les uns et les autres avaient leurs partisans et ainsi y eut-il deux Zaouïas rivales;

Chef actuel :

Si KERROUM était un personnage intrigant, sans envergure et sans beaucoup d'influence. A sa mort, en 1950, ses deux frères, le cadet Si KOUIDER, âgé de 54 ans, et le puîné Si LAAREDJ, âgé de 50 ans, briguèrent ensemble sa succession. Aussi doués d'esprit d'intrigue que leur aîné, ils entrèrent aussitôt en lutte pour revendiquer auprès des autorités, le titre de Cheikh de Zaouïa, destiné dans leur esprit à leur apporter honneurs et subventions.

Toutefois, c'est Si KOUIDER que Si KERROUM avait désigné à sa mort pour le remplacer et c'est lui qui est généralement reconnu comme son successeur. Si LAAREDJ en a conçu un vif dépit et n'a rien abandonné de ses prétentions au titre .

Ses assistants :

En principe, Si LAAREDJ est le khalifa de Si KOUIDER, mais en fait il réclame pour lui le titre de Cheikh de la Zaouïa et il se trouve détesté de son frère qui n'hésite pas à porter contre lui les pires accusations. Il distribue l'ouerd et pratique la ziara pour son compte.

Les moqaddems sont au nombre de seize, répartis dans les diverses tribus TRAFIS et LAGHOUAT-KSEL. Ils sont pour la plupart d'extraction modeste, effacés et sans fortune.

Zaouïa-mère :

La Zaouïa, groupée autour de son chef descendant direct de Si ABDALKADER DJILLALI, ne reconnait au-dessus d'elle que la Zaouïa de BAGDAD, qui n'est pour elle qu'un mythe lointain.

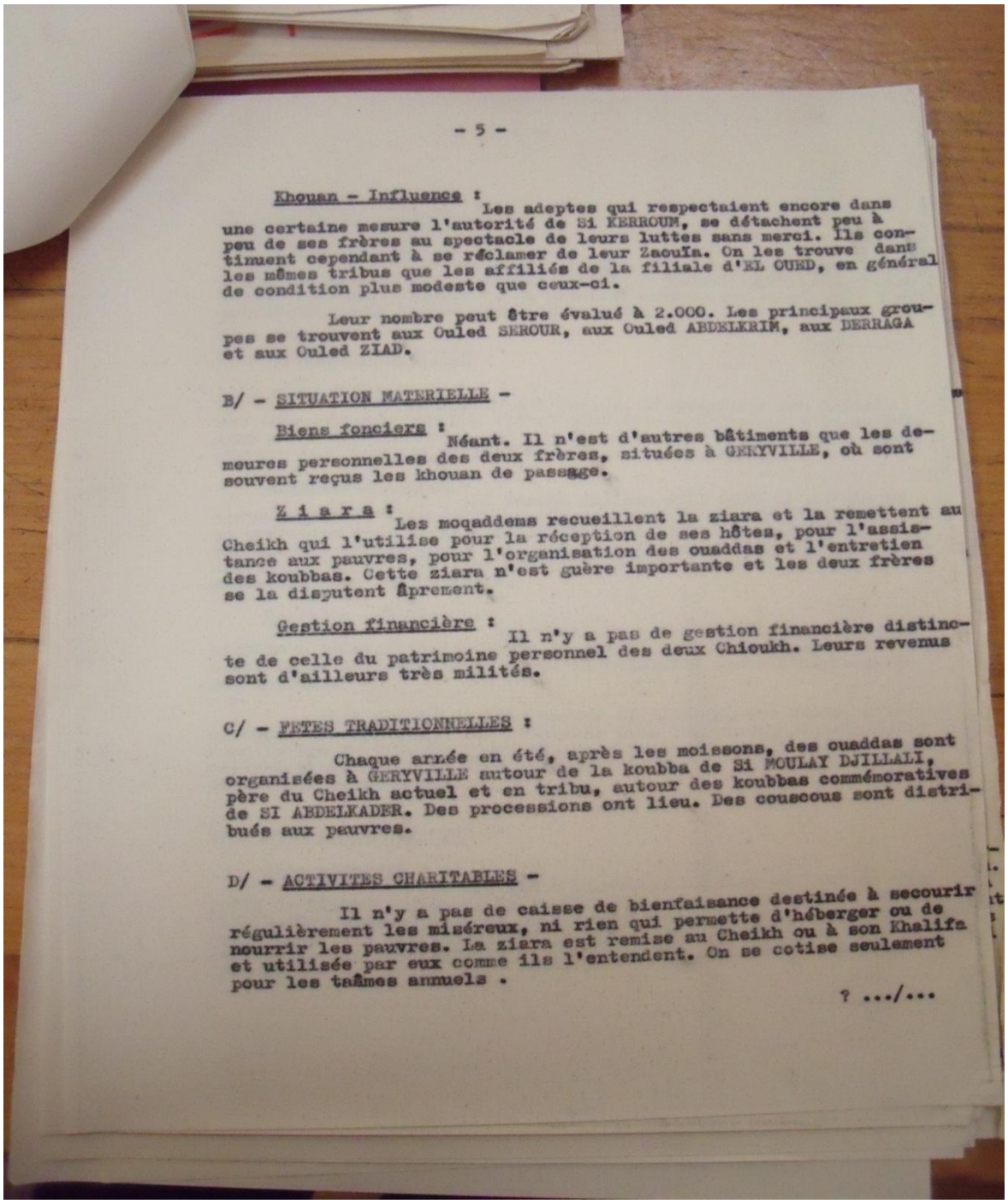
F i l i a l e s :

Pas de filiales .

..../...

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35..Op, cit

–05–



- 5 -

Khouan - Influence : Les adeptes qui respectaient encore dans une certaine mesure l'autorité de Si KERROUM, se détachent peu à peu de ses frères au spectacle de leurs luttes sans merci. Ils continuent cependant à se réclamer de leur Zaouïa. On les trouve dans les mêmes tribus que les affiliés de la filiale d'EL OUED, en général de condition plus modeste que ceux-ci.

Leur nombre peut être évalué à 2.000. Les principaux groupes se trouvent aux Ouled SEROUR, aux Ouled ABDELKRIM, aux DERRAGA et aux Ouled ZIAD.

B/ - SITUATION MATERIELLE -

Biens fonciers : Néant. Il n'est d'autres bâtiments que les demeures personnelles des deux frères, situées à GERYVILLE, où sont souvent reçus les khouan de passage.

Z i a r a : Les moqaddems recueillent la ziara et la remettent au Cheikh qui l'utilise pour la réception de ses hôtes, pour l'assistance aux pauvres, pour l'organisation des ouaddas et l'entretien des koubbas. Cette ziara n'est guère importante et les deux frères se la disputent âprement.

Gestion financière : Il n'y a pas de gestion financière distincte de celle du patrimoine personnel des deux Chioukh. Leurs revenus sont d'ailleurs très milités.

C/ - FETES TRADITIONNELLES :

Chaque année en été, après les moissons, des ouaddas sont organisées à GERYVILLE autour de la koubba de Si MOULAY DJILLALI, père du Cheikh actuel et en tribu, autour des koubbas commémoratives de SI ABDELKADER. Des processions ont lieu. Des couscous sont distribués aux pauvres.

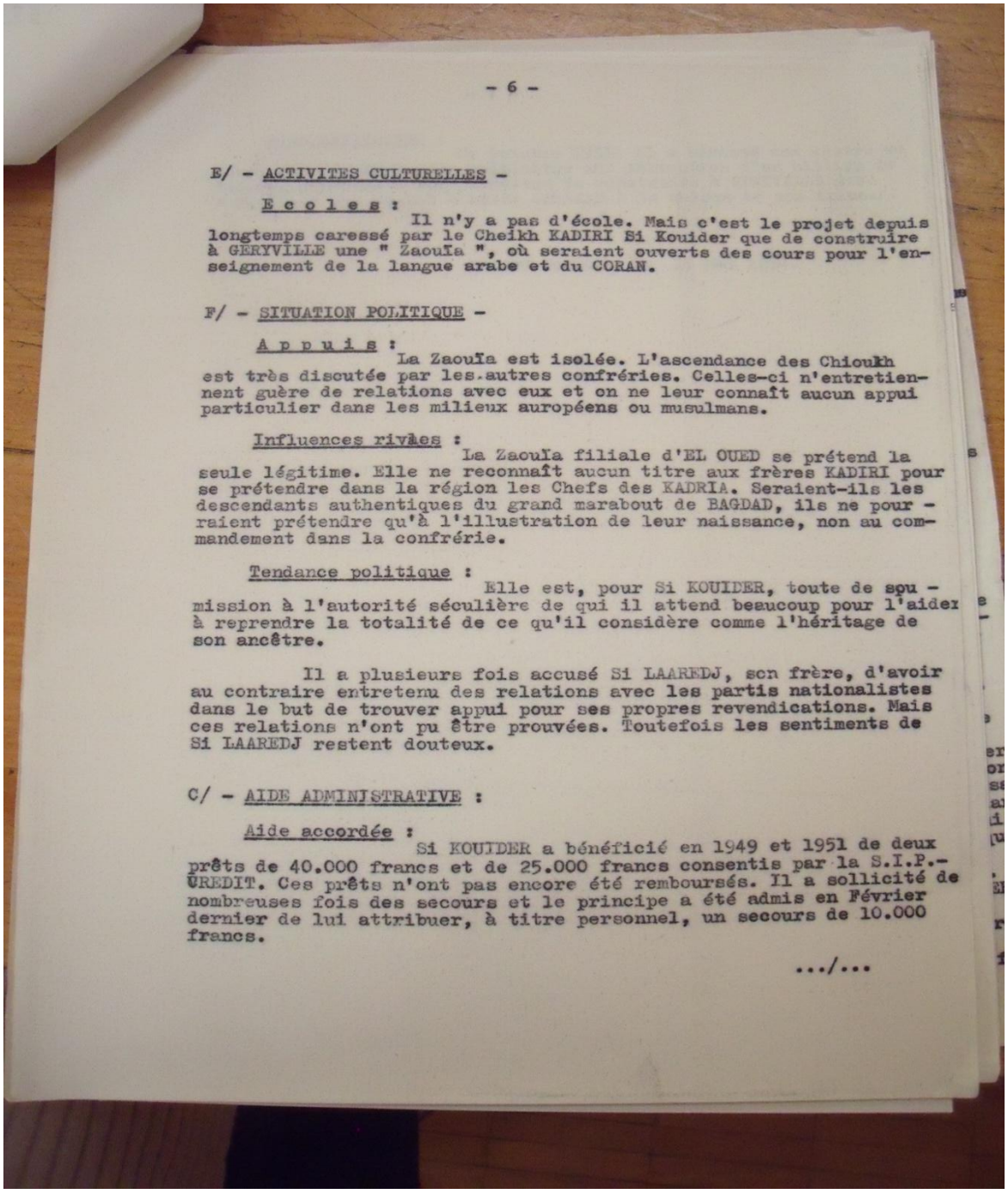
D/ - ACTIVITES CHARITABLES -

Il n'y a pas de caisse de bienfaisance destinée à secourir régulièrement les miséreux, ni rien qui permette d'héberger ou de nourrir les pauvres. La ziara est remise au Cheikh ou à son Khalifa et utilisée par eux comme ils l'entendent. On se cotise seulement pour les taâmes annuels .

? .../...

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35..Op, cit

–06–



- 6 -

E/ - ACTIVITES CULTURELLES -

Ecoles :

Il n'y a pas d'école. Mais c'est le projet depuis longtemps caressé par le Cheikh KADIRI Si Kouider que de construire à GERYVILLE une " Zaouïa ", où seraient ouverts des cours pour l'enseignement de la langue arabe et du CORAN.

F/ - SITUATION POLITIQUE -

Appuis :

La Zaouïa est isolée. L'ascendance des Chioukh est très discutée par les autres confréries. Celles-ci n'entretiennent guère de relations avec eux et on ne leur connaît aucun appui particulier dans les milieux auropéens ou musulmans.

Influences rivales :

La Zaouïa filiale d'EL OUED se prétend la seule légitime. Elle ne reconnaît aucun titre aux frères KADIRI pour se prétendre dans la région les Chefs des KADRIA. Seraient-ils les descendants authentiques du grand marabout de BAGDAD, ils ne pourraient prétendre qu'à l'illustration de leur naissance, non au commandement dans la confrérie.

Tendance politique :

Elle est, pour Si KOUIDER, toute de soumission à l'autorité séculière de qui il attend beaucoup pour l'aider à reprendre la totalité de ce qu'il considère comme l'héritage de son ancêtre.

Il a plusieurs fois accusé Si LAAREDJ, son frère, d'avoir au contraire entretenu des relations avec les partis nationalistes dans le but de trouver appui pour ses propres revendications. Mais ces relations n'ont pu être prouvées. Toutefois les sentiments de Si LAAREDJ restent douteux.

C/ - AIDE ADMINISTRATIVE :

Aide accordée :

Si KOUIDER a bénéficié en 1949 et 1951 de deux prêts de 40.000 francs et de 25.000 francs consentis par la S.I.P.-UREDIT. Ces prêts n'ont pas encore été remboursés. Il a sollicité de nombreuses fois des secours et le principe a été admis en Février dernier de lui attribuer, à titre personnel, un secours de 10.000 francs.

.../...

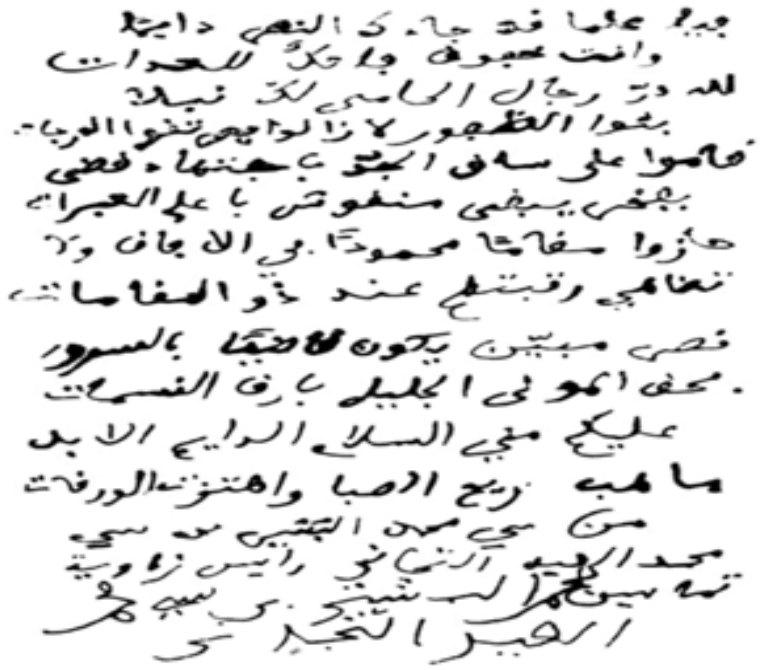
– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35..Op, cit

الملحق رقم (22): نداء شيخ الطريقة التجانية لأحباب طريقته في العالم الإسلامي.



- *Collection de la Revue de Monde Musulman,**Le salut du drapeau**, Témoignages de loyalism des musulmans francais-1-Algérie, paris :ernest leroux éditeur,1916, p :181.*

الملحق رقم (23): قصيدة من محمد البشير بن سي محمد العيد شيخ الطريقة التجانية (فرع تماسين) في مدح العلم الفرنسي بمناسبة لحرب العالمية الأولى.



O Drapeau ! la victoire est venue à toi pour toujours. Tu flottes, ayant anéanti l'ennemi.

Quels superbes hommes que ceux qui te défendent noblement. Ils ont répandu la victoire et ils ne cessent de gravir les degrés (du succès).

Ils déploient une activité telle, qu'elle constituera une gloire devant rester gravée dans les esprits les plus élevés.

Ils ont conquis dans le monde une place digne de louanges. Leur rang n'a pas d'égal chez ceux qui occupent des situations élevées.

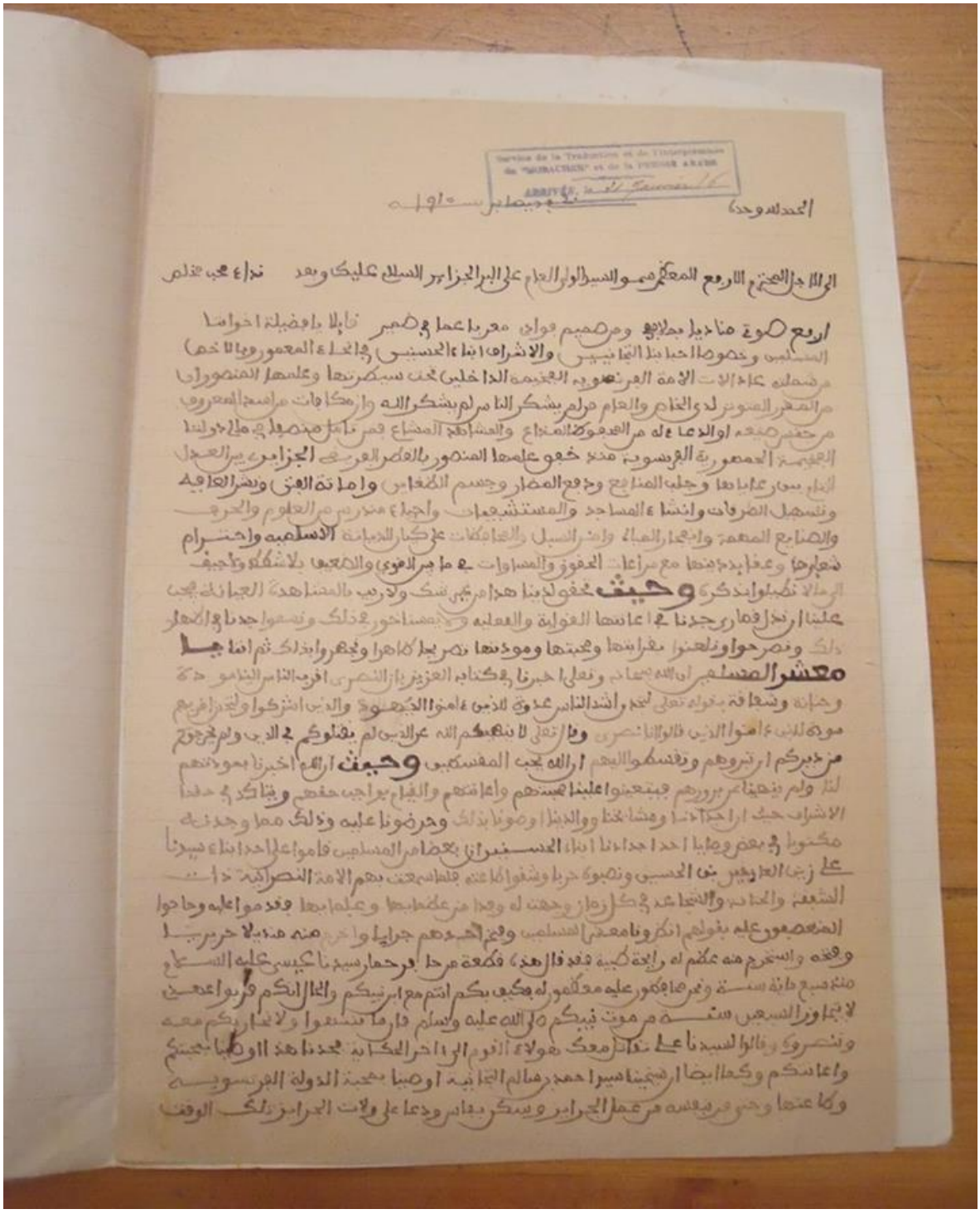
Une victoire éclatante leur apportera la joie, grâce au Maître Tout-Puissant qui fait briller les âmes.

Que sur toi soit mon salut perpétuel, éternel, aussi longtemps que le vent soufflera et que les feuilles (des arbres) s'agiteront.

MOHAMMED EL-BACHIR BEN SI MOHAMMED LAID TIDJANI, *Chef de la Zaouïa de Témacine.*

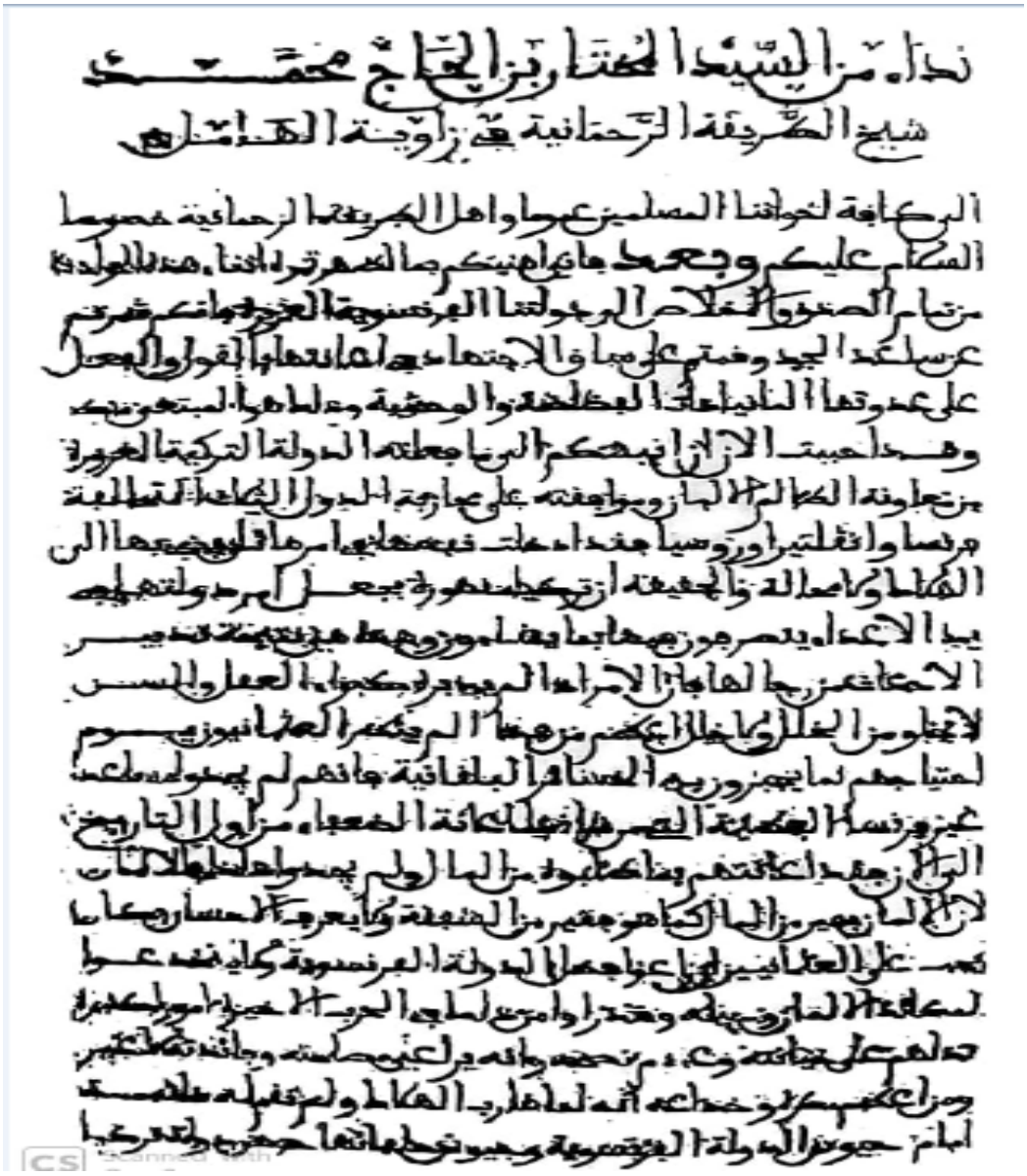
- *Collection de la Revue de Monde Musulman,**Le salut du drapeau**, Témoignages de loyalism des musulmans francais-1-Algérie, paris :ernest leroux éditeur, p :159.*

الملحق رقم (24): نداء الطريقة التجانية إلى أتباعها بمساندة فرنسا في الحرب العالمية الأولى مؤرخة في 1915م.



– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H35

الملحق رقم (25): نداء السيد المختار بن الحاج محمد شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية الهامل



نداء من السيد المختار بن الحاج محمد
شيخ الطريقة الرحمانية في زاوية الهامل

- *Collection de la Revue de Monde Musulman,**Le salut du drapeau**, Témoignages de loyalism des musulmans francais-1-Algérie, paris :ernest leroux éditeur,1916, p :218.*

الملحق رقم (26): وصية الشريف السيد أحمد بن الحسني الوزاني في وهـــران إلى مقـــاديم وإخوان الطريقة الطيبية خلال الحرب العالمية الأولى.

وصية الشريف السيد احمد بن الحسني الوزاني
الى المقادم واخوان الطريقة الطيبية

الحمد لله وحده

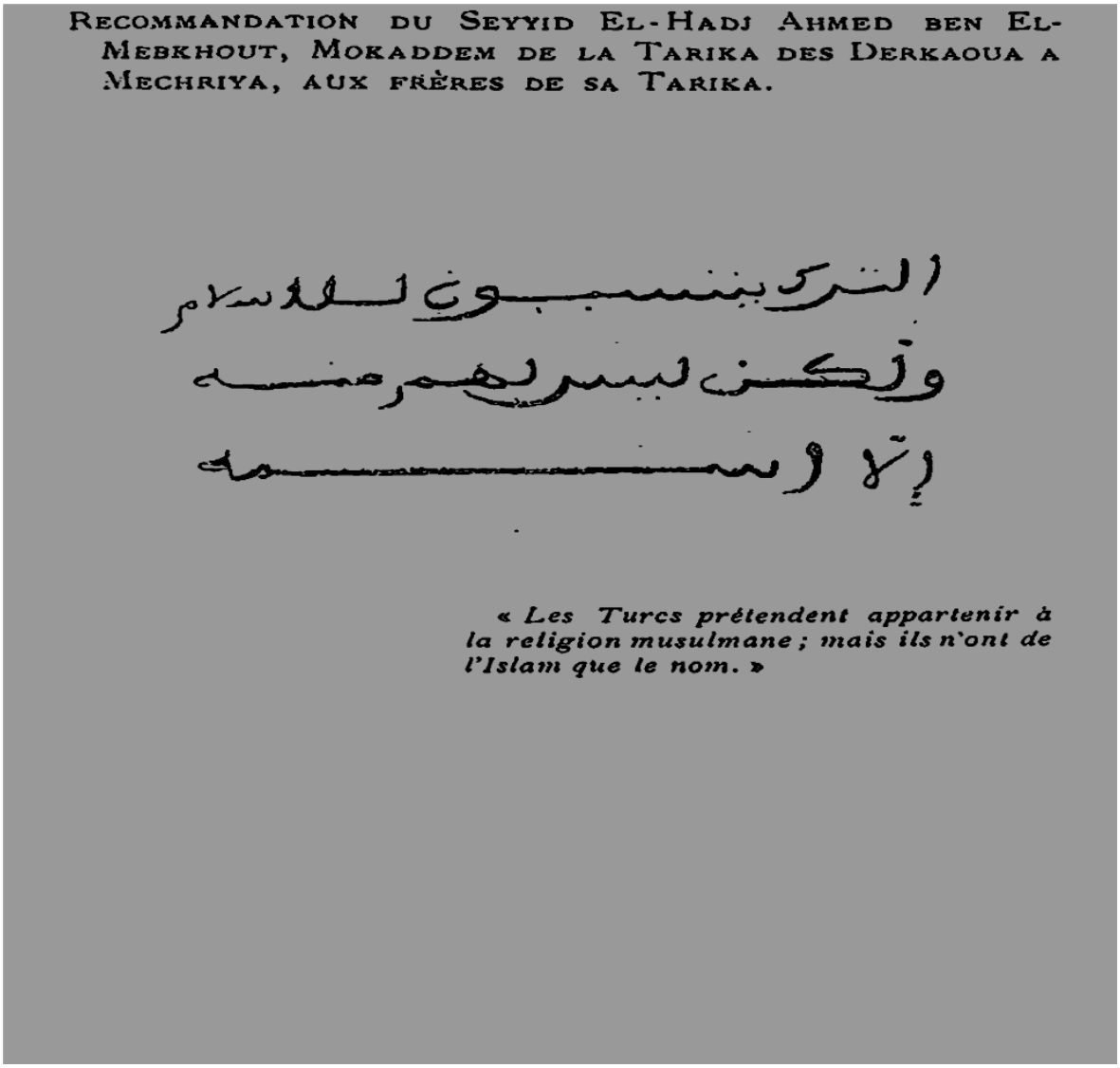
ايها الاخوان الطيبيون اننا نحمد الله ونشكره على ولاية
الدولة الفرنسوية علينا فانا نحبها ونسال الله ان يكمل
بقاءها ويجعل منارها في اعلى اوج السعادة ويمدها بالنصر
في الغدو والرواح اما دولة تركيا فعلى ايصار رجالها غشاوة
والاكثر اينتبهون الى مصلحة بلادهم ويصدون عن دولة الالمان
الخادعة التي تجر المملكة العثمانية الى السقاط العفيف
وليس من شان الاسلام الكذب والانتقام من سلطة المسلمين
كما يعرف ذلك رجال الدولة تركيا وكما يتفوز اليه في
البقية الباقية من ملكهم بئست سياستهم التابعة لسياسة
المانيا فكانت عاقبتها الهلاك شان المملكة العثمانية
في الماضي واضمحلالها في الحال والمآل فالله يعلم كما يريح والترك
لئام حيث لم يراعوا خير فرنسا وخير افلتيرا معهم وما لوا الى
الالمان بخادعهم وعدوا الاسلام اما نحن المسلمون عموما والطيبون
خصوصا فنعلن على رؤوس الملا بانا نقدم صادقون لدولتنا
الفرنسوية الفخيمة وكما نبرهن في اعانتها ونصرها على اعدائها
كما ندعوا لها من صميم الفؤاد بالانتصار الكلي ونسال الله
ان يدمر الالمان واتباعه المفسدين اللهم اميين والسلام

احمد بن الحسني بن ابي الشريف الحسني العلمي الوزاني
شيخ الطريقة الطيبية بوهـــران

Scanned with CamScanner

- *Collection de la Revue de Monde Musulman,**Le salut du drapeau**, Témoignages de loyalism des musulmans francais-1-Algérie, paris :ernest leroux éditeur,1916, p :236.*

الملحق رقم (27): نداء مساندة لفرنسا من إخوان الطريقة الدرقاوية بمناسبة الح ع 1.



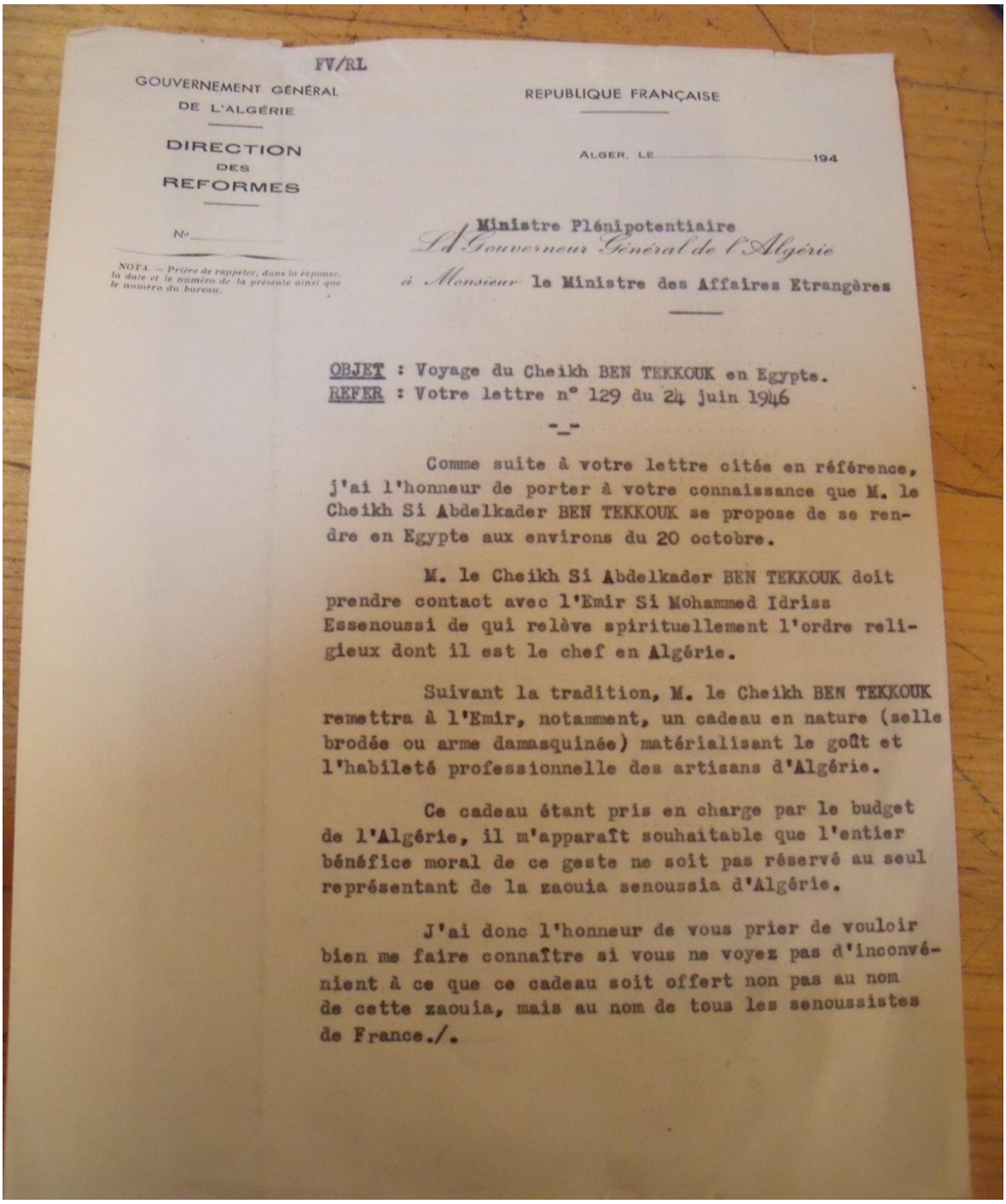
RECOMMANDATION DU SEYYID EL-HADJ AHMED BEN EL-MEBKHOUT, MOKADDEM DE LA TARIKA DES DERKAOUA A MECHRIYA, AUX FRÈRES DE SA TARIKA.

الترك ينتسبون للاسلام
ولكن ليس لهم منه
إلا اسمه

« Les Turcs prétendent appartenir à la religion musulmane ; mais ils n'ont de l'Islam que le nom. »

-*Les Musulmans Français et La Guerre*, *R M M ,Décembre1914,Vol XXIX, p-p :251-255.*

الملحق رقم (28): تقرير من السفير المفوض الفرنسي مؤرخ في 24 جوان 1946 يتحدث عن تفاصيل زيارة الشيخ عبد القادر بن تكوك إلى مصر وإلتقائه بالأمير سي محمد ادريـــس السنوسي.



FV/RL

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

DIRECTION
DES
REFORMES

N°

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

REPUBLIQUE FRANÇAISE

ALGER, LE 194

Ministre Plénipotentiaire
Le Gouverneur Général de l'Algérie
à Monsieur le Ministre des Affaires Etrangères

OBJET : Voyage du Cheikh BEN TEKKOUK en Egypte.
REFER : Votre lettre n° 129 du 24 juin 1946

-_-

Comme suite à votre lettre citée en référence, j'ai l'honneur de porter à votre connaissance que M. le Cheikh Si Abdelkader BEN TEKKOUK se propose de se rendre en Egypte aux environs du 20 octobre.

M. le Cheikh Si Abdelkader BEN TEKKOUK doit prendre contact avec l'Emir Si Mohammed Idriss Essenoussi de qui relève spirituellement l'ordre religieux dont il est le chef en Algérie.

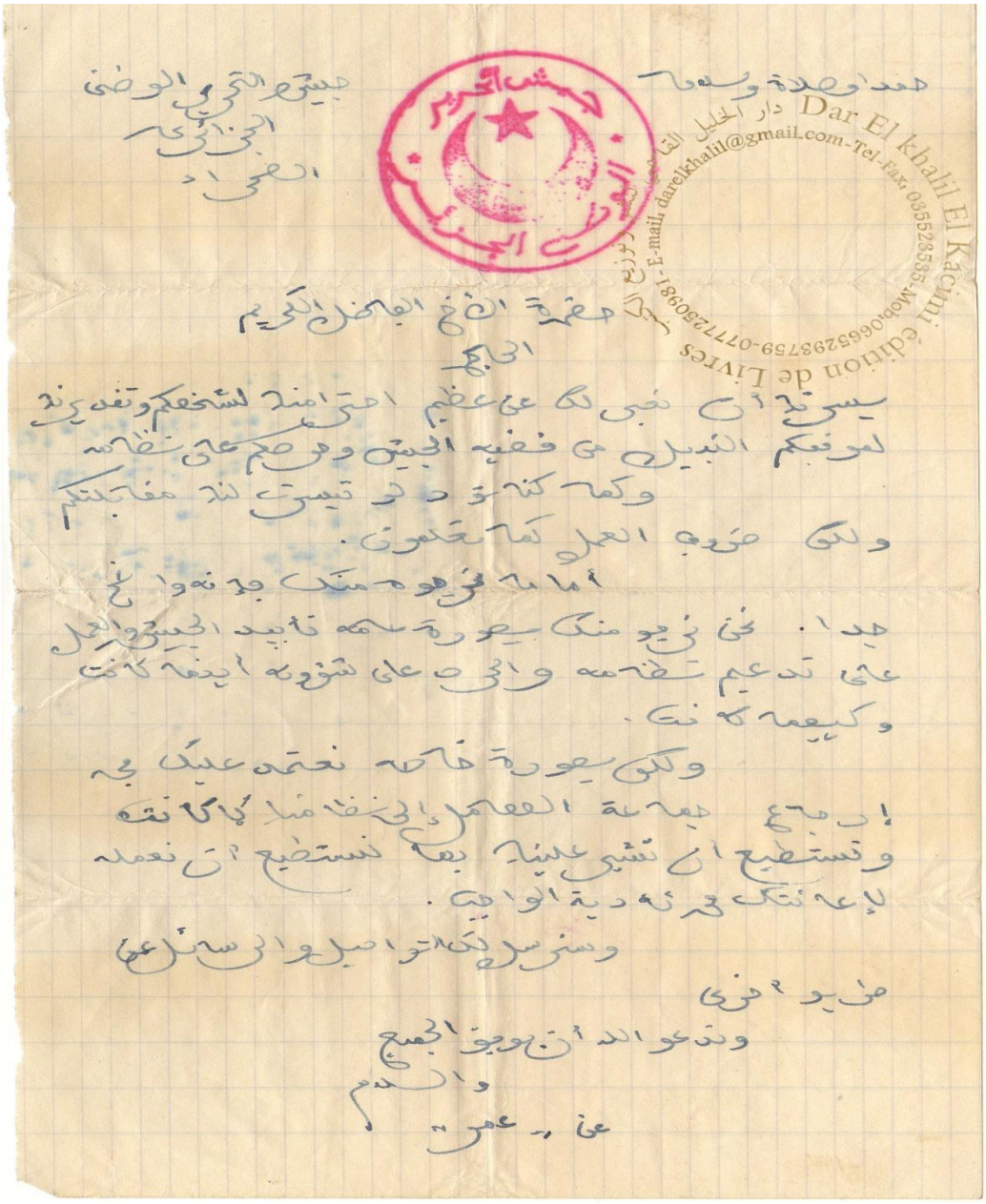
Suivant la tradition, M. le Cheikh BEN TEKKOUK remettra à l'Emir, notamment, un cadeau en nature (selle brodée ou arme damasquinée) matérialisant le goût et l'habileté professionnelle des artisans d'Algérie.

Ce cadeau étant pris en charge par le budget de l'Algérie, il m'apparaît souhaitable que l'entier bénéfice moral de ce geste ne soit pas réservé au seul représentant de la zaouia senoussia d'Algérie.

J'ai donc l'honneur de vous prier de vouloir bien me faire connaître si vous ne voyez pas d'inconvénient à ce que ce cadeau soit offert non pas au nom de cette zaouia, mais au nom de tous les senoussistes de France./.

– A.N.O.M , département d'Alger, 16 H 73

الملحق رقم (29): رسالة من أحد قيادات جيش التحرير ناحية الصحراء المدعو (عمر) إلى شيخ زاوية الهامل بعد الشكر والثناء عليه يحثه فيها على تأييد الجيش والعمل على تـــدعيم نظامه في المنطقة والحرص على مصالحه.


Dar El khalil El Kacimi
Edition de Livres
دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع
E-mail: darelkhalil@gmail.com -Tel-Fax: 035528535 -Mob: 0665298759-0771250981

المصدر: دار الخليل القاسمي لنشر وتوزيع الكتب– زاوية الهامل–بوسعادة–

الملحق رقم (30): رسالة مؤرخة في 1957/06/24 من مركزقيادة جيش التحرير الوطني ناحية الجنوب إلى الشيخ مصطفى القاسمي بزاوية الهامل تبرز الدور التعليمي والتربوي الذي اضطلعت به هذه الزاوية إضافة إلى حفاظها على الموروث الثقافي والحضاري للأمة الجزائرية حسب ما جاء في الرسالة.



جيش وجبهة التحرير الوطني الجزائري

جنوب الجزائر

مركز القيادة: في ٢٤/٦/٥٧

العلامة العامل والعارف الكامل المحترم الشيخ مصطفى القاسمي وجميع افراد العائلة القاسمية السلام عليكم سلاما وتحيات طيبات ومباركات عاطرة.

وبعد فان المعهد القاسمي الزاخر والمقام الشريف الطاهر مفخرة الجزائر وابناءها وحصن الجزيرة وملاذها وتاج مجدها وعزتها ونبراس هدايتها وافتدابها يعتبر حقا وبدون مجازفة من المواقع الجغرافية الهامة الذي خطط بالهامات نورانية وتجليات روحانية وقام به فئة التاسيس من مشرعي علوم الدين وابواء البعداء المعوزين وانساء النتائج الوافية والتربية الراقية كان ولا يزال المورد العذب والمغنى الخصب للسلب والغالب.

وان مؤسس المقام الأول قد سن الله ارواحهم في دار السلام فاموا بهذا الواجب الأكيد احسن قيام حسب ما اقتضته الظروف والايام من اسلوب عصرهم الذهبي ومنهجهم الأدبي.

وكان من نعم الله تعالى ان ابقى هذا التراث القديم محبوكا ملحوظا بالعناية والرعاية فخرج فئة من ابناء الاسرة الكريمة حتى العصر الحاضر.

ما حمل هذا السواد الاعظم من الامة على التمسك الشديد بعهدة الولاء والاخلاص والتقدير والهيبة للعائلة القاسمية المحترمة.

ومما زاد هم بها اعجابا واهتماما وتقديرا واحتراما تلك البادرة الكريمة والمظاهرة الغوثية من مشاركة كل افراد العائلة في بناء صرح الثورة الجزائرية وما بذلوه من جهود جبارة.

فهذا التاييد وهذا الاهتمام بالمستقبل وهذا التفاني البطال مع كافة ابناء الجزائر هو المكاسب الذي يجعلنا نامل ونتفاءل ان شاء الله ان يهني هذا المعهد الشريف قبلة الانظار ومنتهى الاسفار والمؤسسة الفاضلة والكلية العجيبة ومنار الاهتداء وراية الاقتداء للطلاب العلوم الدينية والبلاغة العربية من ابناء الامة الجزائرية في خلال الحرية والاستقلال المغربي بعد جلاء كامل عناصر الاحتلال الاجنبي وما ذلك على الله ببعيد؟

غير انه لما كان يحلو لكل عصر حكمه الذي به واسلوبه الخاص في التربية والتعليم، وان لكل جيل من الاجيال اخيار وخيرهم من له العلم واثار جريا وراء سنة التطور في الكون وتمشيا مع الوعي القومي وتشجيعا لما يتشوق اليه ابناء الشعب الجزائري للتقدم والرقي في جميع الميادين، وتجنبا من الانتقاد الذي يمكن ان يوجه قصد الانتهاز والمحطون على المكانة او قصد الاستحباب والاستهانة فتان المجتمع الانساني في كل مكان الارض.....

وطبقا لما سبقت الاشارة اليه جدير بنا ان نلفت انظاركم الكريمة: انه طرق وسبلا وعرا ما توسعه من الفلاح العائلة الذي يجب علينا وعليكم ان نتعاونوا على انتهاجه

وجهه بالقول المرضية العادلة التي من شانها ان تضمن سلامة هذا المعهد الشريف ومكانة العائلة القاسمية في احضانه البيضاء. منظورا فيها بعين الاحترام والتبجيل وتكونوا فداء حرتهم انتظارا باهرا وحفنة لكم ولله سيرة الجزائرية فستقبلا زاهرا لحق لكن مواطن ان يعترف لكم بالفضل والثناء الباهر الجليل من ابناء كل جيل.

ونحن حرصا على نشر المبادئ التي تحفظ لنا المجد في الحاضر والمستقبل وبناء مجد الجزائر وعزتها والسعي في اثبات كل ما يضمن رفاهيتها وسعادتها نجد ونغدر هذا العمل الممتاز ونعتبره كخطوة كبيرة لما فيه بصدد اشاعته وتكوينه.

والرجاء ايها الاخوة الكرام ان تجاوبونا عما ستعهدون عليه العزم في هذه القضية الاكيدة التي تعتبرون اهم القضايا الجزائرية التي نكافح من اجلها والتي نحن المسئولون عنها بصفة الخص.

لانها اساس انشاء العنصر الحيوي من الامة وانتشاله من احضان الجهل والامية الذي تكبد ولازالها طيلة قرون وربع قرن تحت نير الاستعمار والعبودية.

وفي انتظار جوابكم تقبلوا تحياتنا الوطنية الخالصة ودمتم منعة وهناء.

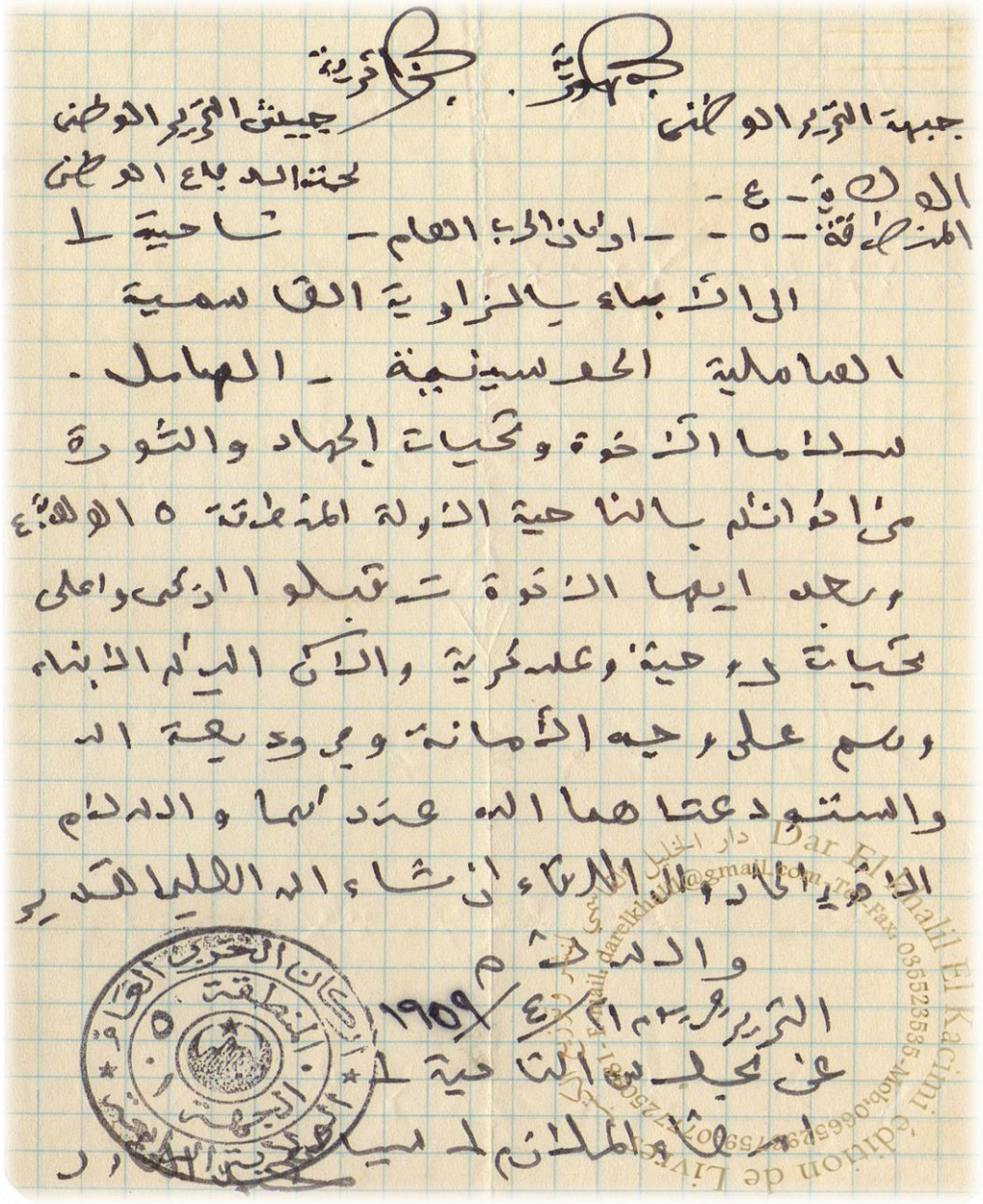
المسئول عن القسم الثاني نيابة عن القيادة العامة لجنوب الجزائر

عبد السلام

Dar El Khalil القاسمي للنشر والتوزيع والكتاب E-mail: dar.elkhalil@gmail.com Tel: 0772260937

المصدر: دار الخليل القاسمي لنشر وتوزيع الكتب– زاوية الهامل–بوسعادة–

الملحق رقم (31): رسالة مؤرخة في 1959/04/21 من قيادة جيش التحرير الـــوطني- أركان الحرب العامة- إلى الأسرة القاسمية بالهامل تضمنت توصية على بعض الطلبة لـــدى هذه الزاوية.



جبهة التحرير الوطني
جيش التحرير الوطني
الولاية - ع -
المنطقة - ٥ - - أركان الحرب العام - ناحية ١
الى أبناء الزاوية القاسمية
العاملية الحسينية - الهامل.
سلام الأخوة وتحيات الجهاد والثورة
من إخوانكم بالناحية الأولى المنطقة ٥ الولاية ع
وبعد أيها الأخوة تقبلوا أذكى وأعلى
تحياتي وحيتي وعسكريتي وأدعو لكم البارئ بالبناء
وسلم على وجيه الأمانة وبودعة الله
والستودعتاهما الله عدد أنفاسها والسلام
الأخوي الدائم والبقاء إن شاء الله الليالي القدير
والدته حرم
التحرير ٢٠٣ ١٩٥٩/٤/٢١
عن محل سكنى الناحية ١
إمضاء الملازم ١ لسيلة

Dar El Khalil Al Kacimi
دار الخليل القاسمي
Edition de Livre

المصدر: دار الخليل القاسمي لنشر وتوزيع الكتب- زاوية الهامل-بوسعادة-

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص)

– سورة الشورى: الآية 18.

– سورة ص، الآية: 20.

أولا– المصادر بالعربية

I. المصادر المخطوطة:

1– محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فمن قبر من العلماء والصـــلحاء بفاس**، طبعة حجرية المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 95، ج: 01 .

II. المصادر المطبوعة:

أ/ – الكتب:

1– إبن سحنون الراشدي، **الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق: المهدي البوعبـــدلي قسنطينة: مطبعة البعث، 1973.

2– أبو حامد الغزالي، **أيها الولد المحب**، تح: عبد الله أحمد أبو زينة، تونس: مطبعـــة الشـــحمي (د.ت).

3– أبو حامد الغزالي، **جواهر القرآن ودوره**، بيروت: منشورات الآفاق الجديدة، 1983.

4– أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، **تلبيس إبليس**، القاهرة: دار الفتوى، (د.ت)، (د.ط).

5– أبي نصر السراج الطوسي،**اللمـــــع**، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد البـــاقي ســـرور مصر: دار الكتب الحديثة 1960.

6– أحمد بن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم، الرباط: مكتبـــة المعارف، (د.ت)،مج:11

7– أحمد بن مبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، تح: رابح بونار، الجزائر: (د.ت)، (د.ط).

8– إدوارد دو نوفو، **الإخوان –دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عن مسلمي الجزائر–** تر: كمال فيلالي الجزائر: دار الهدى، 2003.

9– الآغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح: يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.

10– ألكسيس دي توكفيل، **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان**، تر: إبراهيم صحراوي الجزائر: د.م.ج 2008.

11– خير الدين التونسي، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، الجزائـــر: م.و.ك، ط: 02 1986.

12– عبد الرحمن ابن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تح: أبو يعرب المرزوقي، تونس: الدار العربي للكتاب 1991، ط: 01.

13– عبد القادر بن محمد السهروردي، **عوارف المعارف**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983 ط: 02.

14– عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تـــق وتـــح وتع: أو القاسم سعد الله بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987، ط: 01.

15– علي حرازم برادة الفاسي، **جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أحمـــد التجـــاني** بيروت: دار الكتب العلمية 1997، ط: 01.

16– محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع: محمود حقي، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964، ط: 02.

17– حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تق وتع وتح: محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش.و.ن.ت 1982.

18- محمد بن صالح العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو -تاريخ قسنطينة-**، مر، وتق، وتع: يحي بوعزيز، الجزائر: د.م.ج.

19- وليم شالر، **مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)**، تع وتق: إسماعيل الغريب، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982، ط: 01.

ب/ - الصحف:

1- جريدة **الشهاب**، مجلد رقم: 10، سنة 1937.

2- جريدة **الشهاب**، مجلد رقم: 13، سنة 1937.

3- جريدة **المبشر**، 17 مارس 1876.

4- صحيفة **البصائر**، عدد 95، سنة 1938.

ثانيا- المراجع بالعربية:

1- أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (د.ت).

2- إسماعيل العربي، **المقاومة تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982، ط: 02.

3- عبد الرحمن عبد الخالق، **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، الكويت: مطبعة الفيصل 1986.

4- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2007.

5- عبد القادر خليفي، **الطريقة الشيخية**، وهران: دار الأديب للنشر والتوزيع، 2006.

6- عبد المنعم القاسمي الحسني، **الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار**، الجزائر: دار الخليل للنشر والتوزيع، 2013.

7- إبراهيم لونيسي، **بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي** الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

8- إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)** الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.

9- ــــــــــــــ، **لمحات من جهاد الشعب الجزائري**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 2007.

10- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، الجزائر: عالم المعرفة ، 2015، ج: 02.

11- ــــــــــــــ، **الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ج: 03.

12- ــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830**، الجزائر: عالم المعرفة 2015،ج:01.

13- ــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854**، الجزائر: عالم المعرفة 2015 ج:04.

14- ــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، الجزائر: عالم المعرفة 2015 ج:03.

15- ــــــــــــــ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، الجزائر: عالم المعرفة 2015 ج: 07.

16- ــــــــــــــ، تاريخ **الجزائر الثقافي 1830-1954**، الجزائر: عالم المعرفة 2015،ج: 06.

17- ــــــــــــــ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1996 ط: 01، ج: 04.

18– أبو القاسم سعد الله، **ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775–1850م)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1976

19– أحمد الخطيب، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** الجزائر: م.و.ك، 1985

20– أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، الجزائر: دار المعارف، 1984.

21– ــــــــــــــ، **عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791م)**، الجزائر: م.و.ك 1986، ط: 02.

22– أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن 19م**، القاهرة: (د.ت) 1967.

23– أحمد طالب الإبراهيمي، من **تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية 1962–1972** الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

24– أحمد مالكي، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ط: 02.

25– أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.

26– أحميدة عميراوي وسليم زاوية ومحمد السعيد قاصري، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، الجزائر: دار الهدى للنشر والتوزيع، 2004.

27– الأمين شريط، **التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919– 1962)**، الجزائر: د.م.ج 1998.

28– التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية**، منوبة–تونس: منشورات كلية الآداب 1992 ط: 01.

29– الجيلالي صاري ومحفوظ قداش، **الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900– 1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، الجزائر: م.و.ك 1987.

30– العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م**، الجزائر: دار المعرفة، 2006.

31– المختار الطاهر فيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، الجزائر: دار الفن للطباعة، 1976، ط: 01.

32– الهادي أحمد تمام درواز، **صقور الصحراء**، الجزائر: دار هومة، 2006.

33– أوليفي لكور غرانميزون، **الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب والدولة الإستعمارية**، تر: نورة بوزيدة، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007.

34– بديعة الحسني، **وما بدلوا تبديلا، تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير ودولته**، دمشق: دار الفكر، 2002، ط:01

35– بسام العسلي، **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية**، بيروت: دار النفائس 1983، ط: 02.

36– ــــــــــــ، **جهاد الشعب الجزائري–الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن الجزائر والإسلام**، بيروت: دار النفائس، 1984، ط:02.

37– بطاش علي، **لمحة عن تاريخ منطقة القبائل الشيخ الحداد وثورة 1871**، الجزائر: دار الأمل للنشر والتوزيع، 2007 ط: 02.

38– بوعلام بسايح، **أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم 1830–1954**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار 2010.

39– جلال يحي، **العالم العربي الحديث والمعاصر**، الإسكندرية: المكتب الجامعي، 1998.

40– حسن العكريمي، **حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام**، الجزائر: دار الهدى، 2008.

41– حمانة البخاري، **فلسفة الثورة الجزائرية**، وهران: منشورات مخبر الأبعاد–دار الغرب 2005، ط: 01.

42– رابح تركي، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر** الجزائر: م.و.ك، 2001 ط: 05.

43– ـــــــــ، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ط:2.

44– رجيس دوبريه، **نقد العقل السياسي**، تر: عفيف دمشقية، بيروت: دار الآداب، 1996.

45– رشيد بن يوب، **دليل الجزائر السياسي**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1999 ط: 01

46– زوبير بن رحال، **عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889–1940** الجزائر: دار الهدى،1997.

47– ساعد خميسي، **أبحاث في الفلسفة الإسلامية**، الجزائر: دار هومة، 2002.

48– سعيد بورنان، **رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر**، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2015.

49– سعيدي مزيان، **النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867–1892** الجزائر: دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.

50– شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، تر: محمد مزالي وآخرين، الدار التونسية للنشر، 1976 .

51– شارل روبير أجرون ، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954**، تر: جمال فطيمي وآخرون، الجزائر: دار الأمة، 2008، ط:01، مج: 02.

52– شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007 ج: 02.

53– شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ش،و،ن،ت، 1982.

55– شريف بن حبيلس، **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي وآخرون الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2012.

56– صادق سلام، **فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895–2005**، تر: زهيدة درويش جبور، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2012، ط: 01.

57– صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، الجزائر: دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع 2013، ط:01.

58– ــــــــــــ، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826–1850**، الجزائر: د.م.ج، 2007.

59– ــــــــــــ، **نحو تأصيل إسلامي لتاريخ الجزائر**، الجزائر: دار الكوثر للنشر، 1991 ط: 01.

60– ــــــــــــ، **الوجيز في تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفنيقي إلى غاية الاستقلال (814ق م– 1962)**، الجزائر: المعارف للطباعة، 2015.

61– صلاح العقاد، **المغرب العربي (الجزائر تونس والمغرب)، دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1966، ط: 02.

62– صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها**، بيروت: دار البراق، 2002.

63– عامر رخيلة، **08 ماي 1945م المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1995.

64– عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، الجزائر: دار الهدى، 2008 .

65– ـــــــــــــ، **أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه**، الجزائر: الوليد للنشر (د.ت).

66– عبد الحميد زوزو ، **ثورة بوعمامة (جانبها السياسي 1883–1908)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1983.

67– ـــــــــــــ، **ثورة بوعمامة (جانبها العسكري:1881–1883)**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981.

68– ـــــــــــــ، **محطات في تاريخ الجزائر**، الجزائر: د.م.ج، 2010.

69– ـــــــــــــ، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919–1939)**، الجزائر: م.و.ك 1985.

70– عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزائر: د.م.ج، 1994، ط: 07،ج: 04.

71– عبد الرحمن بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر** الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج:02.

72– عبد الرشيد زروقة، **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913–1940)**، بيروت: دار الشهاب 1999، ط: 01.

73– عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، **التاريخ المعاصر–أوربا من الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الثانية–**، بيروت: دار النهضة العربية، 2014.

74– عبد العزيز فيلالي، **مدينة قسنطينة في التاريخ – معالم وحضارة –** الجزائر: دار الهدى 2007.

75– عبد القادر بوعرفة، **جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

76– عبد القادر جغلول، **الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر**، تر: سليم قسطون بيروت: دار الحداثة، 1980

77– عبد الكريم أبو الصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر: دار البعث،1981.

78– ــــــــــــــ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**، قسنطينة: دار مداد 2009، ط: 02.

79– عبد الله بن عتو، **مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي**، الرباط: المطبعة الآمنية، (د.ت).

80– عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، الجزائر: المطبعة الفنية، 1990.

81– عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر: شركة دار الأمة، 2013.

82– عزام محمد، **النَّص الغائب– تجّليات الّتناص في الشعر العربي**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001

83– عزيز خثير، **قضايا في الحركة الوطنية من خلال نشرية القضايا الإسلامية سنوات 1954– 1955– 1956**، الجزائر: دار الخليل، (د.ت).

84– علي بن محمد الدخيل الله السويلم، **التجانية (دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة)**، الرياض: دار طيبة، 1401هـ.

85– علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر**، تر: محمد يحياتن، الجزائر: دار الحكمة 2007.

86– عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997، ط: 01.

87– عمار طالبي، **بن باديس حياته وآثاره**، بيروت: دار اليقضة العربية للترجمة والنشر، 1968 ج:03.

88– عمار عمورة، **الموجز في تاريخ الجزائر**، الجزائر: دار ريحانة للنشر والتوزيع، 2002.

89– عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء** الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1988.

90– فؤاد صالح السيد، **عبد القادر متصوفا وشاعرا**، الجزائر: م.و.ك، 1985.

91– فيلالي المختار الطاهر، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، باتنة–الجزائر: دار الفن للطباعة، 1976، ط: 01.

92– كميل ريسلير، **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830–1962)** تر وتع: نذير طيار (د.ب): دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016، ط: 01.

93– لطيفة الأخضر، **الإسلام الطرقي**، تونس: دار سراس للنشر، 1993.

94– محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين –تاريخ الجزائر 1830–1954**، تر: محمد المعراجي الجزائر: منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، 2008.

95– محمد أركون، **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، تر وتع: هشام صالح، بيروت: دار السياقي 1992، ط: 02

96– محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954**، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 1992، ط: 02.

97– محمد العربي الزبيري ، **تاريخ الجزائر المعاصر**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999 ج: 01.

98– محمد العربي الزبيري، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، قسنطينة: دار البعث، 1984، ط: 01.

99– محمد بغداد، **تماسين جوهرة الصحراء**، الجزائر: دار الحكمة، (د.ت).

100– محمد بن معمر وآخرون، **دور الطرق الصوفية في المقاومة الشعبية خلال القرن 19** الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 (د.ت).

101– محمد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد وصالح المثلوثي، الجزائر: موفم للنشر، 2006 .

102– محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ط: 06.

103– محمد مفلاح، **أعلام من منطقة غليزان تراجم من القديم إلى غاية القرن 19م**، الجزائر: دار هومه، 2006.

104– محمد مكحلي، **الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور**، الجزائر: دار القدس العربي، 2020.

105– محمد نسيب، **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، سوريا: دار الفكر، (د.ت).

106– محمود قاسم، **عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية** مصر: دار المعارف، 1968.

107– مخلوف صادقي، **وقفة تذكير بتاريخ الثورة**، الجزائر: منشورات الحياة الصحافة، 2012 ط: 01.

108– مزيان وشن، **مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ثلاثة قرون من النضال السياسي والجهاد العسكري القرن 16و19م**، (د.ب): دار الكتاب العربي، 2007.

109– مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بـــن عيســـى، الجزائـــر: م.و.ك 1983.

110– مصطفى زايد، **التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي**، الجزائر: د.م.ج، 1982.

111– مولود قاسم نايت بلقاسم، **ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غـــرة نـــوفمبر** قسنطينة: دار البعث، 1984.

112– مومن العمري، **الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني (1926– 1954)**، الجزائر: دار الطليعة،2003.

113– ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية– دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهـــد العثماني–** بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ط: 01.

114– ـــــــــــــــ، **النظام المالي الجزائري في الفتـــرة العثمانيـــة (1800–1830م)** الجزائر: ش.و.ن.ت 1979 .

115– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ – العهد العثماني–** الجزائر: م.و.ك، 1984.

116– نزار أباظة، **الأمير عبد القادر العالم المجاهد**، دمشق: دار الفكر، 1994، ط:01.

117– نصر حامد أبو زيد، **الخطاب الديني المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية**، الجزائر: مـــوفم للنشر، 1995.

118– يحي بوعزيز، **ثورات القرنين التاسع عشر والعشرين**، الجزائـــر: دار البصـــائر للنشـــر والتوزيع 2009.

119– ـــــــــــ، **ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد عام 1871**، الجزائر: عالم المعرفـــة للنشر والتوزيع، 2009

120– يحي بوعزيز ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، الجزائـــر: دار البصـــائر 2009.

121– ـــــــــــ، **ثورات الجزائر في القرنيين 19–20م**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980.

122– يوسف حميطوش، **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحـــاج وفرحات عباس**، الجزائر: دار الأمة، 2013.

123– يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحـــربين العـــالميتين (1919– 1939)**، الجزائر: م.و.ك، 1989.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الأكاديمية:

أ/– أطروحات الدكتوراه:

1– عبد القادر ولد أحمد، **الطرق الصوفية والإدارة الاستعمارية في منطقة تلمسان 1901–1954**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص تاريخ حـــديث ومعاصـــر جامعة الجيلالي ليابس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018/2017.

2– قدور بوجلال، **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671–1830م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحـــديث جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ والأثار 2017/2016.

3– الغالي بن لباد، **الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية دراسة أنتروبولوجية** أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنتربولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد: كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية 2009/2008.

4– الهادي عبد العزيز، **الخطاب الصوفي للطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب خلال العهد العثماني–الطريقة التجانية نموذجا–**، أطروحة مقدمة لنيل در جة الدكتوراه في التاريخ الحديث

والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية- شعبة التاريخ 2017/2016

5- بشير بلمهدي، **الخطاب الديني في الجزائر ومسألة الهوية الوطنية (1925-1956)** أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2011/2010 .

6- بشير بوعتو، **تاريخ التصوف في الجزائر –دراسة وصفية تحليلية للطرق الحبيبية والهبرية والرحمانية والأويسية**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2012/2011.

7- بشير جلطي، **العلاقة النفسية التربوية بين المريد وشيخه**، رسالة دكتوراه دولة، جامعة وهران: قسم علم النفس، 2007/2006.

8- رابح دبي، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962 (دراسة نظرية تحليلية)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، 2011/2010،

9- رياض بودلاعة، **موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية 1954- 1962م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسنطينة: جامعة عبد الحميد مهري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ 2018/2017.

10- سليمان قريري، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954**، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج

لخضر-باتنة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية 2011/2010.

11- شيخ لعرج، **موقف الطريقة التجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال وغرب إفريقيا خلال القرن 19م وبداية القرن 20م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2017/2016.

12- عبد الحميد عومري، **الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880-1914**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث *LMD* في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية- تخصص تاريخ- 2017/2016.

13- عثمان زقب، **السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1830-1914 (دراسة في أساليب السياسة الإدارية)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر-جامعة باتنة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ والآثار، 2015/2014.

14- فاطمة حباش، **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري (1844-1870) تيارت، سعيدة، جيرفيل.البيض نماذجا**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2014/2013.

15- محمد مكحلي، **ثورات رجال الزوايا والطرقية بالجزائر خلال العهد العثماني 1707-1827**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس 2004-2003.

ب/- رسائل الماجستير:

1- أحمد دركوش، **مواقف الطرق الصوفية من الإستعمار في الجزائر وتونس(1830-1914م) -القادرية والتجانية أنموذجا-** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2011/2010.

2- إسماعيل خنفوق، **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844- 1931**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2011/2010

3- بن يوسف التلمساني، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1792-1900**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،الجزائر: جامعة الجزائر- معهد التاريخ، 1998/1997.

4- جمال مخلوفي، **التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال الفترة 1930-1956**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار 2009/2008.

5- حرشوش كريمة، **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832-1847م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران: معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والآثار 2010/2009م.

6- زروق جيجيك، **المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين** مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس-سيدي بلعباس: قسم العلوم الانسانية، 2015/2014.

7- زيلوخة بوقرة، **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا-** مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر-باتنة: كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا 2009/2008.

8- شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر-باتنة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2009/2008.

9- شيخ لعرج، **نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب خلال القرن 18 وبداية القرن 19م** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر-مصطفى اسطمبولي: قسم التاريخ، 2009/2008.

10- ماجدة القاسمي الحسني، **الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها - دراسة تحليلية نقدية-** مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2000.

11- محمد الحمري، **التشريع الفرنسي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية مابين 1870-1920** رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية 2005/2004.

12- وفاء بن علية، **زاوية الهامل وعلاقتها بالمقاومة الشعبية والثورة الجزائرية**، جامعة الجزائر-بوزريعة: المدرسة العليا للأساتذة- قسم التاريخ، 2008/2007.

رابعا: المقالات:

أ/- **الوطنية:**

1- أحمد بحري، **الشيخ بوعمامة رمز التصوف والجهاد**، مجلة الإرشاد الجزائر،2011

2- أحميدة عميراوي، **القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية**، مجلة المصادر، ع:08، ماي 2003.

3- براني كلثوم، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر وإشكالية السلطة بين الديني والسياسي – قراءة سوسيولوجية–**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع: 11 ديسمبر، 2016.

4- بشير بلمهدي علي، **مقتل المفتي بن دالي عمر المدعو "كحول" وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، مجلة المصادر، ع: 16، السداسي الثاني، الجزائر: دار الكرامة، 2007.

5- حسن حموتن، **لالا فاطمة نسومر 1830-1863**، الأصالة،ع:16، (سبتمبر-أكتوبر)،1973.

6- زكي مبارك، **المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة**، مجلة الثقافة، ع: 83، 1984

7- عبد القادر النفاتي، **الأبعاد الدينية والاجتماعية للزوايا والطرق الصوفية**، مجلة الحياة الثقافية ع:08.

8- عبد القادر عثماني، **الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري**، مجلة منبر الإمام مالك ع: 04، الجزائر: دار الهدى، 2002.

9- غالي الغربي، **ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن 19م**، مجلة الدراسات التاريخية، ع: 10، 1997.

10– مبخوت بوداية، **الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف والمجاهد**، حولية المؤرخ،ع: 01 .2002

11– محمد السناوي، **أضواء على ثورة بوعمامة 1881**، مجلة التاريخ، ع:10، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1981.

12– محمد بوركبة، **جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي**، المجلة الجزائرية للمخطوطات،ع: 01، جوان 2003.

13– محمد سي يوسف، **ثورة الشريف بوبغلة 1850–1854م**، مجلة الباحث، مصلحة التاريخ الجزائر: ع:04، 1986

14– محمد شاطو، **السلطة العثمانية بالجزائر وعلاقتها بالطرق الصوفية (1792–1830م)** مجلة المواقف،ع: 03، 2008.

15– محمد مجاود، **دور الزوايا في الحركة الوطنية والثورة التحريرية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ عدد خاص، أفريل 2008.

16– مصطفى عبيد، **جامعة الزوايا للشمال الإفريقي 15 مارس 1948م تركيبتها الإدارية ومشاريعها**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 06، 2013.

17– مولاي بلحميسي، **جانب من جوانب الصراع الجزائري الأوربي– الجوسسة الغربية في الجزائر العثمانية–**، مجلة الباحث، ع: 03، الجزائر: 1985.

18– ودان بوغفالة، **تقارير سرية عن مؤسسة الزوايا والطقوس الدينية عشية الثورة الجزائرية– قراءة في وثائق الأرشيف الفرنسي لمنطقة تيارت**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد خاص، أفريل 2008.

19– يحي بوعزيز، **ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية**، مجلة الثقافة، ع: 52، 1975م.

ب/- الدولية:

1- مختار حبّار، **الحضور الصوفي في الجزائر على العهد العثماني**، مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق: ع: 57- السنة:15- تشرين الأول أكتوبر 1415/1994هـ.

خامسا: أعمال الملتقيات:

1- بشير بلمهدي علي، **موقف الأطراف الدينية الثلاثة (الزوايا، المساجد الرسمية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) من الثورة التحريرية في سنتها الأولى 1954- 1956** أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

2- حمدادو بن عمر، **الزاوية البوعبدلية بأرزيو (عمالة وهران) رمزا للمقاومة والصمود** أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007، ص: 202.

3- محمد باي بلعالم، **أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة**، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار: أيام 1و2و3 ماي 2000.

4- محمد مكحلي، **دور الزوايا الإصلاحي في تحضير ثورة التحرير**، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين 2007.

5- محمد ولد خليفة، **مؤسسة الزاوية خزان المقاومة وحصن العقيدة والتراث**، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، الجزائر: وزارة المجاهدين، 2007.

سادسا: المعاجم والموسوعات:

1– إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، **المعجم الوسيط**، تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1972 ط: 2 ج:01.

2– ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري أبو الفضل جمال الدين أبو الفضل **لسان العرب**، تح: ياسر سليمان أبو شادي ومجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية (د.ت)، ج: 04.

3– محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين، **القاموس المحيط** ، تح: مجدي فتحي السيد القاهرة: المكتبة التوفيقية، (د.ت) ج: 01.

سابعا: المصادر بالفرنسية:

I. الأرشيفات الغير منشورة: (الأرشيف الفرنسي)

–Centre d'archives d'outre Mer Aix-Provence (France):

1–***A.N.O.M,2U22,ALG,*** *département d'Alger, contrôle des personnages religieuse (kadria et rahmania)*

–correspondance de maire d'Alger au préfet d'Alger, N° :15706, le 07 décembre 1896.

–correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° : 2322 , le 26 Aout 1911.

–correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger ,N° :2194, le 09 juillet 1907.

–correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° :1696, le 04 Avril 1901.

–correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger,(Laghouat), N° :736, le 05 Avril 1904.

−*correspondance du gouverneur générale d'Algérie au générale commandant du division d'Alger, N° : 2686 , le 23 juillet 1900.*

−*letter en arabe avec traduction française de nommée Mohamed ben belgassem chérif zaouïa el Hamel au commandant akerchar le gouverneur du Boussaâda, le 09 mars 1896.*

−*lettre en arabe avec traduction française Mohamed Taieb ben Brahim le 23 novembre 1900.*

−*Lettre en français du cadi Mohamed ben Zarrouk par le sous-préfet au préfet d'alger, le : 15 juillet 1895.*

−*permis de circuler du nommée si Mohamed el hadj Mohamed, N° :3100, délivrer a Boussaâda le 22 octobre 1907.*

2− ***A.N.O.M,2U23,ALG****, Département d'Alger, toutes les confrérie religieux sans (Rahmania et kadria)*

− *Confrérie senoussia (1864-1891),A/S de la traduction d'un manuscrits du cheikh sidi mohammed ben senouci.*

−*copie de permis de voyage de monsieur si Ahmed ben chikh N° :31, délivrer par l'arrondissement du média en septembre 1898.*

− *correspondance de de sous-préfet au préfet d'Alger, le 2 novembre 1906.*

− *correspondance de de sous-préfet de l'arrondissement de Miliana au préfet d'Alger, le 8 novembre 1906.*

3− ***2U08 a et b: culte musulman***

− *Confrérie derkaouia-chadoulia-ziania, alaouia Affaires diverses (1889-1945) (1887-1952).*

4−***A.N.O.M , département d'Alger,10 H, études notice***

−***10H88****, Exposés faits aux cycles d'études du centre d'information et d'études central (1936-1940).*

5– ***A.N.O.M , département d'Alger,16 H, culte musulmane***

–***16H35****, ALG, département d'Alger, Surveillance politique des indigènes, Ordres religieux, divers. Notices.*

– ***16H35****, ALG, département d'Alger, Surveillance politique des indigènes,*

–***16H39****, Territoire du Sud, étude sur les confréries religieuses (1895-1955).*

–***16H59****, Zaouïa ziania de kenadsa, lettre de laaredj si Abderrahmane au président Guy Mollet, 13 février 1956.*

–***16H80****, préfecture de Constantine, SLNA, bulletin mensuel des question islamiques, mois octobre 1955.*

–***16H80****, préfecture de Constantine, SLNA, bulletin mensuel des question islamiques, mois d'octobre et novembre 1954.*

–***16H81****, Services des Liaisons Nord Africaines (G.C), bulletin mensuel des questions islamiques (1945-1953).*

–***16H08, 09H10****, préparation du travail de MR, depont et coppolani sur les confréries religieuses enquête et rapports.*

–***16H35,*** *Ordres religieux, divers. Notices.*

6–***département de Constantine:***

– ***93 / 4491****, G.G.A, S.L.N.A, les confréries religieuses en Algérie, 1951.*

– ***93/4409****, préfecture de Constantine. S.L.N.A ,R.M ,mois d'octobre et novembre 1954, p :19.*

– ***93/4491****, point de vue sur les confréries et zaouïas de l'est algérien 18 juin 1958.*

7–***9X306,mémoires du centre des hautes études d'administration musulmane :***

– *Jaques Carret, le maraboutisme et les confréries religieuses musulmanes en Algérie, Mémoires du centre des haute études d'administration musulmane.*

II. الأرشيف الوطني (ولاية وهران):

1– ***Empéranger**, étude sur les causes les effets et les conséquences de l'insurrection de 1881, cerche de tiaret , le 1er janvier 1883, archives de la wilaya d'Oran, N° :4465.*

III. الأرشيف المنشور:

1–***Gouvernement Générale de l'Algérie**, service de l'action administrative et économique, bulletin de liaison et de documentation –février- mars, 1956.*

IV. الصحف الفرنسية:

1–*La dépêche de Constantine, 17 décembre 1954.*

ثامنا: المصادر والمراجع المكتوبة بالفرنسية:

1–*Abdelkader boutaleb, **l'emir Abdelkader et la formation de la nation algérienne**, Algérie : édition, dahleb, 2009.*

2–*Adolphe Messimy, **Le statut des indigènes Algériens**, paris :Henri Charles-lavauzelle, éditeur militaire, 1913.*

3–*Ali Merad, **Le Réformisme Musulman en Algérie de 1925 a 1940**, Essai d'histoire religieuse et sociale, Alger : des éditions el-hikma, 2^{éme} édition, 1999.*

4–*André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, paris :presses universitaires de France, 1996.*

5– *Augustin Berque, **Note sur les confréries musulmanes algériennes**, Oran :imp, le Fouqué, 1919.*

6–*Baurnard (M),**Le cardinal Lavigerie**, paris : librairie paussielue, 1898.*

7–*Benjamin Stora,* ***Algérie Histoire Contemporaine (1830-1988)****, Alger : édition Casbah, 2004..*

8–*Boualem Bessaih,* ***L'Emir Abdelkader de Louis Philippe à Napoleon III****, Algerie, A.N.E.P*

9–*Camille Rousset,* ***La conquête d'Alger****, paris : e.plon et cie, imprimeurs-éditeurs,1879.*

10–*Camille Sabattier,* ***Les difficultés Algériennes question de la sécurité****, insurrections, criminalité, typographie, Alger :Adolphe Jourdan, 1882.*

11–*Ch.R. Ageron,* ***Les Algérien Musulmans et la France****, paris : PUF, 1968, T :02.*

12–*Charles Richard,* ***Étude sur l'insurrection du Dhara (1845-1846)****, Alger : typographie a besancenez, 1846.*

13–*Charles Robert Ageron,* ***Politique coloniales au Maghreb****, France : presses universitaires de France, 1972.*

14–*Claude Bontems,* ***Manuel des institutions Algériennes de la domination turque et le régime militaire 1518-1870****, paris : éditions cujas, 1976.*

15–*Claude Collot et Henri-Jean Robert,* ***Le Mouvement National Algérien textes (1912-1954)****, Alger :o.p.u, édition 2, 1981.*

16–*Collot Claude,* ***Les Institution Algériennes les période coloniale****, Alger :O.P.U,1977*

17–*Colonel Noillat,* ***l'Algérie en 1882****, paris : librairie militaire de j.dumain, 1882.*

18–*Coppolani Xavier, Depont Octave,* ***Les Confrérie Religieuses Musulmanes****, Alger : Adolphe Jourdan, 1897.*

19–*De feuillid.(c),* ***L'Algérie française*** *, typographie de henni Plon, paris : imprimerie de l'empereur, 1856.*

20–*Doutté.(E),* ***L'Islam Algérien en l'an 1900****, Alger : Imp.Girat, 1900.*

21–*Emmanuel Sivan,* ***Communisme et Nationalisme en Algérie 1920- 1962****, paris : presses de sciences, 1976.*

22–*Féraud Charles,* ***Histoire des villes de la province de Constantine, Gigli****, L'Arnault, 1870.*

23–*Ferdinand Hugonnet,* ***Souvenir d'un chef de bureau arabe****, paris : Michel Levy frères librairies, 1858.*

24–*G.P.J ,André,* ***Contribution a l'étude des Confréries religieuses Musulmanes****, Alger : édition, la maison des livres, 1956.*

25–*Hafid khatib,* ***Le 1er Juillet 1956, l'accord FLN-PCA et l'intégration des combattants de la libération dans l'Armée de libération nationale en Algérie****, Alger :o.p.u, 1999.*

26–*Henri Garrot,* ***histoire général de l'Algérie****, Alger :Imp, cresienzo ,o.p.u, 1970.*

27–*Henri Duveyrier,* ***Exploitation du Sahara****, les touareg du nord, paris : challamel aine libraire-éditeur, 1864.*

28–**_____**, ***La confrérie musulmane de Sîdi-Mohammed ben 'Alî Es-Senoussi, et son domaine géographique en l'anné 1300 de l'hégrie-1883 in de notre ére****, paris : bulletin de la société de géographique de paris, 1884.*

29–*Hocin Ait-Ahmed,* ***Mémoire d'un Combattant l'esprit d'indépendance 1942-1952 Alger****, édition barzakh, , 2009.*

30–*Hubert Cataldo,* ***Biskra et les Ziban****, France : collection français d'Afrique, 1988.*

31–*Jacque simon,* ***Messali hadj 1898-1974 la passion de l'Algérie libre****, editeur tirésias,*

32–*Jean Ganiage,* ***Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 a nos jours****, paris : édition fayard, 1994.*

33– *John Spencer Trimingham,* ***The Sufi orders in Islam****, London : London, Oxford University Press, 1971.*

34–*Joseph Disparment,* ***Contribution a l'histoire contemporaine de l'Algérie, la politique des oulémas Algériens 1911-1937****, in bulletin du comité d'Afrique française 1937.*

35–*L'abbé Rouquette,* ***Les sociétés secrètes chez les musulmans****, librairie Delhomme et bruget,1899.*

36–*Léon Lehuraux,* ***Le Nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie****, paris :édition du comité de l'Afrique française, 1931*

37–*Louis Rinn,* ***Histoire l'insurrection de 1871 en Algérie****, Alger : librairie Adolphe Jourdan,1891.*

38– ــــــــــ, ***Marabouts et khouan****, étude sur l'islam en Algérie, Alger : Adolphe Jourdan, 1884.*

39–*M'hamed Youcfi,* ***L'O.A.S et la fin de la guerre d'Algérie****, Alger : édition entreprise nationale du livre, 1985.*

40– *Mercier Ernest,* ***Histoire de Constantine****, Alger : S.N.E.D,1903.*

41–*Mohamed Guenaneche et Mahfoud Kaddache,* ***Le partie du peuple Algérien (1937-1939)****, Documents et témoignages, Alger :o.p.u,1985.*

42–*Mohamed Harbi,* ***Le FLN (Mirage et Réalité)****, des origines a la prise du pouvoir 1945- 1962, Alger : ENAL, 1993.*

43–*Mohammed Teguia,* ***L'Algérie en guerre****, Alger : office des publications universitaires, 2007.*

44–*Nacer-eddine Saidouni, **l'Algérois Rural a la fin de l'époque ottomane (1791-1830)**, Beyrouth : der-elmgherb-el-islami, 2001.*

45–*Narcisse Faucon, **Livre D'or de L'Algérie**, histoire politique, militaire, administrative événements et faits principaux biographie des hommes ayant marqué dans l'ARMÉE les sciences, les lettres, etc. de 1830 a 1889, paris :challamel et Cie éditeurs librairie algérienne et coloniale 5, rue Jacob, et rue Fürstenberg, 2,1889.*

46–*Ne Napoléon, **Un danger européen, les sociétés secrètes musulmanes**, tours : imprimerie e. Arnault et cis, 1890.*

47–*Peyronnet. (R), **Livre d'or des officiers affaires indigènes 1830-1930**, Alger : Imp. Algérienne, 1930, T : 02.*

48–*R.J.Frisch, Considération **sur la défense de l'Algérie la Tunisie et l'armée d'Afrique**, paris :imp, librairie militaire,(s.d).*

49–*Raspail.(A),**Etude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie**, paris : librairie militaire R.chapelot et ce, 1910.*

50–*Sari Djilali, **l'insurrection de 1881-1882**, Alger :SNED,1981.*

51–*Vatin (J.C) et Lucas (P), **L'Algérie des anthropologues**, paris : François Maspero, 1982,*

52–*Wahl Maurice, **L'Algérie**, paris :librairie Germer Bailliere , 1882.*

53–*Yvonne Turin, **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale**, écoles, médecines religion 1830-1880, paris :Maspero, 1970.*

54–*Z'abbé burzet, **Histoire des désastres de l'Algérie 1866-1867-1868**, Alger : imprimerie centrale algérienne, 1869.*

تاسعا: المقالات بالفرنسية:

1–*Augustin Berque, **Un Mystique Moderniste le cheikh ben alioua**, in, R.A.N°79, année 1936.*

2–*Collection de la revue du monde musulman,* ***Le Salut du drapeau****, Témoignages de loyalisme des Musulmans français-Algérie, paris : Ernest Leroux éditeur, 1916.*

3–*Joseph Robin,* ***Notes et documents concernant l'insurrection de 1856-1857 de la grande kabylie*** *, in :R.A.N°43, année :1899.*

4–*L.Rinn,* ***nos frontière saharienne****, in R.A.N° :30, année 1886, Alger : o.p.u, 1985.*

5–***Les Musulmans français et la guerre adresses et témoignages de fidélité des chefs musulmans****, in : Revue du monde musulmans, T :29, année 08- déc-1914, publiée par maison scientifique du Maroc, paris : édit Ernest Leroux.*

6–*Marcel Emerit,* ***Un problème de distance morale la résistance algérienne a l'époque d'Abdelkader****, in : revue d'information historique, N : 127, juillet-octobre, 1953.*

7–*Nacib youcef,* ***Signalisation d'une bidagogie confrérique dans la poésie orale kabyle,*** *in ana, afrn, n° 33, 1994 .*

8–*Pierre Boyer,* ***Contribution a l'étude de la politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger 16 ème siècle****, in : R.O.M.M, N :01, 1966 .*

9 –*Rune Trumelet****, Notes pour servir a l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 a 1869****,-in R.A.N° :23 année 1879, Alger : O.P.U, 1985.*

10–*Joseph-Adrien Seroka,* ***Le Sud constantinois de 1830 a 1855****, R.A.N° : 56 année, 1912, Alger : O.P.U, 1986.*

عاشرا: المعاجم بالفرنسية:

1–*Michel Mourre,* ***Dictionnaire Encyclopédique D'histoire****, Bordes nouvelle édition, (Tome .T.z), p : 4811.*

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

(أ)
أحمد بن محمد267
أحمد بن مصطفى بن عليوة 224
أحمد بن مصطفى 44 ,43
أحمد بن موسى الحسني 150
أحمد بن يوسف المليباني الراشدي51
أحمد توفيق المدني212 ,
أحمد عمار215 ,214 ,50
أدولف ميسمي177
الإسكندر جولي 149، 134
الآغا بن عودة المزاري63
أكرشار147
ألفريد لوشاتليه135
أمحمد بن عبد الرحمن99
أمحمد بن عودة62
أمحمد يحي101
الأمين بن إبراهيم39
أندري جوليان255 ,245
إنوسنتي105
أوريلي بيكار 50،151،215
أوغست كور135
أوكتاف ديبون131 ,130
آيت إسماعيل46
آيت عيسى محمد الطاهر266
ايف شاثينو254
الباي حسين62
الباي محمد بن عثمان63
البشير الإبراهيمي243
البودالي بن عبد القادر الجباري44
الحاج السعدي70
الحاج عمر99 ,92
ابن الجوزي25 ,19
ابن العنابي64
ابن تكوك253
إبن تيمية20
ابن جلول237
ابن خلدون24 ,23 ,22 ,20
ابن زعمون71 ,70
ابن شريط149
ابن عودة المزاري75
ابن عياش102 ,101
ابن عيسى149
ابن قانة253
ابن كحول247
أبو الحسن علي الشاذلي40
أبو القاسم الجنيد21
أبو القاسم سـعد الله ,60 ,59 ,53 ,52 ,43 ,36
67 ,66 ,64 ,62 ,61، ,96 ,78 ,74 ,71
124، ,224 ,216 194 ,174 ,161 ,150
250 ,249 ,238،
أبو هاشم الكوفي22
أبي بكر الصديق51
آجرون208 ,207 ,199 ,198 ,196 ,172
أحمد التجاني ,216 ,215 ,68 ,49 ,48 ,32 ,31
261 ,252 ،151
أحمد الزواوي65
أحمد القاسمي269
أحمد المختار149 ,148
أحمد باي95 ,90
أحمد بن الحسين الوزان187
أحمد بن الحسين بن إبراهيم الشريفي186
أحمد بن الكبير بوحجاجة150

بومعزة88 ,87
بيجو83 ,81

(ت)

ترومليي117
تريزل80 ,79

(ج)

جاك بيرك86
جاك سوستال268 ,267
جاك سيمون235
جاك كاريت264
جول غوتي197
جول كامبون131، 152 ,151 ,143 216, 219
جيدون99

(ح)

حسين آيت أحمد265
حسين باشا66
حسين بوحنك60
حمزة172 ,151 ,150

(خ)

خالد، 237 ,232 ,231 ,230 ,229 ,178
238, 245

(د)

دوتي 142،135
دوقيدون191
دونوفو،127 ، 126 ,72
دي بمودان109
دي بورمون71
دي توكفيل167 ,166
الحاج مبارك البخاري39
الحاج موسى بن علي بن الحسين40
الحداد100 ,99 ,98 ,97 ,95
الحلاج24
الشريف محمد بن عبد الله217
الشيخ لعرج268 ,263
الطيب العقبي253 ,251 ,246 ,244 ,243
العربي التبسي244
العقيد لطفي266
الغزالي26 ,25 ,24
القشيري23
المختار بن الحاج محمد186 ,
المقـــراني ,102 ,100 ,99 ,98 ,97 ,95 ,94
214،106 ,109 ,124
الهاشمي بن ابراهيم184

(ب)

بربروجر175
بسمارك120
بشير بلمهدي210 ,201 ,200
بفليربان240
بن جار الله100
بن حبيلس200
بن دوبا208
بن صديق بن أعراب46
بن طكوك254 ,218
بوبغلة93 ,92 ,91
بوبكر150
بوجا221
بوحمارة42 ,41
بوعمامة ,107 ,106 ,105 ,104 ,103 ,102
121 ,120 ,119 ,109 ,108
بوعمامة171 ,156 ,150
بومزراق100

(ص)

صالح باي65 ,62

صالح عبد العزيز214

صالح فركوس ,207 ,204 ,163 ,161 ,160
209

(ط)

طامزالي وروني253

(ع)

عبد البر البوعبدلي236

عبد الحميد ابن باديس243

عبد الرحمان الجيلالي100 ,99 ,96

عبد الرحمن الأخضري62

عبد الرحمن الأزهري48 ,46

عبد الرحمن بن محمد150

عبد السلام طالب253

عبد القادر ,78 ,77 ,76 ,75 ,74 ,73 ,70 ,69
79, 80, 83, 84, 85, 86, 87, 90, 91
102, 106, 117, 118, 119, 120, 122

عبد القادر ابن الشريف الدرقاوي68

عبد القادر الجيلاني40 ,37 ,31 ،235

عبد القادر بن الشريف الدرقاوي68 ,42

عبد القادر بن حميدة216

عبد الكريم الخطابي228

عبد الكريم الفكون59

عبد الله بن إبراهيم الشريف41

عبد الله بن عتو123 ,122

عثمان سعدي108 ,106 ,104 ,100 ,80

عزيز100 ,99

علي بن الحاج عيسى50

عمار الشريف256

دي فويليد169

دي مشال79 ,78

دي موريس145 ,144

ديبورتر143

ديبون 219 134 ,131

ديتري105

ديغول255 ,253 ,252

(ر)

رابح تركي203 ,202 ,195 ,193 ,191
راسبايل177

راندون 96 ,94 ,93 ,92

روجي ليونار262

(ز)

زوبيس264

زيان عاشور269

(س)

سانت أرنو88، 255

سباتيه88

سهل التستري20

سوسييه107

سيدي أحمد بن يوسف61

سيدي بعلوفة63

سيروكا169

(ش)

شارل أجرون138

شارل جونار152

شارل ريتشارد160

شارل ليطو152

ليون روش45

(م)

مارسيل امريت160
مبروك بن قويدر39
محمد الأمين251
محمد البشير183
محمد التماسيني183
محمد الحاج محمد164
محمد الحبيب50
محمد الصغير186, 183
محمد الطيب 255, 220, 219، 145, 144,
146, 158, 159
محمد الطيب بن إبراهيم38
محمد العربي الزبيري253, 227, 226
محمد العروسي183
محمد العيد50
محمد الغراب66
محمد الكبير بن إبراهيم144, 143
محمد الكبير بن الشيخ محمد البشير181
محمد الكبير61, 50, 49
محمد الكردي48
محمد بن أحمد بن زروق206 ,
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري الغزاوي43
محمد بن الجيلاني الخروبي63
محمد بن القاسم الحملاوي106
محمد بن أمزيان الحداد95
محمد بن بلقاسم151, 148
محمد بن سالم الحفناوي46
محمد بن عبد الرحمن الأزهري257, 46
محمد بن عبد الرحمن السهلي51
محمد بن عبد القادر119, 84, 80, 76, 70
محمد بن عبد الله68, 45, ،87، 171, 150، 217
محمد بن علي السنوسي217
عمار أوزقان241
عمار بوسنة39
عمر بلحملاوي268, 254, 236
عمر علي بن عثمان186

(غ)

غي مولي268

(ف)

فاطمة نسومر94, 93, 92, 91, 89
فالييه82
فريش89
فلاترز104
فوسواييه109

(ق)

قاسمي مصطفى250
قدور بلحول251
قدور بن محمد بن أرويلة120

(ك)

كاترو252
كاميل ساباتي153
كبولاني42، 53 ،40، 130، 131
كريميو97, 96
كلوزيل80 , 175

(ل)

لابي روكيت35
لاروك220
لافيجري192, 189
لامورسيير84
لوبو250
لوي رين ,52, 37, 35, 128, 98, 97
53، 128، 156, 154 148
لويس فنيون217
لويس ماسينيون136

(و)

وليم شالر66

ولسن230 ,228

(ي)

يحي بوعزيز ,95 ,93 ,91 ,87 ,81 ,78 ,75
97, 99, 105, 138

محمد بن كبير بن علي237

محمد بن محمد البشير182

محمد بن يوسف السنوسي44

محمد حربي234

محمد سعيد بن زكري224

محمد شرقي254

محمد طيب بن إبراهيم158 ,145

محمد عزام 113

محمد غلام الله225

محمد نسيب29 ,28 ،211

محمود بن حوّا المجاهري76

محمود بن محمد البشير182

محي الدين بن مبارك71

محي الدين ,99 ,94 ,85 ,76 ,75 ,74 ,73 ,71
38، 120 ,119

مصالي 266 ,249 ,236 ,235 ,234 ,232

مصطفى الغريسي38

مصطفى القاسمي257 ,255 ,251

موريس واهل122

مولاي إسماعيل80

مولاي الشقفة 99

مولاي العربي بن عطية 43

مولود قاسم262

ميسمي177

(ن)

نابليون الثالث 84

نويليت 88

ني نابليون218

نيقرييه 108

(هـ)

هنري دوفرييه 51

فهرس المدن

والأماكن

فهرس المدن والأماكن

(أ)

الأبيض سيدي الشيخ 107

الأربعاء ناث اراثن 93

أرزيو 76, 106

أزفون 256

الأصنام 87

الأغواط48217, 43, 40, ، 158

إفريقيا الغربية 128

إفريقيا 217, 218, 229, 231, 232, 233, 241, 244, 255

أقبو 211

ألمانيا 177, 181, 182, 183, 184, 186, 187215, 248

الأندلس108, 100, 90, 48, 23, 38، 187

أوربا176, 167، 224, 228, 248

أولاد جلال 186

أولاد رياح 87

أومالو 239

آيت إسماعيل 47, 46

البابور 98

البليدة71, 70، 204

البيض 103, 104, 105, 106

التافنة 81, 80

التيطري 87

الحجاز 217, 242

الجزائر 18, 19, 20, 21, 23, 24, 30, 31, 32, 35, 36, 37, 38, 40, 41, 42, 43, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 52, 53, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 75, 76, 77, 79, 80, 81, 82, 83, 85, 86, 88, 89, 90, 91, 93, 94, 95, 96, 98, 100, 101, 103, 104, 106, 108, 109, 110, 113, 114, 115, 116, 117, 121, 122, 123, 124, 125, 127, 129, 131, 134, 135, 136, 137, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 151, 152, 154, 156, 157, 158, 159, 163, 164, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 174, 176, 177, 178, 179, 181, 184, 185, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 207, 208, 209, 210, 211, , 213, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 240, 241, 242, 243, 245, 246, 247, 248, 250, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 259, 260, 261, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269

بسكرة 47
بلاد القبائل 66
بنو توجين 48
بني راشن 92
بني زروال 42
بني سناسان 235
بني عروس 41
بورنو 151
بوسعادة 144, 147, 164255, 256, 263
بوسمغون 105، 49

(ت)

تركيا 111 ,84 ،51، 179, 181, 182, 183,
186, 187
تطوان41 ,
تلمسان 37, 39, 42, 44, 60 217, 235,
260
تماسين266 ,251 ,225،128، 151, 156,
182, 183, 187
تتميزار 256
تنس 87
توات 102، 144, 146, 151
تونس248 ,218،177 ,142 ،106 ,92، 22,
24, 26, 45, 47, 49،
تيارت 258 ,226، 161، 106
تيديلكت 219
الخيثر 106
الرويسات 38
السودان الشرقي 131
السودان 55
السويس 84
الشام 141, 189
الصحراء ,262 ,220 ,219 217, 53 ,49 ,45
265
الظهرة 86, 87
القنادسة 268
القيطنة 38, 69
المدية 148, 204
المغرب248 ,233 ,228 ,217 ،201 ,150
75, 78, 82, 83, 86, 101, 107, 114,
18, 35, 36, 37, 38, 40, 41، 127, 134
43, 44, 51, 53, 54
المقطع 79
المنيعة 39
الهامل269 ,268 ,256 ,255 ، 147, 157,
163, 164, 186
الوادي 39

(ب)

باتنة47 ,23 ,20 ،89
باريس99 ,78 ،194 ,174
برج بوعريريج 98 ,94
بريطانيا 248
بريكة 48

سكوتو 151
سور الغزلان 90
سوق أهراس 47
سيدي الناجي 47
سيدي عيسى 87
سيق 79
سيوى 45

(ش)

شرشال77 ,
شلف250 ,

(ط)

طولقة 48،100
طاقين 82
طولقة

(ع)

عميش 220
عين الدفلى 39
عين الصفراء104 ,102 ,
عين ماضي51 ,49 ،128،187 ,181 ,151
عين مليلة47 ,

(غ)

غريس 75 ,73
غرب إفريقيا172 ,151 ,

(ف)

فاس 91، 50 ,48 ,45 ,41
فج مزالة 48

(ث)

ثنية الحد 88

(ج)

جرجرة 98 ,94 ,91
جيجل 98

(ح)

حجوط 98

(خ)

خنشلة 47

(د)

دلس 98
دمشق 112 ,84 ,82 ,77
ديرة 87

(ذ)

ذراع الميزان 98

(ر)

رأس الماء 106
رشقون 80

(ز)

زواوة 91 ,90 ,83

(س)

سدراته 47
سطيف 164
سعيدة 106 ,105
سفيسفة 104

كرزاز237، 150

(ل)

ليبيا 219، 46 ,45 ,38

(م)

مازونة 45

متيجة 98 ,70

مجانة 97 ,94

مراكش 42

مستغانم

مستغانم44 ,39 ، 217 ,218

مسكيانة 47

مصر131 ,84، 68 ,49 ,45 ,41 ,37 ,19

معسكر93 ,79 ,78 ,76 ,75 ,74، ,38 ,27

45 ,69

مكة 49 ,45

ميلة 48

(ن)

نفطة 143

(و)

واد سقان 267

وجدة 108

ورقلة219، ,159 ,158 ,150 ,146 ,145

38 ,51،171

وهران ,81 ,80 ,79 ,78 ,77 ,76 ,75 ,74

46 ,83 ,103 ,110 ,117 ,27 ,40 ,42 ,44

186 ،49 ,52 ,63 ,64 ,70149 ,161 ,181

195 ,206 218 ,236

فرجيوة 98

فرندة 106 ,105

فرنسا ,87 ,85 ,84 ,82 ,81 ,80 ,78 ,77

90 ,91 ,94 ,95 ,96 ,101 ,107 ,108

117 ,119 ,123 ,125 ,127 ,131 ,134

140 ,143 ,149 ,150 ,151 ,152 ,155

156 ,158 ,162 166 ,170 ,171 ,173

174 ,175 ,176 ,177 ,178 ,179 ,180

181 ,183 ,184 ,185 ,186 ,187 ,188

190 ,191 ,194 ,195 ,197 ,198 ,203

215 ,224 ,225 227 ,228 ،204 ,208

230 ,231 ,232 ,233 ,234 ,237 ,240

242 ,246 ,248 ,249 ,250 ,251 ,252

253 ,254 ,260 ,262 ,263 ,267

فقيق 107 ,101

فليسة 71 ,70

(ق)

قابس 45

قسنطينة ,260 ,253 ,252 ,251 ,237 ,227

39 ,43 ,47 ، 188,195 ,204،262 ,264

61 ,66 ,68

قصر البخاري 185 ,148

قصر الشلالة 104

قمار 51

قورارة 107

(ك)

كاليدونيا 99

فهرس الطرق

الصرفية

فهرس الطرق الصوفية

(ب)

البودالية 43

(ت)

التجانيـــة 24, 25, 27, 31, 34, 46, 47, 49 52, 66, 150, 151 155, 169, 171, 177, 178, 179, 180, 181 185, 214, 215, 216 219, 225, 251, 260 261.

(ح)

الحبيبية 40

الحنصالية 40

(د)

الدرقاويـــة 40, 41, 42, 66, 86, 124, 143 225, 234, 235, 264

(ر)

الرحمانيـــة 45, 46, 87, 89, 90, 91, 92, 93 94, 96, 97, 99, 100 214, 105, 155, 184 254, 255, 260, 261 263, 264, 266.

(ز)

الزيانية 40, 155

(س)

السنوســـية 43, 45, 169, 171, 253, 215, 217 218, 220, 252.

(ش)

الشـــاذلية 35, 39, 40, 148, 41, 43, 49, 60 183, 205.

الشـــــيخية 50, 40,49, 51، 101، 102 105, 149, 171 117, 118

(ط)

الطيبية 40, 41 86 143, 148، 149، 150، 160, 155، 169, 171 184

(ع)

العلاوية 40, 43

العمارية 38, 39

العيساوية 40, 225

(ق)

القادرية 31, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 54, 56 66، 70, 73, 74, 76, 85, 88، 116 117 143, 144, 145, 146 157, 158, 168, 171, 182 216, 219, 220, 250 261, 264.

(ك)

الكرزازية 149

الفهرس العام

الفهرس العام

كلمة شكر

الإهداء

مقدمة..... أ–ن

الباب الأول: جزائر المتصوفة

الفصل الأول: الطرق الصوفية في الجزائر الظاهرة والجذور

أولا: نشأة التصوف الإسلامي وانتقاله إلى بلاد المغرب..... **18**

1- نشأته وتطوره..... **19**

2- مميزاته..... **25**

3- مؤسساته..... **28**

4- التنظيم الهرمي للطريقة الصوفية في الجزائر..... **31**

ثانيا: ظاهرة الطرق الصوفية في الجزائر..... **35**

1- أهمها..... **36**

2- مواردها..... **50**

3- خصائصها..... **53**

ثالثا: الطرق الصوفية والسلطة العثمانية في الجزائر..... **55**

1- التأييد والترحيب..... **56**

2- الحياد والإنعزال..... **57**

3- الصدام والصراع..... **62**

الفصل الثاني: الواقع الاستعماري والطرق الصوفية

أولا: الانتماء الطرقي ودوره في قيادة المقاومات الشعبية..... **69**

أ/- الأمير عبد القادر (القادرية)..... **70**

ب/- الشريف محمد بن عبد الله (الطيبية)..... **86**

ج/- لالة فاطمة نسومر" (الرحمانية)..... **89**

ح/- المقراني (الرحمانية)..... 93
د/- بوعمامة (الشيخية)..... 101
ثانيا: تأثيرات الخطاب الصوفي الطرقي في المقاومات الشعبية خلال القرن 19م... 109
1- مفهوم الخطاب..... 109
2- مكانة الخطاب الجهادي الطرقي في الأوساط الشعبية..... 113
3- خطاب الطريقة القادرية..... 117
4- خطاب الطريقة الشيخية..... 118
ثالثا: الطرق الصوفية والأنتروبولوجياالاستعمارية..... 121
1- دراسة للضابط "دونوفو"..... 123
2-دراسة للضابط "لوي رين"..... 125
3-دراسة "أوكتاف ديبون" و "وكزافييه كبولاني"..... 128

الباب الثاني: الطرق الصوفية والصدمة الاستعمارية

الفصل الأول: السياسة الفرنسية تجاه الطرق الصوفية بين المهادنة والاحتواء

أولا: السياسات الاستعمارية والطرق الصوفية..... 141
1- سياسة المراقبة والاحتواء..... 142
2- سياسة تدخل الإدارة في تسمية الشيوخ..... 146
3- سياسة الحصار الاقتصادي والإغراء المالي..... 153
4- دور المكاتب العربية في مراقبة وقمع نشاط الطرق الصوفية..... 158
5- سياسة التفرقة وإذكاء الصراع الداخلي..... 164
ثانيا: الطرق الصوفية وموقفها من التطـــورات السياســـية والثقافيـــة والدينيـــة (1914-1945م)..... 172
1- تجاه التطورات السياسية (الحرب العالمية الأولى)..... 173
2- تجاه سياسة التنصير..... 185
3- تجاه سياسة التجنيس والإدماج..... 191

4- تجاه سياسة التعليم..... 199

الفصل الثاني: الطرق الصوفية والحركة الوطنية

أولا: عرض حالة أهم الطرق الصوفية..... 214

أ/- الطريقة التجانية..... 214

ب/- السنوسية..... 217

ج/- القادرية..... 219

ثانيا: الطرق الصوفية ومسار الاضمحلال (تراجع الخطاب الطرقي)..... 221

أ/- إقتصاديا..... 221

ب/- إجتماعيا..... 222

ثالثا: إزدياد نشاط الحركة الوطنية (من المريدين الى المناضلين)..... 227

1- حركة الأمير خالد (دعاة المساواة)..... 229

2- حركة نجم شمال إفريقيا (الاتجاه الاستقلالي)..... 231

3- اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين (التيار الإدماجي)..... 236

4- الحزب الشيوعي الجزائري..... 239

5- الاتجاه الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)..... 241

رابعا: الطرق الصوفية والحرب العالمية الثانية (1939- 1945م)..... 248

خامسا: الطرق الصوفية وموقفها من الثورة التحريرية 1954م..... 258

خاتمة..... 270

الملاحق..... 277

قائمة الببليوغرافيا..... 314

فهرس الأعلام..... 345

فهرس المدن والأماكن..... 351

فهرس الطرق الصوفية..... 356

الفهرس العام..... 358

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على إبراز دور الطرق الصوفية في الجزائر ومحاولة تتبع ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار الفرنسي، حيث لعبت هذه الطرق دورا بارزا في مقاومة الاحتلال الفرنسي خلال القرن التاسع عشر ميلادي (19م)، وشكلت في نفس الوقت وعاءا ثقافيا احتمى به الشعب الجزائري وتجلى ذلك في عدة جوانب من إسلام وعروبة وترابط اجتماعي، رغم تفاوتها من حيث الفاعلية في المقاومة وموقف البعض منها السلبي والتحالف مع المحتل والتعاون معه، وكذلك محاولين التمييز بين الطرق الصوفية وإبراز أدوارها ومواقفها من الاحتلال مع مطلع القرن العشرين (20م)، بالإضافة إلى مميزات العلاقة بينها وبين الفاعلين الآخرين في النضال الوطني كالتيارات السياسية مثل الأحزاب، والدينية كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصولا إلى محطة اندلاع الثورة التحريرية ومساهمتها الفعالة في ميدان المقاومة والتحرير.

Summary:

This study is based on highlighting the role of Sufi orders in Algeria and trying to trace the duality of resistance and loyalty to French colonialism, as these methods played a leading role in resistance to the French occupation during the 19th century (19), and at the same time they formed a cultural vessel in which the Algerian people took refuge and this was evident Several aspects of Islam, Arabism and social cohesion , despite their differences in effectiveness in the resistance and negative attitude of some of them, the alliance with the occupier and the cooperation with him, as well as the attempt to distinguish the Sufi orders and to highlight their roles and positions on the occupation in the early twentieth century (20), in addition to the characteristics of the relationship between them and Other actors in the national struggle, such as political currents such as parties, and religious as the Association of sava Algerian Muslim nts, until the outbreak of the liberation revolution and its effective contribution in the field of resistance and liberation.

Sommaire:

Cette étude est basée sur la mise en évidence du rôle des ordres soufis en Algérie et en essayant de retracer la dualité de la résistance et de la loyauté au colonialisme français, car ces méthodes ont joué un rôle de premier plan dans la résistance à l'occupation française au cours du XIXe siècle (19), et en même temps elles ont formé un navire culturel dans lequel le peuple algérien s'est réfugié et cela était évident Plusieurs aspects de l'islam, de l'arabisme et de la cohésion sociale, malgré leurs différences d'efficacité dans la résistance et l'attitude négative de certains d'entre eux, l'alliance avec l'occupant et la coopération avec lui, ainsi que la tentative de distinguer les ordres soufis et de mettre en évidence leurs rôles et positions sur l'occupation au début du XXe siècle (20), en plus des caractéristiques de la relation entre eux et D'autres acteurs de la lutte nationale, tels que les courants politiques tels que les partis, et religieux comme l'Association des savants musulmans algériens, jusqu'à l'éclatement de la révolution de libération et sa contribution effective dans le domaine de la résistance et de la libération.